العشق المسموح لمدينة الرّوح

المسرح الوطني الفلسطيني- القدس

ندوة اليوم السابع

سلسلة الاصدارات-١٥-

العشق المسموح لمدينة الرّوح

اعداد وتحرير :ابراهيم جوهر

دار الجندي للنشر والتوزيع

القدس

٠٠٩٧٢٢٣٤٠٠٣٥

mjundi46@gmail.com

الطبعة الأولى (٢٠١٥)

لوحة الغلاف: الفنان الفلسطيني سليمان منصور

موّل طباعة هذا الكتاب مشكورا رجل الأعمال الفلسطيني علي شقيرات

المسرح الوطني الفلسطيني- القدس

ندوة اليوم السابع

سلسلة الاصدارات-١٥-

العشق المسموح لمدينة الرّوح

اعداد وتحرير :ابراهيم جوهر

ا

المقدّمة

هذا هو الإصدار الخامس عشر من وقائع ندوتنا الأسبوعية (ندوة اليوم السابع) الثقافية المقدسية.

حين بدأنا قبل أربعة وعشرين عاما لم نكن ندري إلى أين ستأخذنا الأيام والكتب والقراءات.

قلنا: سنبدأ، وبدأنا.

كان انشغالنا الأساس ينصب على الكتاب والكلمة والمدينة الحزينة التي كانت حينها تئن- وما زالت- من وحدة ونسيان واغتراب.

واليوم ونحن نمضي بإرادة وتصميم وأمل لا يقف في الطريق سوى عدد محدود ممن راهنوا على أن نتعب، أو نكلّ، أو نيأس لا يهمنا أمر بعيدا عن غايتنا الكبرى وهدفنا المنشود.

أن تكتب، يعني أن تبادر.

وأن تراجع ما كتبه الآخرون، يعني أن تقف وقفة تأمل ومراجعة، وأن تبيّن لهم مكامن الجمال، وربما القبح، في المسيرة بهدف البحث عن الأجمل.

في هذا الإصدار سيجد القارئ مراجعة بأقلام عدد من أعضاء ندوتنا وقد توزعت الكتب التي تمت مناقشتها على الرواية والقصيدة والسيرة وتلك الباحثة عن تصنيف أدبي لأنها اهتمت بالبوح والتعبير بعيدا عن التجنيس. وقد احتوى هذا الإصدار على نقاش كتاب فكري سعى لتثبيت دور المثقف في التغيير والتنوير.

إننا في (ندوة اليوم السابع الثقافية المقدسية) نواصل لقاءاتنا، ونتواصل مع أصدقائنا ومتابعينا في زمن باتت فيه الكلمة تبحث عن أذن، وقلب، ويد؛ أدوات التغيير والبناء والجمال، وحادينا في هذا كله فهمنا لدور الكلمة، وعيشنا في مدينة الروح، وعيشها فينا.

شباط ٢٠١٥م.

ابراهيم جوهر

رواية جنين ٢٠٠٢ لأنور حامد

القدس: ٧-٨-٢٠١٤ ناقشت ندوة اليوم السابع الثقافية في المسرح الوطني الفلسطيني في القدس رواية "جنين ٢٠٠٢" للروائي أنور حامد الصادرة عام ٢٠١٤ عن المؤسسة العربية للدراسات والنشر في بيروت، وعن مكتبة كل شيء في حيفا، وتقع في ٢١١ صفحة من الحجم المتوسط.

بدأ النقاش **ابراهيم جوهر** فقال:

سيثير الروائي (أنور حامد) نقاشا قصده في ساحة المواجهة والاشتباك والمفاهيم المتداخلة في المناطق الرمادية بطرحه الجريء في روايته هذه.

اعتمد الكاتب في روايته أسلوب اليوميات حيلة فنية ذكية للتشويق الفني وتخطّي برودة السرد والتقرير الصحفي الجامد لمخيم شهد مجزرة حقيقية من جهة وبطولة صمود وتصد فردية وصلت حدّ الإعجاب والإبهار،من جهة ثانية.

يتناول الكاتب شخصية جندي إسرائيلي اشترك في حصار المخيم وقام بالمهمات العسكرية التي وجهها إليه مسؤولوه العسكريون لكن دفتر يوميات مكتوبة بلغة لا يعرف قراءتها وجثثا ومربى المشمش في مطبخ العائلة المنكوبة شكّل عنده حالة من التفكير والمراجعة والأسئلة التي تقوده إلى العودة صديقا برفقة (جوليانو خميس) إلى المخيم الذي يستقبله أهله بطيبة وكرم ليواصل قناعته بأن هؤلاء بشر عاديون مسالمون يعشقون الحياة ويدفنون شهداءهم ويواصلون حياتهم.

يصاب الرجل بصحوة ضمير تعذبه حتى ينتحر أخيرا لأن أفكاره لم تجد من يتقبلها في مجتمعه انطلاقا من منزل أبيه وأمه.

الرواية تقوم على إثارة الجانب الإنساني لدى الطرف القاتل وتشير إلى ضرورة مراجعة الذات بعيدا عن التعبئة التحريضية التي تشيطن الآخر و(تؤرهبه). وفي المقابل فإنها تطرح أسئلة لا تقل أهمية على الجانب الفلسطيني، وتنتقد مسلكيات اجتماعية وسياسية لدى التنظيمات الفلسطينية، وكأنها تشير إلى حالة عبثية من المواجهة ، وإلى غبش يغطي الرؤية والرؤيا للجانبين.

يقول الجندي التائب بعد عودته إلى المخيم : كانت تكتب يومياتها وأنا كنت أطلق الرصاص على كل شيء يتحرك. الأمر الذي يعذبه في مقارنة بين الفعلين؛ الكتابة والقتل.

الرواية هنا ليست العمل الأدبي الأول الذي يشير إلى الجانب الإنساني لدى الطرف الآخر لكنها الأكثر جرأة ربما.

إنها رواية البحث عن الذات؛ شخصياتها تبحث عن ذاتها الإنسانية بالحب والحياة والإنجاز، وتنتقد واقعها المحيط بطموحاتها.

وقال **جميل السلحوت:**

الجانب الانساني في رواية جنين ٢٠٠٢

عنوان الرواية "جنين ٢٠٠٢" قد يشكل لغزا للقارئ العربيّ، لكنّه يفتح جراحا للفلسطينيّ الذي يقيم على ترابه الوطنيّ، حيث تعيده الى ذلك العام ٢٠٠٢ الذي اجتاحت فيه القوّات الاسرائيليّة، مدن وبلدات الضّفّة الغربيّة، بما فيها المناطق الخاضعة للسّلطة الفلسطينيّة، والمصنّفة بمناطق "أ" حسب اتفاقات أوسلو، وما صاحب ذلك من تدمير مريع، وقتل وجرح آلاف المدنيّين الفلسطينيّين، خصوصا حصار وتدمير مخيّم جنين.

الاهداء: يهدي الكاتب روايته هذه " الى ذكرى جوليانو مير خميس، ومخيّم جنين الذي

أحبّه حتى الموت" وجوليانو هذا هو ابن المناضلة الشّيوعيّة آرنا مير، المناصرة لحقوق الشّعب الفلسطينيّ، وابن المناضل الفلسطينيّ صليبا خميس، أحد قياديّي الحزب الشّيوعيّ الاسرائيليّ"راكح"، وأحد أبرز منظّمي يوم الأرض الفلسطيني في ٣٠ آذار ١٩٧٦.

وجوليانو خميس فنّان مثّل في عدد من الأفلام السينمائية والمسلسلات التلفزيونية، وشارك مع والدته وآخرين في تأسيس مسرح"الحرّيّة في مخيّم جنين لتوفير الفرص للأطفال والشباب في مخيم جنين للاجئين لتطوير مهاراتهم، ومعرفة الذات والثقة واستخدام العملية الإبداعية بوصفها نموذجا للتغيير الاجتماعي، وفي ٤ نيسان-ابريل- ٢٠١١ اغتاله مقنّعون أمام "مسرح الحرّيّة" في مخيم جنين، ولقي اغتياله استنكارا واسعا في صفوف الشّعب الفلسطينيّ وفي مقدّمتهم السلطة الوطني الفلسطينية.

ويبدو أنّ الكاتب أراد بشخصيّة جوليانو خميس التي كانت إحدى شخصيّات الرّواية الثانويّة، أن يقول بأنّ الصّراع الفلسطينيّ الاسرائيليّ يحصد ضحاياه دون تمييز بين العدوّ والصّديق، علما أنّ الرّواية انتهت وجوليانو لا يزال على قيد الحياة، ولم ترد عمليّة اغتياله من قريب أو بعيد فيها، ويبدو أنّ ذلك كان مقصودا من الكاتب؛ دلالة على استمرار الصّراع، وما يتبعه من استمرار سقوط ضحايا أبرياء.

البناء الرّوائي: اعتمد الكاتب في بنائه الرّوائي على المذكّرات، ليترك كلّ شخصيّة تتحدّث عن نفسها بنفسها، تروي يوميّاتها، وانفعالاتها، ومواقفها بلسانها، وهو أسلوب ناجح بالتّأكيد.

الحياديّة: القارئ للرّواية سيجد نفسه أمام أديب محايد في تقديم شخوص روايته، ويبدو أنّ حياة الكاتب في أوروبا قد تركت بصماتها الثقافية عليه، فمع أنّه فلسطينيّ مولود في عنبتا ومتأثّر بالصّراع بشكل وآخر، إلّا أنّه كان محايدا في طرح القضيّة، وفي رسم شخوص روايته، فديفيد اشكنازي أحد شخوص الرّواية اسرائيليّ، خدم في الجيش الاسرائيليّ، وشارك في حصار مخيّم جنين واقتحامه، وقاتل فيه، مع أنّه كان لديه تساؤلات عن عدالة هذه الحروب، وغير مقتنع بسياسة حكومته، ومتعاطف مع ضحايا الاحتلال الفلسطينيّين،

لكنه وجد نفسه متورّطا في هذه الحرب، وعاش تناقضات مع قناعاته، ومع ما تربّى عليه في بيئته ومدرسته وعلاقاته الاجتماعية في الوسط الذي يعيش فيه، لذا فإنّه أراد التّكفير عن مشاركته في اقتحام مخيّم جنين، فشارك مع صديقه جوليانو خميس في العودة الى المخيّم، لبناء مسرح الحرّيّة، ولمّا عاد الى بيته رفضه والده، فخرج من البيت، واتصل بصديقته التي رفضته هي الأخرى، ولم يجد ملاذا غير البحر، حيث وُجِد جثّة هامدة على الشّاطئ.

وفي الجانب الآخر كانت أريج الشّايب ابنة السبعة عشر عاما التي تعيش في مخيّم جنين، والتي سافر والداها وإخوتها إلى عمّان قبل اقتحام المخيّم، وبقيت مع جدّتها، وأثناء الاقتحام قتلت الجدّة، وعاشت أريج عذاباتها ووحدتها القاتلة وسط الرّعب وأصوات الرّصاص والقذائف، وكانت شاهدة على ذلك، بما فيه مقتل شقيقها وحبيبها ابن الجيران، وعدد من شباب المخيّم.

وتأكيدا من الكاتب على أنّ الصّراع يفرض نفسه على طرفيه المتصارعين فقد جاءت شخصيّة عارف وحيد والدته، وجار أريج الذي أحبّته، فلم يستطع العيش محايدا، فقد استدعته مخابرات الاحتلال وعذّبته بتهمة الاشتراك في المقاومة، وتعاملت التنظيمات الفلسطينيّة معه كعميل للاحتلال وأهانوه واعتدوا عليه، وعند اجتياح المخيّم وجد نفسه منخرطا في المقاومة ليسقط هو الآخر شهيدا.

وقال **عبدالله دعيس**:

للأماكن والأزمان ذاكرة لا تنسى في وجدان الشعب الفلسطيني، فكل بقعة من فلسطين، شهدت مجزرة، وكل ركن منها وقف شاهدا على تضحية وبطولة وفداء، وكل عام مضى منذ حط غراب الاحتلال على أيك بلادنا، نقش في ذاكرة التاريخ أحداث مجزرة لهذا العدو الذي بنى كيانا وتاريخا على دماء وأشلاء ضحاياه، كيف لا! وهذا هو ديدن يهود وعقيدتهم التي يتعبدون بها. وإن كان أنور حامد قد اختار جنين، واختار عام ٢٠٠٢، فقد أشار إلى إحدى هذه المذابح التي حفرت في ذاكرة ووجدان الشعب الفلسطيني.

وفي كل مجزرة يبرز الألم والمعاناة، وكذلك البطولة والتضحية. فمن رحم المعاناة تخرج البطولة شامخة رافعة رأسها تناضل هذا العدو الغاشم. فعندما نسطر معاناة الأهل، نبرز أيضا تضحياتهم وبطولاتهم. فهذا العدو الذي ما فتئ يستجدي عطف العالم على ضحايا محرقة ربما حدثت هناك بعيدا جدا عن فلسطين، يصر على أن يصنع في كل يوم مذبحة جديدة تغذي سوداويته وحقده ونفسية أبنائه المريضة. فإذا كان البشر يشتركون في معاني الإنسانية ويجمعهم شعور مشترك، فإن الصهاينة فقدوا كل هذه المعاني وتجردوا منها.

شاء الله أن أقرأ رواية جنين ٢٠٠٢ خلال العدوان على غزة في عام ٢٠١٤، فرأيت أن العدو يزداد في كل عام ضراوة وغطرسة، أما المجاهد الفلسطيني فيزداد عزما وإصرارا على تحرير أرضه. نظرت إلى الثكالى والشهداء والجرحى في غزة، فلم استطع أبدا أن اتقمّص شخصية ديفد الجندي الصهيوني، الذي هو بطل الرواية، وأعيش معاناته.

أمعنت النظر في شهداء غزة ٢٠١٤ فوجدت أريج، تلك الفتاة التي هي محور رواية أنور حامد – جنين ٢٠٠٢. وجدتها في كل بيت وكل زقاق وكل حارة وكل مخيم في غزة. رأيت أريج التي استشهدت في اجتياح مخيم جنين عام ٢٠٠٢، يستنسخ عنها كثير من الفتيات والفتيان والأطفال والنساء الذين عانوا ما عانته أريج في أيام حصارها في مخيم جنين، ودفعوا نفس الثمن الذي دفعته.

لكنني نظرت أيضا بين الجنود الغزاة، وتفحصت وجوههم، لعلي أجد ديفد – ذلك الجندي الذي عانى من صحوة ضمير وقاسى مما شاهد من فظائع الحرب في جنين، فلم أجده. كررت البحث ولم أجده، وتذكرت عندها أن أنور حامد نوه في مقدمة روايته أن شخصياته خيالية، وأظن أنه كان مغرقا في خياله عندما تصور وجود جندي صهيوني به مسحة من إنسانية مثل ديفد. فمن رضع لبن الحقد وربّي على أرض مسروقة، وشرب ماء منهوبا، وتنفس هواء فلسطين بغير حق، يكون قد جبل على حقد لا يمكن لوخزات ضمير أن تمحوه.

نسج أنور حامد روايته على فكرة رائدة، فقد عمد إلى إظهار معاناة مخيم جنين وصموده

أثناء حصاره عام ٢٠٠٢ عن طريق مذكرات لفتاة، كتبتها أثناء حصارها وحيدة مع جسد جدتها التي استشهدت في بداية العدوان، قبل أن تنال هي نفسها الشهادة، وتنهي كلمات مذكراتها بالدم الذي تناثر على دفترها، وذلك الجندي الصهيوني الذي يلتقط دفترها ويقرر قراءته، فتهتز مشاعره، ويدرك للمرة الأولى أن الفلسطيني إنسان له كيان ومشاعر وأحلام ولحظات قوة ولحظات ضعف، له عائلة وأصدقاء ويحلم ويبدع وليس مجرد إرهابي متعطش لسفك الدماء. ثم يكتشف أنه عاش طوال عمره في بيت فلسطيني أجبر أصحابه على الفرار ليعيشوا في مخيم يفتقر إلى أساسيات الحياة.

كان يمكن لهذه الفكرة الرائعة أن تتيح لأنور حامد الفرصة ليصف كل الأهوال التي تواجه الفلسطيني المحاصر، وكل المشاعر التي تتأجج في نفسه، ونظرته للعدو ونظرته لمقاومة العدو، والتضحيات التي يقدمها الفلسطيني، والوحشية التي يتعامل بها المحتل معه. فالقارئ يجد نفسه مضطرا للتوقف قبل أن يبدأ بقراءة المذكرات التي تركتها أريج، ويأخذ نفسا عميقا ويشحذ مشاعره، ليتحمل معاناة العيش مع فتاة في السابعة عشر من عمرها تركت، لتصارع الموت وحيدة مع جسد جدتها الميتة. لكنه يصاب بالخيبة عندما يرى مذكرات جامدة، أقصى ما فيها هي محاولة إثبات أن الفلسطيني بشر مثله مثل اليهود الذين يحتلون أرضه. وكأني بالكاتب يخاطب المجتمع الصهيوني، ويحاول أن يقنعهم أننا بشر يحبون ويعشقون ويلعبون ويلهون ولهم آمالهم وأحلامهم وقد يقعون في الخطأ والرذيلة. إن هذه المحاولة اليائسة غير مجدية، فإنسانيتنا ليست موضع شك ولا قضية نقاش، ولسنا بحاجة لبذل الجهد لكي نقنع الآخرين بها. وينتاب القارئ الشعور أن الكاتب قد جرد الفلسطيني من إنسانيته ثم يحاول إثباتها لقارئ صهيوني هو بالأصل ليس المخاطب في هذه الرواية.

ووجدت أن الكاتب قد صرف همه لمناقشة قضايا الإيمان والعقيدة ووجهة نظره السياسية خلال مذكرات كانت يجب أن تتدفق بالمشاعر الفياضة وتمجيد التضحية والبطولة. فالكاتب يحاول جاهدا إثبات إنسانيتنا بدل من أن يظهر حجم الألم والظلم الذي عاناه الإنسان المحاصر داخل المخيم.

إن المستغرق في قراءة الرواية يلمح تشكيك الكاتب بعدالة القضية الفلسطينية، فهو يساوي بين المقاومة الفلسطينية التي تناجز الاحتلال والعدوان الذي يشنه الصهاينة على الشعب الفلسطيني، ويظهر العمليات الاستشهادية، التي كانت تستهدف المستوطنين الصهاينة، بصورة استهداف الأبرياء الغافلين، ثم ما يتبعها من عدوان همجي على جموع الفلسطينيين كردة فعل وطريقة للتخلص من هذه العمليات. فقد انشغل بمناهضة العمليات الاستشهادية عن اظهار فظائع العدوان، فهو يسمي المقاومة الفلسطينية إرهابا والبطش الصهيوني عنفا! ويرسّخ الكاتب في روايته صورة الفلسطيني الخارج عن قوانين مجتمعه الرافض للعنف في مقاومة الاحتلال من خلال شخصية عارف.

وشعرت بأن الكاتب يريد أن يكسر الحاجز النفسي بين الفلسطيني والعدو، ويوهمه أن هذا الجندي ربما يكون مثل ديفد الطيب، فالرواية موجهة أصلا إلى القارئ العربي وليس للقارئ الصهيوني. ويحاول الكاتب أن يجعل الجندي الصهيوني بطل القصة ومحورها فيرويها بلسانه، فيضطر القارئ أن يعيش داخل هذا الجندي ويتألم لنهايته المؤلمة غريقا في بحر يافا. يافا التي اغتصب هو وآباؤه أرضها وماءها وهواءها وبحرها.

أعجبتني المقارنة التي أجراها الكاتب بين القيود التي تكبل الجندي الصهيوني ديفد وتلك التي كانت تكبل أريج وحريتها على الرغم منها.

"أنا حر وأعيش في بلد حر، لكني عبد للأوامر العسكرية ولغسيل الدماغ الذي أخضعت له طوال حياتي. وأريج تعيش في بلد محتل، تقيد فيه حركتها، وحتى أنفاسها، لكنها تحلم، وفي حلمها توسع حدود فضائها." ص ١٧٢

الحوار باللغة الدارجة، في الرواية، لا ضروة له ومبالغ فيه في كثير من الأحيان ، وكان يمكن أن يكتب بطريقة أخرى تراعى الإملاء واللفظ العربي بشكل أفضل: فأبناء جنين لا يخاطبون الأنثى بقولهم (عليكي) كان من الممكن كتابتها بشكلها الصحيح (عليكِ) وتكون أقرب للفظ العامي، ومثل ذلك كثير. والكتاب لا يخلو من الأخطاء المطبعية.

وأخيرا فإني أعتقد أن الكاتب أنور حامد قد أبدع الفكرة، لكنه لم يحسن استخدامها، فقد كان جل همه أن يخلق (آنا فرانك) فلسطينية ونسي أن كل أم فلسطينية، وكل طفل قتل ظلما، كان يحمل في نفسه ذكريات، وفي عينيه نظرات، وفي أنفاسه زفرات، كفيلة بأن تُبقي مذكرات آنا فرانك هناك في صقيع أوروبا، بعيدا عن نبضات التضحية والبطولة التي تتدفق في عروق كل فلسطيني، وتزيد اشتعالا مع كل شهيد يرتقي أو أم ثكلى تنظر إلى أجساد أطفالها الممزقة.

وقال **عماد الزغل**:

تمنيت لو أنني لم أقرأ قصة أنور حامد "جنين ٢٠٠٢" وأنا أشاهد الدمار والقتل البشع الذي مارسه جنود وحدات الجيش الإسرائيلي في قطاع غزة، فيما سمي بعملية "الجرف الصامد" كما سمتها وزارة الحرب الصهيونية. فكيف لي مهما تجردت من ذاتي ومن فلسطينيتي أن أفترض إنسانية الجندي الإسرائيلي الذي يريد حامد أن يقنعني بها من خلال هذه القصة، وأنا أرى بأمّ عيني جنديا إسرائيليا في غزة يفتخر بقنصه ثلاثة عشر طفلا فلسطينيا.

ربما أفلح حامد في رسم ملامح حقيقية للجندي ديفيد اليهودي، عندما كنا نتحدث عن اليسار الصهيوني الذي لبس قناع الإنسانية في السبعينات من القرن الماضي؛ ليقنع السذج من العرب أن هناك وجها إنسانيا للاحتلال، بينما كانت تبني المستوطنات الصهيونية في مختلف أراضي الضفة الغربية ولاسيما في غور الأردن. حيث عاش الفلسطينيون شهر عسل مع الاحتلال امتد لعشرين سنة بعد السنوات العجاف التي قضاها هذا الشعب تحت سلطة الحكم الأردني.

أما أن يقوم هذا الجندي باقتحام مخيم جنين وقتل من فيه والحرص على قنص أي شيء متحرك فيه، ثم تتحرك فيه النزعة الإنسانية ليأخذ دفتر مذكرات "أريج الشايب" ويأخذه بدافع الفضول، ويقع فيه على ذلك الكنز الثمين الذي هو مذكراتها التي تشبه إلى حد كبير مذكرات آنا فرانك، فأعتقد أن هذه الحبكة الفنية لم تكن كافية لإقناع القارئ بسر هذا التحول في شخصية ديفيد.

على الرغم من عدم اقتناعي بفكرة انسانية الجندي الإسرائيلي وشخصيته الشبقة للقتل، إلا أنني كنت مشدودا منذ الخيط الأول للقصة وحتى نهايتها، فقد أبدع الكاتب في رسم الشخصيات بلغة سردية عذبة، ولا سيما شخصية "أريج" التي غاص في أعماقها وجسدها بكل معاني الفتاة الفلسطينية في هذه المرحلة العمرية، حيث اعتمد على المونولوج (الحوار الداخلي) في رسم ملامحها ناحيا بذلك أسلوب كتابة المذكرات، وهي الحيلة الفنية الرائعة التي ابتدعها لتصوير ملامح أريج التي هي بطلة القصة بكل معاني الكلمة، فالبطل في القصة هي أريج وليس ديفيد كما أراد أن يصور الكاتب.

لقد عكس الكاتب حياة المخيم بشكل لافت، ولكنه كان باستطاعته تطوير شخصيات أهالي المخيم بشكل أكبر، ورسم أبعاد درامية أوسع لشخصيات الناس في المخيم، وأحسن إذ جعل من حياة الفلسطيني في المخيم طائر الفينيق الذي يحضر محرقته ويعود للحياة من جديد، وهذا ما حدث في مخيم جنين وسيحدث في مخيمات قطاع غزة التي دمرها الاحتلال.

أما جوليانو خميس، فهو شخصية مساندة للدور الذي أراد الكاتب لديفيد أن يقوم به في المخيم ليعلم أن هذا المخيم فيه بشر يمارسون حياتهم بكل إنسانية ونشاط وطيبة، وإذا كان الكاتب قد كتب هذه القصة للجمهور الفلسطيني والعربي، فهل نحن بحاجة إلى إقناع أننا بشر نستحق الحياة، ولو كانت القصة موجهة للجمهور الإسرائيلي لقلنا أنه قد أفلح بإقناع الجمهور الإسرائيلي أن الفلسطينيين أخيرا هم بشر مثلهم.

أما نهاية القصة فلم تكن واضحة الأسباب، فهل مات ديفيد منتحرا أم ثملا؟ وربما ألمح الكاتب باختيار الموت لديفيد لانتصار الدم على السيف، والمخيم على الجندي، فالمخيم عاد ليبني حياته من جديد، بينما القاتل يموت في نهاية القصة، ولكن ليته قضى على يد فلسطيني انتصر لدماء المخيم.

ومن الجدير بالذكر أن الكاتب الذي اختار شخصية جوليانو خميس وهي شخصية حقيقية كان بإمكانه أن ينهي حياته نهاية حقيقية برسم معالم القاتل، وجعل جوليانو يموت برصاص أعداء الحرية والحياة في المخيم.

وقالت **رشا السرميطي**:

تعتبر هذه الرِّواية الإصدار الخامس للأديب الفلسطيني أنور حامد، وقد صدرت عن الدار العربية للنشر في (٢٠٨) صفحات. الرِّواية ذات بناء نصِّي جميل، احتفظت بتسلسلٍ زماني ومكاني لطيف على القارئ خلال صفحاتها كافة، إذ يمكن اعتبارها رواية رشيقة الصَّدى على قارئ يحاول اكتشاف أسراره.؟

امتدَّت أحداث الرِّواية ما بين ثلاثة فصول، قسمتها ذاتيًا، كما يلي:

الفصل الأوَّل: الخيبة الصُّغرى؛ حيث صوَّر الكاتب بطل القصَّة الجنديُّ ديفيد (نموذج) الإسرائيلي اليهودي غير المعبأ، ولا يقبل الأمور مسلَّمًا بها؛ دون الاقتناع التَّام بحقيقتها غير المنقوصة من تفاصيلها الدَّقيقة، فقد كان محصورًا ما بين مآزق ذكرياته التي روتها جدته إيفا، ومذكرات آنا فرانك التي رافقته طيلة فترة مراهقته وما صارعت به الأحداث في الحرب العالميَّة الثَّانيَّة. مابين ماضٍ مكتوب وحاضر مقروء، بدا ديفيد مولعًا برؤية ما عاشه الآخر، مستكشفًا لحال اليهود في العالم القريب، وما حلَّ بهم قبل الحرب واستيطان فلسطين.

وقد كان لذلك الجندي حوارات عديدة مع عائلته عن هذا الصِّراع النفسي، منها: أصل ملكيَّة البيت القديم الذي يقيمون به في مدينة يافا حيث كان ذو طراز عربي، وأسئلته عن منطقة عين حوض المسماة (عين هود) بعد الاحتلال؛ تلك القرية المقامة على تلال قرب حيفا، التي كانت شاهدة على عروبة المكان، وكل ما فيها أيضًا اتحدَّ معلنًا الحرب النَّفسيَّة حول خلايا "ديفيد" الفكرية؛ ليؤسس صراعًا لا يسكن بعده خاطر ولا يهنأ له بال، هذا المكان الذي يرتاده السائحون ليسمعوا حديث التاريخ وهمس الفن عندما تحضر الأديان مجتمعة؛ لتعيد ذاكرة الدماء التي أريقت هناك.

لقد تحولت هذه القرية لمعلم سياحي، بعد أن تمَّ تهجير سكانها بالكامل، وكذا صارت شاهداً فكرياً لكل عاقل يبحث عن هويَّة المكان وتاريخه الضَّائع، وآخر الزوايا الحرجة التي كانت الصُّدفة قد ألمت بـ "ديفيد" ليكون فريسة لشرك لحظاتها، وقد زادت وضعه تأزُّمًا، أن

حلَّ وقت تجنيده ليخدم في الجيش الاسرائيلي وفي المنطقة التي نزح إليها سكان منطقة عين حوض تحديدًا، ليجد نفسه غارقًا في وحل تاريخ اسرائيل الأسود.

في مخيَّم جنين؛ استقيظ دفيد على نفسه أمام جبروت امرأة فلسطينية تدعى: أريج الشايب. تلك الفتاة التي عاشت العدوان الاسرائيلي إبان الهجوم على المخيم، حيث تمّ قتل الكثيرين سكانه وتدمير مرافقه الحياتية، ولم يبقَ سوى سيوف الكلمات المضمَّخة بالدِّماء، التي وقعت من قلب أريج لتنزف وجعًا آخر مصبُّه ذاكرة ليلى الصديقة الوفيَّة لـ "ديفيد."

الفصل الثَّاني: الخيبة الكبرى، أريج الفلسطينية. امرأة غير متفردة لكنَّها محظوظة حتَّى في موتها، إذ وقع بكاء حروفها على خد أمينة باحت به للعالم، ربما في خيال لكاتب يتَّسم بالانسانية، أو لواقعٍ تكتنفه الأسرار التي لم يشأ الكاتب الإفصاح عنها. أريج التي عاشت تفاصيل الحرب في مخيم جنين حضرت أمامي اليوم في حرب غزة، وبتفاصيل أشدُّ وجعًا، وربما ستكون حاضرة قريبًا في رواية أخرى، شاهدتها في نابلس وكثير من الأراضي الفلسطينية الخاضعة للإحتلال الإسرائيلي. لكنَّ المؤلم في مذَّكراتها هو انتظار الموت.

امتلكت أريج القوة لتصمد في وجه الحرب الشرسة؛ فاقتاتت ببعض من أحداث حميميَّة صنعتها من زاد الوقت، وربما خيالات لسراب تسلل عابثًا ما بين دهاليز وجدران كراسة ذكرياتها، التي ما إن لبثت ووقعت تحت يد "ديفيد" حتى باح بها فيها. إنه "ديفيد" الذي تفاجأ من إنسانية الفلسطينين. وهكذا؛ بدا الأمر وكأنَّ الكاتب ينبئ عن غياب هذه الحقيقة عن أذهان الجيل اليهودي الذي ولد وترعرع في فلسطين تحت ظل ما يسمى دولة إسرائيل. هل حقًا الشعب الاسرائيلي لا يعرف حقيقة الحرب وأحداث استيطانها ولو فرضت؟ مجازًا، غياب ذلك عن أذهان الحداثة من الجيل. وما الذي نشهده اليوم في عصرنا من عنجهية واغتصاب لحرمة الأرض والطفولة والإنسانية فيما ما نشهده بالحرب على غزَّة.

كأنَّها الرواية المتكرِّرة.. في جنين ونابلس وغزة والخليل والقدس .... في فلسطيننا.

الفصل الثَّالث: مابعد الخيبة؛ هل عاد "ديفيد" للمخيَّم حقًا؟ هل بكى وشعر بالنَّدم؟ أم أنَّه

تمنَّى الرجوع بهذا السيناريو قبل انتحاره؟ العودة غير المنطقية وتخلي أهله وأصحابه بدت أحداث بديهية على قارئ فلسطيني يعرف ما هو الجندي الإسرائيلي وما شدة قسوتة.

أما بالنِّسبة للعنوان "جنين ٢٠٠٢"، فقد كنت أعتقد بأن الكاتب موَّفق جدًا باختياره، عندما افترضتُ قبل أن أقرأ بأنَّ هدف كتابة هذه الرِّواية: الحديث عمَّا حلَّ بمخيَّم جنين عام ٢٠٠٢ اثر الحملات الصهيونية التي قامت باجتياح المخيَّم وتدميره، وسقط نتيجة هذه المعركة العديد من الشُّهداء. لكن أين الرِّواية من ذاك العنوان؟ لقد بدا مضمون الرواية منحرفا عن خط سير عنوانها؛ فبدلاً من حضور صمود المخيم، وأهله وناسه، والبطولات والخيانات التي حدثت، وجدت أحاديث خاصة عن شاب يهودي يفكر بحقيقة مسلَّم بها وواضحة منذ ٦٦ عامًا، لم يزل الصراع الفلسطيني والاسرائيلي قائما حولها وهي "فلسطين". تُرى لماذا تطرَّق الكاتب لشخصيَّة "ديفيد" حتى وإن كانت واقعية، ماذا تضيف للكارثة التي حلَّت بالمخيم؟

هذه الانسانية، التي ربما كانت وهمًا من خيالٍ جميلٍ.. وإن غضضت الطرف عن "ديفيد"، وتوقَّفت أمام مذكرات أريج الشايب، لوجدتها مقفرة من الكثير من الأحداث التي حصلت هناك. أين الدَّم والمقاومة؟ وأين الإبادة التي حدثت؟ ربما الأمر يفوق صناعة (صينية) دجاج في عزِّ صفير الحرب، وتناول مربى مشمش على صوت القذائف.

شعرت بمذكرات أريج التي طرحها الكاتب بأنها (بعيدة) جدًا عمّا جرى في المخيم، أو بعبارة أخرى توقعت ممن يكتب عن تاريخ فلسطين باللون الأدبي، أن يحرص على نشر القضية بطريقة غير سياسية، ولو كنت الكاتب لوظفت شخصية أريج لإيصال الكثير من الرسائل الفلسطينية، عوضًا عن الحديث عن خيباتها العاطفية وانجراف عارف وراء المصيدة التي أعدتها له.

نحن بحاجة لغير تعلم طريقة أخذ القبل فقضيتنا تحتاج للمقاومة بالدَّم والقلم والفكر أيضًا. أريج الشايب؛ الفتاة الشابة، التي توَّقعت لها دورا بطوليا أكبر مما في الرِّواية، ها هي ذات مذكرات (متخمة) بالأحداث غير الهامة.

غلاف الرِّواية، ذو اللون الأزرق الداكن والأحمر اللذان عكسا وشحات الدِّماء ، وكلاهما ذو دلالة حزينة بل قاتمة، وبهما بعض من الغموض الذي يشد القارئ لتصفح أسرار تلك الجثث المسجاة على أرضيَّة الغلاف. كما واختيار العنوان باللون الأبيض المائل للزرقة؛ ذو دلالة على نقاء التاريخ (٢٠٠٢) الذي رصد أحداث عديدة عن تاريخ هذا المخيَّم الذي حملت الرِّواية عنوانه، فلا أظن أن الفنَّانة "حنين حامد" قد تركت العنوان دون تلطيخه بالدِّماء صدفة عبثيَّة، إذ أرى في ذلك هدفا سعت إليه؛ للحفاظ على ما ورد في هذه الرِّواية من حكايات، وربما أسرار لم أجدها كافية كقارئة لأن تحمل عنوان الرِّواية.

ملاحظات عامة

بدا لدى الكاتب أنور حامد في فصول الرواية كافة بروز الجانب الإنساني، لقد تحدث عن الانسان في الحرب، سواء كان فلسطينيًا أم يهوديًّا.

- تحدَّثت الرواية عن فترة زمنيَّة إبان احتلال مخيم جنين (عام ٢٠٠٢)، لكنَّها تحاكي الجانب الاجتماعي من أصل النزاع الفلسطيني-الصهيوني، وقد عنيت بتسليط الضوء على انسانية القاتل والمقتول في ذات الجناية. وهنا أتحدَّث عن ديفيد وأريج. وترى هل هناك قاتل انسان؟ "ديفيد" الذي أباد المخيم بأطفالة ونسائه، وحطم جميع ذكرياته عاد ليبكي ندمًا.. شعرت بتناقض بعض الأحداث هنا.

-لا توجد مصادر في المستند الحالي؛ فرجوع الجندي ديفيد لمخيم جنين ما هو إلا ضرب من خيال لا أدري مدى واقعيَّته، فما شهدته بتجربة شخصية من هجمات اسرائيل في الانتفاضتين، وما نشهده اليوم في الحرب على غزة لا ينبئ (مطلقًا) بوجود حالات مشابهة، لكن (ربما) كان الطفرة التي لن أظلمها بقلمي، وما بعد رجوعه وترميمه لما هدمه، هل نعتبر ذلك أملاً شاهق التنهيدة من كاتبنا، بأن يدور العجل الزماني والمكاني ويأتي اليهود، يومًا ما، ليكفروا عن خطاياهم للأطفال والأمهات في فلسطين؟ ربما.. ربما..

الرواية غنية بعنصر التشويق ومتسلسلة في ترتيب أحداثها، حيث مرت بي كقارئة رويدًا

رويدًا إلى أن بلغت النَّهاية، وهنا أسجل للكاتب ثناءً، فقد استطاع، بوصفه ولغته المتينة أن يضعني داخل الحدث نفسه في بعض النُّصوص؛ فسمعت صوت الرَّصاص، وخشيت وجهة القنابل العشوائية، لكنني احتجت للحدث نفسه، فمثلا: لو تطرق الكاتب لشهادة البارزين ممن عاصروا الحرب، لو أمدَّنا بحديث عن تاريخ منطقة عين حوض وما حلَّ بها لزاد ذلك النص صدقية، وزاد الرواية كمالا.

قلب العقرب لمحمد حلمي الرّيشة

القدس: ١٤-٨-٢٠١٤ ناقشت ندوة اليوم السابع الثقافية في المسرح الوطني الفلسطيني في القدس كتاب"قلب العقرب-سيرة شعر"للشاعر الفلسطيني محمد حلمي الريشة والصادر عام ٢٠١٤،عن بيت الشعر الفلسطيني.ويقع الكتاب الذي صممت غلافه نغم الحلواني، وقدم له الراحل علي الخليلي، والدكتور محمد سمير عبد السلام في ٣٥٤ صفحة من الحجم المتوسط.

بدأ النقاش **مدير الندوة ابراهيم جوهر** فقال:

قرأت لغة الشاعر المجدّد وهي تنحت في اللغة تارة، وتجانس بين الكلمات في اختلاف المعنى تارة وفي تقويته تارة أخرى.

اللغة هنا في كتابة الشاعر الريشة لغة خاصة بوقعها، وأبعادها، وموسيقاها، فالشاعر يكتب النثر بلغة الشعر وروحه، كما يكتب الشعر بلغة النثر التي أسماها (القصيدة بالنثر). وهو يقدّم توثيقا لمسيرته الشعرية التي سيستفيد منها السائرون على درب الإبداع؛ من الإصرار على التجديد، والثقة بالمنتج، والإصغاء للمعلم المرشد والاستجابة لنصائحه، والسعي لإمداد لغته بالمزيد من الثراء بالمطالعة.

"قلب العقرب" هنا وهو يعجب بالغموض الجميل يقدّم قيمة لغوية، وتوثيقية، ومؤسساتية، وسياسية، ووطنية، وإبداعية.

سيرة الشاعر مع القصيدة هنا تعتبر لونا جديدا خاصا بالشاعر في حدود معرفتي لم أطلع على

هذا التخصيص وحده في السيرة الذاتية التي كانت تشمل الإبداع في ثناياها. هنا تخصص الشاعر في نقل سيرته الشعرية وهو يطلق على نفسه إمعانا في التجديد وربما التحدي لقب (شعريار) في إشارة إلى (شهريار) المعروف في (ألف ليلة وليلة.)

"قلب العقرب" كتاب محمد حلمي الريشة يستحق القراءة والتحليل والتوقف عند محطاته المتعددة والاستفادة من خبرة كاتبه.

كتاب تساءلت بعد صفحاته الأخيرة بأسى: كم يحرم الذين لا يعشقون القراءة من متع باقية!

وقال **جميل السلحوت**:

عندما قرأت " طفولتي" للأديب الروسي مكسيم غوركي "٢٨ مارس ١٨٦٨ – ١٨ يونيو ١٩٣٦"أذهلني بصدقه، وحديثة عن الطفولة الذبيحة التي عاشها، والتي هي أكثر قسوة وحرمانا من طفولتي وأبناء جيلي من أبناء شعبي، ولاحقا قرأت"كيف حملت القلم" للروائي السوريّ المبدع حنّا مينا، ووجدتها تشكّل انعطافا في كتابة أدب السيرة عند العرب، لمصداقية كاتبها وحديثه عن الحرمان الذي عاشه، ويبدو أنّني حينها وجدت نفسي أمام تساؤلات كبيرة، خصوصا وأنّني قد قرأت في سنّ مبكرة الكثير من السِيَرِ الشعبيّة لأبطال شعبيين، مثل "الزير سالم" و"عنترة بن شدّاد" و"معن بن زائدة" و"أبو زيد الهلالي" وغيرهم، كما قرأت الكثير من مذكّرات وسِيَرَ بعض الأدباء والسياسيين عربا وأجانب، وجميعها ملأى بالبطولات الخارقة، وتنقصها المصداقية.

وفي اليومين الماضيين انصببت على قراءة "قلب العقرب–سيرة شعر" للشاعر الفلسطيني محمد حلمي الرّيشة، فوجدت نفسي أمام انفجار بركان شعر وثقافة، تخطّه ريشة الشاعر الرّيشة الهادئ بطبعه، والذي يرضى بما تيسّر له، دون المزاودة على أحد، أو الصّدام مع أحد، لكنّه يختزن في ذاكرته بما له وما عليه، ويبدو أنّ قلبه الذي تعب من المعاناة قد أملى عليه بأن يبوح ببعض من مكنوناته.

واللافت هنا أنّ شاعرنا لم يكتب سيرة ذاتيّة، وإن تخلّل كتابه شيئا من ذلك، لخدمة الهدف الرئيس وهو كتابة "سيرته الشعريّة" وهذا تَفَرّد للشاعر، وهناك شعراء تكلّموا بشكل عابر عن ملكتهم الشعريّة وعلاقتهم بالشعر في سِيَرِهم الذّاتية، أو في مقابلات صحفية، لكنّهم لم يكتبوا سيرتهم الكاملة مع الشعر–حسب معلوماتي المتواضعة– وإن كان هناك من فعل ذلك فإنّه لأسفي لم أطّلع عليه، وهذا بالتأكيد قصور منّي. ومع ذلك فإنّ الشاعر محمّد حلمي الرّيشة قد كتب عن بدايته وحتّى بدايات العام ٢٠١٤، وهو لا يزال في أوج عطائه، ويواصل مشروعه الشّعريّ مستفيدا من تجربته ومن تجارب غيره أيضا.

والقارئ " قلب العقرب–سيرة شعر"سيجد نفسه يعوم في بحر هائج من اللغة الجميلة السّاحرة، وقد استغلّ الكاتب مخزونه اللغويّ الثريّ بشكل جيّد، ليؤكّد من جديد مقولة "أنّ الشعراء هم أفضل من يكتبون النّثر" وشاعرنا ذو اللغة الشاعريّة الجميلة في نثره، لم يقصر سيرته الشعريّة بالعزف على أوتار جماليات اللغة فحسب، بل تعدّاها الى الكتابة عن فلسفته الشّعريّة، مستفيدا من غزارة ثقافته واطلاعه على تجارب شعراء ومفكّرين وفلاسفة وأدباء كثيرين من عرب ومن عجم، ولولا سعة اطّلاعه لما تأتّى له أن يكتب ما كتب. وتجربته هذه تشكّل مدرسة للشعراء والكتاب الشّباب عليهم أن يستفيدوا منها. فالموهبة وحدها ليست كافية لنبوغ شاعر أو كاتب، ولا تنمو المواهب إلا بزيادة المعرفة.

وفي مسيرته وسيرته الشعريّة يعترف شاعرنا بخيباته أكثر من نجاحاته، ولا ينكر جميل من وجّهوه وأخذوا بيده مثل الشاعر الكبير الراحل علي خليلي، وغيره أيضا.

وسيرة شاعرنا الشعريّة لا ينقصها عنصر التشويق، رغم جدّيّة موضوعها، وبعدها عن عناصر الاثارة، وهذا يدفعنا لسؤال الشّاعر عن سبب عدم كتابته للرّواية حتى الآن.

وكتب **عبدالله دعيس**:

عندما تنظر إلى غلاف الكتاب للوهلة الأولى، وتتفحص عنوانه الغامض؛ قلب العقرب .... سيرة شعر، تدرك، على الفور، أن التوغل في قراءته سيكون مضنيا. فالشاعر محمد

حلمي الريشة، الذي يعتقد أن الكتابة الشعرية هي التي تقرأ بوعي وبمخيلة إنسانية فاعلة حتى لو لم تكن مفهومة للقارئ العادي، والذي هو على استعداد أن يخسر القارئ بدل من أن يخسر الجمال في شعره لحساب قارئ لا يستطيع سبر غور القصيدة، لن يبوح لنا بأسرار حياته وسيرته الشعرية بيسر ووضوح!

فرحلة القارئ في هذا الكتاب ليست سهلة، تماما كرحلة الكاتب في عالم الشعر، فولادة القصيدة عند الشاعر، الريشة، تضاهي ولادة الطفل في قسوتها وشدتها! فالشاعر يصف حالته النفسية عند كتابة القصيدة على أنها غيبوبة ومعاناة. والشاعر، محمد حلمي الريشة، يعيش للشعر؛ فقد اندمج الشعر في كيانه، فهو يعيش حياة عنوانها الكلمة والفكرة. وبمقدار صعوبة حياة الشاعر، واضطراب مشاعره، حيث أنه يتنقل في بحر متلاطم من الأفكار والعواطف، يحاول أن يجعل القارئ يعيش هذا الجو بأسلوب كتابته، بلغة شعرية رائعة، لكنها لا تخلو من الغموض والغرابة.

خلال قراءتك للكتاب تلمح ابداعا، وتفانيا في سبيل الكلمة، وبالمقابل تلمح ضياعا بين الشعر والأنا والوطن؛ نكران للذات في سبيل صناعة القصيدة، واعتزاز كبير بالنفس، وحاجة ماسة للتكريم وإبداء الشكر والعرفان من أبناء الوطن.

يقودنا الكاتب مع حياته ومسيرته مع الشعر، حيث كانت بداياته مع ولع شديد بالقراءة منذ نعومة أظفاره، تبدو آثاره واضحة جلية بثقافته واطلاعه الواسع على الأدب العربي والعالمي، والذي يبدو جليا في كتابه. يستعرض الكاتب أسماء الشعراء والمبدعين الذين ألهموه في بداياته، وكذلك الذين واكبوه وأيدوه في مسار حياته الشعرية، ولا يقلل من فضلهم عليه. ربما كان الشاعر علي الخليلي أكثر من أثر به ودفعه قدما باتجاه عالم الشعر والأدب، وكان الشاعر حسين البرغوثي أحد ملهميه، والذي تألم كثيرا لغيابه المبكر. لكنه، في الوقت ذاته، يعتقد أن الشاعر لا يحتاج لقدوة أو لمن يتبناه، وإنما ينمو الشاعر بموهبته وبقوة الدفع الذاتي لديه. وهنا يظهر اعتزازه بنفسه وثقته بقدراته الإبداعية، بنوع من النرجسية، والتي صاحبته منذ بداياته عندما كان يمعن النظر في اسمه عندما نشرت أولى

قصائده في الصحيفة.

يعتقد الكاتب أن هناك أزمة في الابداع والمبدعين في فلسطين، ويرى أن أزمة الابداع هي أزمة في ذات المبدع، وأن العلاج من المبدع نفسه. ويعزو ذلك إلى عدم وجود القارئ الواعي وضعف التواصل بين المبدعين، وقلة التواصل مع العالم الخارجي، ويرى أننا بحاجة إلى ثورة حقيقية لتخطي أزمة الإبداع.

الشاعر محمد حلمي الريشة، لا ينتابه الشك بأصالة موهبته وقدرته الإبداعية حتى ولو لم يكرّم من أبناء وطنه. فهو يشعر أنه لم يحصل على التكريم الذي يستحقه في وطنه على الرغم من إخلاصه وعمله الدؤوب حتى في أحلك الظروف، حيث آثر أن يبقى في بيت الشعر الفلسطيني أثناء إنتفاضة الأقصى بعيدا عن عائلته، معرضا نفسه للخطر. وقد كرم وعرف قدره في بلدان عدة، ونال جوائز عالمية، وسميت جوائز أخرى باسمه، لكن وطنه وأبناء وطنه تنكروا له ولم يعطوه حقه. وفي هذا السياق يسوق ما كتبه بعض النقاد عن شعره، والذي يظهر مكانته المرموقة في عالم الشعر على مستوى العالم العربي والعالم. لكنه يعتقد أن الإبداع الشعري تحتكره بعض الأسماء المرموقة في فلسطين، ولا يتم الالتفات إلى الذين تتفتق قرائحهم بالشعر ويعيشون به ولأجله.

شاعرنا وكاتبنا الرائع، محمد حلمي الريشه، هو تماما مثل نجم "قلب العقرب" والذي وإن كان يقبع بعيدا ، عاليا، مترفعا في قلب السماء إلا أنه من ألمع النجوم، يبدو متوهجا في عتمة الليل ولا يغطيه حتى ضوء القمر ليلة البدر.

وقال **عماد الزغل**:

سيرة الشاعر محمد حلمي الريشة، مخاض الشعر والشاعر. تكمن أهمية السيرة الشعرية للشاعر محمد حلمي الريشة في أنها من الأعمال النادرة التي يرصد فيها شاعر طقوس ولادة الشاعر وميلاد القصيدة، إذ أن الريشه كان رقيبا على نفسه أمينا في رصد خلجاتها، بارعا في تصوير لحظة الميلاد للشاعر وللقصيدة في آن معا، ولم يخف عن القاريء نضوب معين

شعره في سنوات عجاف بين الأعوام ١٩٨٢ - ١٩٨٥ التي هي في نظري سنوات نمو وانضاج أكثر منها سنوات جفاف للذائقة الشعرية، أو غيبوبة لربة الشعر عنده، لقد توقف نقاد العرب القدماء طويلا أمام أسباب تدفق الشعر وانثيال المعاني وبروز الموهبة، فربطوها بشيطانة الشعر حينا وبالألهام حينا آخر، وحاروا في ذلك في أزهى عصور العلم والمعرفة، ولا شك أن الشعر لحظة ولادة ابداعية ملهمة لا يمكن استحضار وقتها أو زمانها، ولكنها لحظة تامل يعقبها تأثر وطرب وهياج النفس بالمعاني كثورة بركان دون انذار مسبق. أما عن توقف الشاعر عن شعر الغزل بعد زواجه من فاتن، فقد ذكرني بقول الأصمعي (ان الحبّ اذا نكح فسد).ان الشاعر محمد حلمي الريشة يرفض مبدأ الالتزام في الشعر مثله كمثل الأديب طه حسين الذي يرى أن الألتزام يحّد من موهبة الشاعر وابداعه، ولذلك فلم يرض أن يفرض أحد عليه موضوع قصيدة، وأبرز هذا في سيرته حيث لامه البعض على إكثاره من الغزل وإقلاله من الشعر الوطني، وربما التقى هذا مع رأي محمود درويش في أواخر عهده بأنه من الأفضل لدى الشاعر أن يعبر عن تجربته الوجدانية الذاتية من أن يعبّر عن القضايا العامة. إنّ هذا الكتاب ليس سيرة فحسب بل هو كتاب نقدي أيضا، تناول فيه الشاعر حال شعراء الجيل الرابع أو الجيل الضائع كما سماه من شعراء الأراضي المحتلة الذين ولدوا شعريا أوائل القرن العشرين؛ فظلموا ولم يلقوا ذلك الانتشار العربي كما حدث مع شعراء فلسطين في المهجر، والذين وجدوا المنتديات التي ساعدت على انتشارهم وذيوع شعرهم، وربما أحدث هذا شيئا من النقمة في نفس الشاعر عندما عاد بعض هؤلاء الشعراء الى الأرض المحتلة بعد اتفاقية (أوسلو)حيث سيطروا على المشهد الثقافي، وحاولوا فرض الهيمنة على المؤسسات الثقافية الرسمية في الضفة الغربية، وكما يظهر في هذه السيرة فإن ثلاثة من أعلام الشعر والأدب والصحافة قد شكلوا شخصية الريشة الثقافية وهم : عبد اللطيف عقل استاذه في المدرسة الثانوية وفي الجامعة، وعلي الخليلي الذي تردد على مكتبته طويلا وتأثر بكتاباته في (الفجر الأدبي)وفدوى طوقان شاعرة الأرض المحتلة التي كان يختلف إليها بحكم قربها المكاني في نابلس .وهؤلاء وجهوه الى شعراء الفحولة والأدب وعلى رأسهم فيلسوف الأدباء أديب الفلاسفة ((أبو حيان التوحيدي.((

ان ولادة الشاعر محمد حلمي الريشة كانت تقليدية كأي شاعر آخر، فقد كان يترنم على سماع الشعر وأغاني فيروز فوّلد ذلك في نفسه أوزانا وايقاعات صادفت تفجر مشاعر الحب والغزل لديه؛ فبدأ يعرض الشعر على غير وزن ثم تعلم البحور الخليلية، وأخذ ينظم على أوزانها الخفيفة حتى أصبح شاعرا، وقد كاد استاذ التربية الأسلامية أن يطفيء جذوة شعره لولا تشجيع الآخرين له على اكمال مسيرته الشعرية، ثم أخذ شاعرنا ينحو منحى شعر التفعيلة وأبدع في ذلكالى أن وصل منتهى ذلك في قصيدة النثر. لكنني اختلف معه في القول ان موسيقى الشعر تنبع من ائتلاف الحروف والأصوات وايقاعاتها فحسب، معللا ذلك بنظرية النظم لدى الجرجاني، فنظرية النظم عند الجرجاني خاصة بالقرآن الكريم وليس للشعر علاقة بها، ولو كان ماقاله الشاعر صحيحا لقالت العرب قصيدة النثر منذ زمن بعيد، فلماذا لم يحد الشعراء قيد أنملة عن ميزان الشعر وبحور الخليل على الرغم من كل محاولات التنويع في الاوزان الموسيقية.

وقد احتج الشاعر بأقوال لأبي العتاهية عن شعر لم يخضع للأوزان الخليلية، وليته ساق أمثلة على ذلك لنرى مدى التجديد في هذا الشعر.

أمّا عن مفهوم الشعر والشعر المفهوم، فالشعر ابداعٌ لا يخضع للمنطق ولا للعلاقات المباشرة كما يقول الشاعر، ولكن في رأيي أن هناك خيطا لا بدّ أن يربط بين المشبه والمشبه به، وبين المعاني الحقيقية والمجازات لا على سبيل المباشرة، ولكن على سبيل التصوير، وليس من الغريب أن يرى الشاعر أن اللغة وظيفتها الأيحاء وليس المباشرة، فهوَ ابن عصره وبيئته وهذا مذهب الشعر في العصر الحديث، القائم على الرمزية وليس المباشرة.

وقالت **رشا السرميطي**:

عندما أمسكت كتابًا لشِعر يار فلسطين شعرت بالرَّهبة، الرَّغبة، والمزيد. لم تكن سيرة ابن مدينتي بعاديَّة، سيرة شعرٍ وليست سيرة شاعر، حملت عنوان: قلب العقرب. هي منذ بداية العنوان غريبة، مريبة، ماذا يصل بين الشَّاعر والعقرب، وما شأن الشعر بذاك الوصال؟ ربما هي فلسفة تحتاج للفهم وفي نهايتها ستكون رصينة، كيف لا تكون كذلك وهي مكتوبة من

شاعر حقيقي ولد في مدينة نابُلس، لكن السؤال الملهم: هل هناك شعراء وهميُّون؟

حقًا في زماننا كم نفتقر للشِّعر؟ وأنا التي لا اطلاع كبير لدي في ذاك العالم، ولا صلة لي في بحوره الشِّعريَّة، ونظم أبياته، لكنَّني مؤمنة بقدرتي كقارئة على انتشال الأجمل، الأفضل، والأبقى من مقطوعات الكلمة، وموسيقى البوح المترَّنح على رفوف الورق المبَّلل بشتاء عاشه شاعر متناسي مظلَّة الوقت. لقد جمعنا الشاعر محمد حلمي الرِّيشة والظلال على ضوء الأمل. في هذه المسيرة نقرأ ما بين دفتَّي عمر أحد، وفاء للشِّعر. عندما تكون كاتبًا وقارئًا ويحتويك الشُّعور لأن تقترب من كتاب لذي قامة أدبيَّة عالية، حتمًا تغتالك رغبة الاختيار ويقضم الشَّغف رغبتك بالاطلاع على المزيد، التعلُّم، والاهتمام أكثر وأكبر. هو الذي ما وعد أحدًا بأن يكون شاعرًا، لكنَّه ولد هكذا، شِعريار السبعينات حاضر اليوم في قلب عقرب يحاكي الواقع بشعريَّته وينتقد وقائع أحداثه، يصرخ، يبكي، يتألَّم، يأمل، يؤمن، ويمضي غير مكترث إلاَّ برعاية الشِّعر، أيكون الحافظ رغم ما نشهده اليوم من نهب ثقافي واستغلال أدبي؟ ربما بدت سيرة الشاعر سرديَّة مشوِّقة ومتينة، وجدتُّ اللغة عالية وبها من التوصيفات البلاغية والأدبيَّة ما أعجبني، وقد استقليْتها كقطار سريع حملني من محطة للأخرى بذات الرِّضى ووافر النَّهم، فما برحت أن بدأت قراءة الكتاب حتى أكملته، وما انتهيت! هي وقفات عديدة ومواقف متنوِّعة مرَّت على ذاك الإنسان الذي قاوم وناضل في مسيرته والقلم عند ذاك الدرب الشائك الذي لم يمهَّد للمثقَّف منذ زمان بعيد، لم ينهكْ الرِّيشة باختلاف آفاق التَّحديات التي حلَّقت بها أوراقه، وتتابعت ورقة تعلو ورقة تبرعمت على ذات غصن بوحه مؤمنة بنموِّ أزهار معانيها، حالم بأن يقطف الثَّمر مهما تعسرت ولادة المواسم النَّضرة.

قلب العقرب؛ لقد حاولت تحليل هذه التسميَّة والإمساك بتلابيب غاية اختيارها عن غيرها، وقد قلبَّت غلاف الكتاب مرَّات ومرَّات حتَّى وجدت تفسيرًا ربما كان سليمًا، فالعقرب من الحشرات غير المميتة نسبيا للبشر لأن لسعاتها تؤثر محليًا من ألمٍ وتورم فقط، ولكن مع العقرب الأسود الذي تشكل بصورة متماهية على غلاف الكتاب فالخطورة تزداد إلى أقصى حد، لأنَّ السمَّ الذي يحتويه هذا العقرب مزيج قوي يؤدي إلى ألم غير محتمل

ثمَّ حمى تليها غيبوبة، تشنُّجات شلل ثم الموت المنتظر من البداية! ومن المعروف أيضًا أنَّ الأطفال الصِّغار وكبار السِّن هم الأكثر تخوفا من هذه العقارب عن البالغين. ولكن ما يربط هذا بالشعر؟ وهنا تأتي الحنكة والحبكة في اختيار العقرب الذي يصوِّره شاعرنا في معظم أطروحاته، فهو يتحدَّث لنا بأنَّ الشعر ليش مشاعر، إنَّما هو السُّم الذي يصيب روح الشَّاعر، فتصيبه الحمَّى ليهذي ويخرج عن وعيه مستحضرًا ذاك الكلام غير العادي؛ ليسقط الغيبوبة على روحه، وينسِّق موسيقاه البكر التي لم يأتِ بمثلها شاعر قبله، يتشنج القلم لتولد الكلمات ثم يصل الموت، موت الشاعر لأجل الفكرة، وينتهي مفعول ذاك السُّم بعدما باح به الشَّاعر، تموت القصيدة لا من حيث خلودها وإنَّما فكرة تكوينها، وهنا أشار الشاعر إلى ضرورة عدم التقليد، فالشعر ابتكار وتجربة، وليس الشِّعر مشاعر لنصيغها بطرق مختلفة. وأيضًا تأثر الشاب بالسُّم الشِّعر والطفل والشيخ ربما حمل اشارة إلى العمر الذي ينضج به الشعر في عمر صاحبه. لماذا قلب، وليس ذيل أو مقص؟ ربما يقصد الشاعر بأن الشعر هو قلبه، فقد صوَّر الشعر بأكثر من موضع بأنَّه حياته، والانسان بلا قلب تنتهي حياته، ولماذا قلب العقرب، قد يكون الشاعر من مواليد برج العقرب وهنا تكون المسيرة الشعريَّة التي قدمها هي قلب و" حياة " محمد حلمي الرِّيشة.

الغلاف الذي حمل اللَّون الذَّهبي، وهو لون ذو دلالة عن الآلهة، قديمًا كانت تصنع التماثيل والمجسمات التي تعبر عن إله من الذَّهب، وهو يعني التَّفرد، والذَّهبي أحد اشتقاقات اللَّون الأصفر، والأصفر لون يبعث السعادة ويرفع المعنويات، وهو مرادف لفصل الصَّيف، الشَّمس والضِّياء، ولون الزُّهور الصَّفراء ينعش الرُّوح بعد شهور الشِّتاء القاسية والباردة، الأصفر الذَّهبي علامة الازدهار وحصاد ثمار جهد طويل ومضنٍ. ويرمز إلى الطَّاقة الخلاَّقة، الفكر، الذِّكاء، القُوة والثَّراء، كل تدرجات الأصفر تقريبا تُضفي النور إلى أكثر الغرف ظلمة ووحشة وبرودة، في ما يتعلق بتدرجات الأصفر الغامق كلون الخردل واللَّون الذَّهبي أو النُّحاسي، فهي ألوان دافئة تضفي جوا راقيا وحميما ويمكن مزجها مع ألوان أخرى تتناسق معها، ومعظم تلك المعاني والدلالات اللَّونيَّة كانت حاضرة بوضوح فيما قدَّمه الشاعر لنا في مسيرته الشِّعرية

إنَّ أكثر ما حضر فيما قدَّمه شاعرنا هو تلك الأبواب التي جاءت متلألئة كالنُّجوم تسبح في سماء الثَّقافة.

١. سفن الرُّوح؛ كانت الحاضرة والملهمة في معظم ما كتبه شاعرنا، هو لم يكتفِ بالجسد ولا ما هو ملموس، إنَّما تعدَّى بقصائده حدود العادي المألوف، وارتفع بنبض فكره بعيدًا، لم يخشَ عسر الغريب والغائب، بدا مستَّعدًا للتَّحدي منذ أوَّل صدٍّ من معلم التربيَّة الإسلاميَّة، وتخليِّه عن كليَّة الآداب برتابة طرحها الجامعي للغة وفنونها، روح الشاعر تعلَّقت بالقراءة أولاً ثمَّ الكتابة، وربما ذاك النَّهج القوي الذي كان سببًا في قوة منتوجه الشِّعري، فمهما كان لدى الكاتب قوة أفكار وآراء،ومهما امتلك من حنكة الكلمة وأصالة المعنى، تبقى القراءة هي القنديل الذي لا يجب أن ينتهي زيته، كي لا ينطفئ نور الحرف وتغرف الذَّاكرة منه مزيدًا. يقول الشَّاعر في مقطع من قصيدته "سيرة ذاتيَّة لما لم يأت بعد"، في صفحة (٣٧): .. وأرى فيما أرى/ حلمًا أرى في الجفن هل يأتيه صدق/ ثمَّ هل يبقى طويلا/ عندما أبدو سماويًا/ تدخل الأيَّام في عمري/ تخرج الأوراق من سطري/ وقد ألقى سبيلا.

عمق التَّجربة ووجع الوطن؛ تغلغل الكاتب نحو بحر الحياة دون خوف ودلالته الجرأة والإقدام، بدت آلام فلسطين كما الوشاح الممتَّد على عنق شاعرنا بدءًا من أمس (م) الأديب بلوغًا لشِعريار اليوم، هل يعقل لمفاجأة أن تخلق صرحًا لا يفنى؟ كيف لا ومعظم العلماء صاروا كذلك عن طريق الصُّدفة حينما اكتشفوا ظاهرة ما، سلوك ما، تفاعل ما؟ ربما (ما) الشعريَّة هي أيضًا محض حظ وصدفة يكتشف بها الانسان نفسه أو روحه، وقد يرعى ذاك الاكتشاف أم يُرعى وربَّما يزول للفناء العتم دون عناية كل الزروع تبلى، الشعر، كما اللغة، إن لم نعتن بها ستجف، وتصير قشًا يابسًا ينتثر مع الهواء من غيره، أو تضيع الموهبة في الهباء، أعتزُّ بما كتب الشاعر صفحة (٦٣) لـ " كارل ساندبرج": الشِّعر يوميات يكتبها كائن بحري يعيش على البر حالمًا بالطيران. يقول الشَّاعر: "الموهبة نظام صارم وصبر طويل" أورد الشاعر في صفحة (٦٤) الفرق بين كتابة الشِّعر وكتابة المشاعر، ويردف:" القصيدة تجربة وليست مجرَّد مشاعر"

آهات التاريخ الفلسطيني؛ تطرَّق لها الشاعر من خلال بعض الأحداث عن الفترة التاريخية الممتدة من سبعينات القرن العشرين حتى وقتنا الحالي محاكيًا الأحداث السياسية والاجتماعية فقد ورد ذكر للانتفاضة الأولى عام (١٩٨٧م) وماجرى من تحولات في القيادة المجتمعية وكيفية تربع السياسي على مقعد القرار ما بعد أوسلو، بالمقابل عزل المثقف وتنحيته بعيدًا، رغم قدرة الحركة الثَّقافيَّة على الخلق والابتكار والتغيير وكذا التطوير في المجتمع، يذكر حواره مع الشاعرة فدوى طوقان عندما أشار عليها بسؤاله صفحة (٧١): من حفظ الوطن أكثر؛ الثقافة أم البندقية؟ فكان جوابها الثقافة ثمَّ البندقية، وتخلَّل ذلك نقاش غياب أدب المقاومة، وامتدَّ الشاعر بطرحه حتى يومنا هذا وغياب دور المثقَّف تمامًا من المشهد الوطني، حتى أنه قد أشار لدور المثقف في افساد المشهد الثقافي بتكبير الصغير وتصغير الكبير، وما آلت إليه العملية الترويجية ومكافأة الكاتب ومنح الجوائز ولجان التحكيم، إن ما جاد به شاعرنا من فترة ثمانينات القرن العشرين لم يزل لليوم على حاله، وإن تجرَّأنا لنسأل أنفسنا: لماذا؟ ستكون الإجابة: لا أحد غيَّر ساكنًا، ربما الكل راضٍ، البعض، الأقل أم الغالبيَّة المتفرِّجة، المتمعضة، المغموسة، المعنيَّة بالتجهيل! أوسلو حسب رأي شِعريارنا كان فسادًا وطنيًا وثقافيًا.

بداية المبدع وأستاذ معاون (علي الخليلي) أم وفاء الطالب للمعلِّم؛ رغم تحدُّث الشاعر بأكثر من موضع في الكتاب بأنَّ الابداع مجهود فردي، وبأنَّه لا ضرورة للأب الثَّقافي كي يكبر الطفل المثقف ويصير رجلاً صلبًا في المجال، إلاَّ أنني أعتبر ومن منظوري الشخصي بأنَّ ما ذكره من أسماء وكبار في الأدب ما هو إلا الوفاء لمن عاصر هو من آباء اللغة، لكنَّ الفرق في الجيل الذي يتحدَّث عنه شاعرنا والجيل الذي أعاصره أنا، كما الفرق بين السَّماء والأرض، حيث أنَّ الأب يحتاج لابنه كي يعكزَّه في مسيرتها الثَّقافية، وهنا لا أعمم فهناك أبناء شبه مثقفين يظنون أنفسهم عمداء وقادة للثقافة، وأستغرب من هؤلاء حقًا من هشاشتهم والخواء الذي بهم، كيف لا يخجلوا وينسحبوا من المشهد كله؟ يقول شاعرنا صفحة (٦٨) لمعلِّمه خازن الأدب في خوابي القلب- علي الخليلي: "يا أمير النَّقاء، كم يكلِّفنا الوفاء؟ بل كم أتلفنا عدم الوفاء". حقًا كلمات لؤلؤيَّة، وكم أتلفنا عدم الوفاء؟

من أجمل التعريفات التي ورد في سيرة الشاعر، تعريف القراءة "فعل تنويري، تثقيفي، كاشف، فاضح لاتغطى فضيحته ورقة من كتاب"، "الكتابة فرح"، "اللغة لعبة الشاعر في تجليات غير مسبوقة."

من هو الشاعر، مفهوم الشِّعر أم الشِّعر المفهوم؟ نهج قدَّمه الشَّاعر في قراءة الشعر وفهمه وتحليل أبياته، لقد وضَّح الشاعر طبيعة مهاجمة كل جديد وعدم قبوله لأنه يعارض الأقدم، كما وأشار لكيفية بقاء الجديد ليفرض نفسه، ووجوده، وتطرَّق للمنعطف الهامّ في تحوُّل الشِّعر لنوع جديد وهو النَّثر الحر الذي يعتبرونه شعرًا، يقول في صفحة (١٤٤): "إنَّ القصيدة بالنَّثر وليس قصيدة النَّثر، وأي قصيدة يجب أن تنبني من إيقاع اللغة الأصيلة". الشاعر في سيرته قدَّم سبلا بسيطة وغير سهلة، تمكِّن السَّالك لها من غايته في صيرورته للشِّعر ذاته. ويشرح مسهبًا ذلك في قصيدته صفحة (١٤٧) بعنوان: نتوءات مائيَّة. حيث كانت القصيدة بالنَّثر الميلاد ثمَّ بعدها تابع الشَّاعر كتابة عدة مجموعات من هذا النَّسق.

الشِّعر المائيُّ، غزَّة والقصيدة الأولى بالنَّثر، مصر ووجه النِّيل؛ بدا واضحًا عمق تجربة شاعرنا وأدباء وصحف كانت هناك، كما في المقطوعة التي تحدَّث خلالها عن زيارتة لمصر بعد عناء طويل، كأنَّه الشِّعر المسافر عبر الماء على متن ظهر شاعر ربَّان، لقد بدا خلال سيرة محمد الريشة مراحل انطلاقه، اصراره وثباته مع المثابرة، بلوغًا لموانئ القفزات الفرديَّة التي نجح بها تباعًا، مرورًا بتجاربه في الترجمة، وقوفًا عند سيرته التي وضعها الآن بين أيدينا دونما توَّقف، بقي هذا الانسان يرعى أزهار الكلمات لأجل تأمين الرَّحيق لنحل الشِّعر فيه. يقول صفحة (١١٣): "النِّيل يبللني، لأظمأ ثانيَّة/ النِّيل يشربني، لأقرأ صوته/ النِّيل يكتبني، على البردِّي منسابًا إلى رئتي، إليه/ فالماء لفظته، وآيته الشَّفق/ لمَّا يزْل/ ينساق في جسدي/ كأنَّا واحدٌ/ نحو الغرق.

وليمة دسمة المذاق؛ السيرة الشعرية بدت روائية سردية، متسلسلة في اضرام نيرانها، ومشوِّقه في اقتحام أبوابها، أنيقة في تتويج كلماتها، رصينة في اختيار أماكن حديثها، ذاك الأمر الذي يدفعني للتَّساؤل: إن كان ذاك هو محمد حلمي الرِّيشة وسيرته الشِّعريَّة (

نموذج) لم لمْ يُحتذى به داخل فلسطين حتَّى الآن؟

لقد أخبرني الشاعر بأن الكتاب " قلب العقرب" سيرة شعر سيدرس في جامعة المغرب بعد أن أطلقت مسابقة باسم الشَّاعر، تتوالى اغداقتها وتعتمد الكتاب كمخصص أكاديمي! وفي استراليا كرِّم الشَّاعر وشعره كشخصيَّة عام، وتلا ذلك التتويج في استراليا وجائزة المهاجر العالمية للفكر والآداب، لكن هذا يسوقني لما أفاض به الرِّيشة في صفحة (١٩٥) ما يسرُّ القلب من الغرب، ردًا على أحد الحساد كما وصفه الذي استكثروا على شاعرنا التكريم بجائزة تسمى باسمه في كلية تطوان، يقول: "يبدو أنني لم أعرف بعد بأنني لم أزل موظفًا أتنقل يوميًّا، لأكثر من أربع ساعات، بين مدينتين هما (نابلس) و (رام الله) في فلسطين المحتلَّة، عبر كمائن جيش الاحتلال وحواجزه"." هنا في فلسطين المحتلة، لم أعدم ردود أفعال انفعاليَّة فصاحبنا في مدينة الضَّباب هناك، حيث انعدام الرؤى والرؤية". كل ذلك يعيدنا للعبارة الكافيَّة: " خسارة؛ قيمتنا الثَّقافيَّة خارج فلسطين أكبر"، أهو الغياب أم التغيِّيب المقصود لأجل فلان وفلانة.. لا أدري.

رصانة اللغة جعلتها عالية الأنفاس؛ نقيَّة، واعيَّة، مترفِّعة عن المبهم، مألوفه للمبتكر والمبدع، كل ذاك التكوين وحرص الشَّاعر على اخراجها بلا أخطاء لغويَّة ونحويَّة جعل هذه السيرة تزداد بريقًا، وتؤكد ضرورة اعتماد شِعريار فلسطين عنوانًا علنيًا عندما نتحدق عن شعر هذه الأيام.

الفلسفة الخاصة؛ بدت هذه سمة منسابة على كافة أطروحات الشاعر خلال سيرته، إذ كانت له دلالتها المميزة مثل: الطَّمث الشعري، يسرُّ القلب من الغرب، الجائزة تفوز بي، مفهوم الشِّعر أم الشِّعر المفهوم، زجاج عينيه، سيرة شعرية وليس سيرة شاعر، وغيرها.

بيت الشِّعر والمحطَّة غير الأخيرة؛ ١٤ عامًا عمل ويعمل محمد حلمي الريشة في بيت الشعر الفلسطيني، وقد بيَّن شاعرنا المهام الموكلة إليه وطبيعة حياته بعد وجوده في هذا البيت الذي ربَّما كان قد علَّق على سطحه العديد من الآمال، لكن، ما أضاف بيت الشِّعر لشِعريار إلا أسماء أخرى كبيرة في المجال، وكذا تجارب وأفكار عميقة في الشِّعر وغيره،

كسائر الأمكنة، أينما تحل تستفيد، وقليلاً ما لا تستفيد، فقط إذا عرفت أين تتجه، ولمن تكون الوجهة؟ كما تطرَّق الشَّاعر للصداقات الأدبية في فلسطين اليوم وقارنها بالصَّداقات أمس، ومايز بالفروقات الكبيرة بين الفترتين، إذا عدَّ الثَّانية أفضل، لأنَّها مثمرة. يقول عن هموم المبدع الفلسطيني صفحة (٢٤٥): "أنَّ المبدع الفلسطيني لا يزال أسيرًا لحاجاته الضَّروريَّة، ولايزال غير قادر على امتلاك حقه من الحرَّية الإبداعيَّة، لا يزال حيِّز الطِّباعة ضيِّق جدًا وهو في الأغلب على حسابه الشَّحصي، لازال غير قادر على العيش من ابداعه للتفرُّغ له. أحداث كثيرة يمرِّرها الشاعر هنا عن سيرته الذَّاتيَّة، وعن الحصار في الانتفاضة الثَّانية وعزل رام الله عن نابلس، وعزل المثَّقفين أنفسهم لأنفسهم.

الملحقات من صفحة (٢٧٣) إلى صفحة (٣٥٠)؛ تلك النُّصوص الشعريَّة مررت عنها لأستزيد من حلو ما يطرحه الشاعر، فوجدت في البعض شوقًا وغزلاً لزوجته، حبيبته، رفيقة ألمه، فاتن، القصائد لطيفة ذات لغة فنيَّة، رقيقة ومتماسكة، أذكر مما أعجبني: نجمة البنفسج، الصَّدى، غربة الآهات، لستها قالت أحد! وغيرها. يقول صفحة (٢٩٠): إلى متى أظلُ عاشقًا لروحها، بدون أن تكون لي؟/ إلى متى يغيب قربها، وينجلي فراقها، بدون أن تكون لي؟ إلى متى أظل حائرًا كقطرة من النَّدى/ أموت بالضِّياء/ أعود للسَّماء/ بدون.. أن تكون .. لي؟

يقول صفحة (٣٢٧): "من زمنٍ لم تكتب في الحبِّ قصيدة! / قالت لي العرَّافة يومًا وأجبت بصمتي/ هل خذلتك الدُّنيا أم سيقت للشِّعر هموم/ أقرأ أنَّك ترحل/ ترفُل بالصَّمت وبالأحزان/ والنَّبع قريبٌ/ أقرب من وجعٍ في الشِّعر/ اغسل ذهنك من شوقٍ جارف/ تفسلها الرُّوح/ وتغسله جسدك". بدا الشاعر في قصائد الملحق متعلِّقًا بمحبوبته فاتن التي رافقته طيلة حياته وتكبَّدت مشاق البلوغ لهذه السيرة التي فاح لها من خلالها الوفاء، مع ملاحظة قدم هذه القصائد التي لولا ذاك الدَّفتر وفاتن لما كنت بين يدينا.

قبور المثقفين العرب للدكتور عبد الستار قاسم

القدس: ٢٨-٨-٢٠١٤ ناقشت ندوة اليوم السابع الثقافية المقدسية كتاب"قبور المثقفين العرب" للدكتور عبد الستار قاسم، ويقع الكتاب الصادر في نابلس عام ٢٠٠٦ في ١٤٥ صفحة من الحجم الكبير.

ومما قاله **عبدالله دعيس:** إن نظرة خاطفة لحال الأمة العربية اليوم ولدور المثقفين فيها، يجعلنا نقول: ليت المثقفين ناموا في قبورهم وتركوا الأمة تحاول النهوض، لكان من الممكن أن يظهر من أبنائها من يقودها إلى العزة والكرامة والسؤدد. ولكن الحقيقة أن كثيرا من المثقفين تحولوا إلى معاول هدم ينبشون في خاصرة الأمة حتى أصبحت في ذيل الأمم.

تحدث المثقفون عن الحرية كثيرا، وعندما نهض الناس ليتنفسوا نسيم الحرية، تنكروا لها، وانضووا تحت راية أعدائها، فكانوا عونا للحكام وأداة للغرب لبسط نفوذه وتحقيق مصالحه دون أن يرفع سلاحا أو يسيّر جيوشا.

تحدث المثقفون عن التقدم والازدهار، فكانوا سدّا في وجهه عندما تعلقوا بذيول الغرب وتخلوا عن تاريخ أمة زاهر.

تحدث المثقفون العرب عن التعصب الديني، وحاربوه، ثم أصبحوا أكثر الناس عصبية لأفكار غريبة عن الأمة وتاريخها. خلقوا لأنفسهم دينا جديدا أسموه العلمانية، أو ما شاؤوا من الأسماء، فكان الركن الأول من أركان هذا الدين الجديد هو اقصاء الآخرين.

جبن المثقفون فما قاموا لإنكار منكر ولا لإحقاق حق. وركن بعضهم إلى سلاطين يعلمون

قطعا ضعفهم وخيانتهم وخذلانهم لأمتهم من أجل متاع دنيوي زائل. وأتقن كثير منهم فن التملق والنفاق والكذب، فخرجوا علينا في وسائل الإعلام يكذبون ويكذبون ثم يصدقون أكاذيبهم.

وآخرون يئسوا من الإصلاح لما رأوا صولة الباطل، فانزووا في أقبيتهم يلعنون الظلام ولا يضيئون للحق شمعة. ومنهم من اختار الهرب والعيش بعيدا عن أمة تتنكر لكل من يحاول أن يبث الروح في أوصالها الخامدة، فهاجروا إلى بلاد يستطيعون أن يتنفسوا فيها شيئا من الحرية الزائفة.

وآخرون أتقنوا فن الكلام لكنهم لم ينسجوا بالأفعال سربالا، فكان كلامهم مخدرا لأبناء الأمة، موهما الآخرين أن هناك من يقوم بالمهمة.

وكثير من المثقفين رموا أنفسهم في أحضان الغرب، مقلدين دون إعمال عقل، وتخلوا وترفعوا عن أبناء أمتهم، فسقطوا، وكانوا سوطا في أيدي الغرب يضرب به كل حلم للأمة بالنهوض.

ومن المثقفين من انغلق على فكرة وتعصب لها حتى لم ير غيرها؛ جمد في ماض بعيد عن تحديات الحاضر، أو انغلق على فكرة لفظها أهلها ومبدعوها.

لقد هرع كثير من المثقفين إلى المأدبة الأمريكية يلتهمون علفها، فاستسلموا للإرادة الأمريكية وداروا في فلكها، ونصّبوا أمريكا إلها من دون الله، فأصبحت أمريكا في نظرهم كأنها تدير الكون، وأصبحت غايتهم أن يكسبوا ودّ أو شفقة أمريكا، ولو على حساب أبناء أمتهم، وأصبحت قرارات وإرادة أمريكا كأنها قدر يجب أن نستسلم له. فمن رفع عصا العصيان في وجه الطغيان تصنفه أمريكا إرهابيا وكذلك يقول عبادها من المثقفين ثم يبررون لحكامهم القمع والاستبداد. أما الواقعية فهي تلك التي يمكن أن ترضى بها أمريكا ومن قبلها "إسرائيل" وما عدا ذلك فهو ضرب من الخيال وتطرف في نظرهم.

ليت هؤلاء المثقفين يغيبون في قبورهم ويتركون الأمة تصنع مجدها من جديد بعيدا عن

خنوعهم وانحرافهم.

ثلة من الحكام الضعفاء يحكمون أمة مترامية الأطراف، وهل يحكم الضعيف قويا؟ ما حكمها أولئك إلا لأنها أمة ضعيفة مترددة مهزوزة مهزومة.

لكن حركة التاريخ تقول أن أصحاب القبور لا يخرجون منها بل يفنون ويغيبون عن الوجود، أما النائم فلا بد أن يستيقظ، والغافل لا بد أن ينتبه، والحق لا بد يوما أن يسود. لقد بدأت الحركة تدبّ في أوصال العالم العربي، وكسر حاجز الخوف بين الناس وبين الحكام الخونة، وانفضحت عورة المتآمرين والمتخاذلين، وبدأ ربيع الأمة يزهر. يقاوم الباطل زهرها ويريد له أن يذبل، ويكشر عن أنيابه ويحاول أن يئد الحق، لكن دروس الطبيعة تقول لنا أن الزهرة ستتحول إلى ثمرة، وأن الطفل إذا تعثر بعد خطواته الأولى فلا بد لساقه أن تشتد ويبدأ بالعَدْو، فربيع الأمة قادم بإذن الله، رغم الانتكاس ورغم ما يبدو من انتفاخ للباطل.

وبكلمات الدكتور عبد الستار قاسم: عندما تخرج الأمور عن سيرها التاريخي العقلاني وتتحول إلى ظلم واستعباد، فإنه من المتوقع أن يأخذ الوعي دورته ليتحول إلى وعي عملي يقلب الطاولة على رؤوس الظالمين".

إن انتصار المقاومة الفلسطينية على آلة البطش الصهيونية وصمودها أمام العدوان، ليبعث روح الأمل في هذه الأمة، وهنا يصبح واجب المثقفين أن يخرجوا من عزلتهم وأن يقفوا في وجه الطغيان، ويقولوا كلمة الحق لا يخشون لومة لائم، فهذا العدو الغاشم بجيشه الجرار وعتاده وعدته، لم يستطع أن يفل حديد المقاومة الذي بنته بإمكانيات ضعيفة، فأنى لأولئك الضعاف الذين نصبوا أنفسهم علينا حكاما أن يسرقوا فجر أمة قررت أن تنهض من سباتها!

وقال **عماد الزغل**:

يطرق الدكتور عبد الستار قاسم في كتابه " قبور المثقفين العرب" مسألة قديمة جديدة، هي جدلية العلاقة بين السياسي والمثقف، وضياع النخبة من المثقفين العرب الذين يعول عليهم

النهوض بأمتهم نحو المجد والكرامة والتخلص من التبعية السياسية للغرب، حيث يقعون فريسة لأمراض نفسية واجتماعية كالجبن وضعف الشخصية والانعزال والنفاق والتزلف وبيع المبادئ إلى العشائرية والقبلية والفهم الخاطئ للدين والتطرف وغيرها.

لقد كان السياسي قديما هو المثقف، فلم يكن هناك فصام بين السياسة والثقافة، وكان رأس الهرم السياسي للسلطة مثقفا عالما، فشهد تاريخ العرب والمسلمين شخصية عبد الملك بن مروان والمأمون وغيرهما حيث كان المثقف والسياسي وجهان لعملة واحدة، وكان في الأندلس لسان الدين بن الخطيب يلقب بذي الوزارتين؛ وزارة السياسة ووزارة الأدب، مصداقا لقوله صلى الله عليه وسلم: "تفقهوا قبل أن تسودوا".

ولم يحدث هذا الفصام النكد في شخصية السياسي المثقف أو المثقف السياسي إلا بعد أن انتزع العسكر رأس الهرم السلطوي في العالم العربي، والعسكري ضحل الثقافة باطش اليد، يحاول أن يعوض عن ضعف الثقافة ببطش الاستخبارات وقوة العسكر، بل أن بعض العسكر حاول أن يرتدي ثوب المثقف ففشل فشلا ذريعا، وما القذافي عنكم ببعيد.

ومعظم الأنظمة الشمولية في العالم كان يرأسها السياسي غير المثقف، وكان يطيح بالمثقفين والعلماء الذين يخالفون سياسته نفيا أو سجنا أو قتلا أو تشريدا، فبطش ستالين بتروتسكي، قضى صدام حسين على كل خصومه من العلماء والمثقفين، ومثله نظام حافظ الأسد وغيره.

وقد أعاد الربيع العربي اليوم السيادة للمثقف، وعاد المثقف ليرأس الهرم السياسي في تونس مثلا حيث أصبح المنصف المرزوقي العالم والمحاضر والباحث رئيسا للسلطة السياسية في تونس، وأصبح محمد مرسي عميد كلية العوم رئيسا لمصر لولا أن بطش به العسكر.

أما عبد الستار قاسم فهو مثال للمثقف الذي يتحدى الساسة، ويقف لهم بالمرصاد ويعري خيانتهم وفسادهم، فهم مثال للمثقف النخبوي الذي يتصدى للسياسة مثله مثل الكثيرين من المثقفين الذين وقفوا الموقف نفسه في العالم العربي؛ فغابوا وراء الشمس وأكلت الزنازين أجسادهم، ولولا لطف الله به لأصبح قتيلا بيد الغدر والجهل والعصبية المقيتة.

إن كتاب الدكتور عبد الستار قاسم الذي أظن أنه قد طبع قبل الربيع العربي، يحتاج إلى إعادة نظر في أحوال المثقفين العرب، فالمثقف العربي قد قاد وبكل نجاح ثورة مجيدة على النظام العربي العفن، وفي هذه الجولة استطاع العسكر وبدعم من أمريكا أن يعودوا إلى السلطة ولا سيما في مصر واليمن؛ لأن المثقف التنويري لن تصب سيادته في مصلحتها.

لقد وقف الدكتور عبد الستار محللا وضع المثقفين الإسلاميين وصنفهم إلى أكثر من صنف واختار لهم من قبور الكهنوتية والسطحية والسلفية ما شاء، وكأنه يريد القول إن المثقف الإسلامي لا بد له أن يكون عمليا واقعيا وسطيا معتدلا، ولكنه لم يخبرنا كيف تكون مواجهته أمام النظام، فإذا كان لا يمكن له أن يخوض التجربة الديمقراطية، لأنها ليست أخلاقية كما يقول الدكتور وليس له أن يستخدم العنف، فكيف له أن يصل إلى السلطة؟

ألقاه في اليم مكتوفا وقال له   إياك إياك أن تبتلّ بالماء

إن المثقفين العرب لا بد أن يكون لكل واحد منهم قبر قد دفن نفسه فيه، ولكن في النهاية لقد أثبت الواقع العربي الجديد أن المثقف يحرك الشارع والجماهير ويقود الناس إذا أراد.

إن أمريكا تحذر دائما من الزعيم المثقف ولا تحبه في العالم العربي، ولذلك اختارت أن تكون قيادة الأردن بعد الملك حسين للملك عبد الله بن الحسين وليس للأمير حسن، لأنه يعتبر نموذجا للسياسي العربي المثقف الذي يتخذ قراره بناء على رؤيته وثقافته العربية والقومية والإنسانية.

إن خلاصة دور ما ينبغي أن يكون عليه المثقف هو الأمانة التي أوجزها قوله تعالى: "وإذ أخذنا ميثاق الذن أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه".

وجرى نقاش مطول شارك فيه عدد من الحضور منهم: ابراهيم جوهر، جميل السلحوت، ديمة السمان، رفعت زيتون، سوسن عابدين الحشيم، رشا السرميطي، ماجدة صبحي، طارق السيد، رائدة أبو صوي، وماجد الماني.

ديوان "رسالة من مولاتي" للدكتور معتز القطب

القدس:٤-١١-٢٠١٤ ناقشت ندوة اليوم السابع الثقافية الأسبوعية الدورية في المسرح الوطني الفلسطيني في القدس ديوان "رسالة من مولاتي" للشاعر المقدسي الدكتور معتز القطب، وقد صدر الديوان في القدس قبل أيام قليلة، ويقع في ١٠٠ صفحة من الحجم الكبير، ويحتوي ٣٠ قصيدة عمودية. وقدّم له الدكتور مشهور حبازي والناقد ابراهيم جوهر.

بدأ النقاش **ابراهيم جوهر** فقال:

معتز علي القطب في ديوانه الجديد "رسالة من مولاتي"

ينتصر لمدينة الصلاة والروح والحياة

تحضر (القدس) حضورا لافتا في شعر الدكتور الشاعر معتز علي القطب، فهو يسأل عنها، ويستنهض القوم ليلتفتوا إليها وينقذوها ولا يكتفوا ب(الزيت) لأن الزيت تسبقه الفتيلة! ولا فتيل في المدينة.

القدس تتربع على عرش قلب الشاعر وكلماته وروحه، منها تنطلق الحياة وفيها المحشر والمنشر والحساب. هي أمّ البدايات وأمّ النهايات. على أرضها كانت بداية الصلاة وهي تشهد اليوم هذا النسيان والإهمال وتعاني وحدها خطر الموت القادم.

الشاعر هاله الذي يجري في مدينته فانتصر لها معليا صراخ القلب في صورة رسالة من مولاته، ولا مولاة له إلا القدس. لذا وجدت غضبا واستنهاضا واستفهاما بلاغيا إنكاريا

يتعجب به ويستفزّ قارئه ليذكّره بواجبه ورسالته ودوره.

القدس عند الشاعر ترسل رسائلها وتذكّر من لا يتذكّر لكي لا تدع له مجالا للادعاء بأنه لم يدر! ولم يسمع! ولم يصله صوت الاستغاثة الذي بح مناديا: وامعتصماه...

استوقفني الشاعر معتز القطب في رسائله هذه من القدس إلى الناس الأحياء وأشباه الأحياء، كما استرعى انتباهي جملته التصديرية التي تغاير ما درجت دور النشر والطباعة على تدوينه فى الصفحة الأولى من أي كتاب يصدر وهي تحذّر من إعادة الطباعة أو النسخ والتصوير.....

الشاعر الغاضب الصادق في عشقه وفي غضبه وانتمائه صدّر ديوانه هذا الذي بين أيدينا بتعميم جاء فيه إنه (وقف لله تعالى لمصلحة مدينة القدس) وهو يسمح بإعادة إصداره بشرط (أن يقتصر النفع المادي والمعنوي على مدينة القدس الشريف) مكتفيا بحفظ حقوقه الأدبية.

الفكرة الجديدة هنا وهي تغاير السائد المألوف تجيء استكمالا لأسلوب الشاعر في قصائد هذا الديوان.

القصائد هنا ذات نفس ملحمي يعود بالقارئ إلى التاريخ ويتناصّ مع القصص القرآني والفلك والطوفان بلغة سهلة أليفة لا تعقيد فيها ولا غموض. فأسلوب الشاعر يتقصّد السهولة والبساطة في التعبير وكأني به يقول: إن قضيتنا سهلة التناول والحل، ولكنكم تستمرئون الخوف والقعود!

والقارئ سيستذكر لغة شعراء أحبهم ؛ سيجد أبا القاسم الشابي، وحافظ ابراهيم، وأحمد شوقي. وسيطرب مع موسيقى الشاعر وهو يتخيّر بحوره الشعرية المناسبة.

وسيقف على أساليب فنية اعتمدها شعراء العصر العباسي المشرق من القصة الشعرية والحوار والاستفهام والتكرار بهدف التوكيد، وحروف الإطلاق والقافية التي تحمل همّا

ونغما وإيحاء.

الشاعر هنا لا يعجب بما بات عدد من الشعراء المحدثين يعجبون به، فلم يعمّ في لغته، ولم يستعن بأساطير لا يفهمها جمهور الشعر المحلي، ولم يعمد إلى صور مركبة ولا رموز معمّية، بل اكتفى بالوزن الكلاسيكي واللغة قريبة التناول والتأثير مذكّرا بثقافة القارئ الدينية وثقافة الشاعر القرآنية.

وسيجد قارئ هذا الديوان الغزل بالمدينة وهي تتجسّد أنثى حصانا معطاء. كما سيتحاور مع المرأة رمز العطاء وبعث الحياة والتربية، فتكون الأم رمزا لكل الجمال والقيم.

القدس في هذا الديوان تتسوّد المشهد لأنها في خطر. والشاعر هنا يحفر اسمه في سجلّ عشاق القدس الصادقين.

وقال **جميل السلحوت**:

حظيت القدس بكتابات أدبية تراوحت بين القصيدة والقصة القصيرة والأقصوصة، والرواية والمسرحية، أكثر من أي مدينة أخرى، ولا غرابة في ذلك، فالقدس هي جوهرة المدائن، كونها مدينة عربية، وجزء من العقيدة الاسلامية، ففيها المسجد الأقصى قبلة المسلمين الأولى، ومعراج خاتم النبيين، وأحد المساجد الثلاثة التي تشد اليها الرحال، وفيها كنيسة القيامة احدى أشهر الكنائس المقدسة لدى المسيحيين، اضافة الى عشرات المساجد والكنائس والأديرة والمدارس والمقابر التاريخية. فكل حجر في القدس يحمل عبق تاريخ عربي لا يكذب. والقدس أيضا هي عبر التاريخ العاصمة السياسية والدينية والتاريخية والاقتصادية والثقافية والعلمية للشعب الفلسطيني ودولته العتيدة.

وشاعرنا الدكتور معتز علي القطب، ابن مدينة القدس ليس استثناء، فالقدس التي ولد وترعرع فيها أبا عن جدّ تسكنه كما هو يسكنها، وتكاد تكون قصائده حكرا عليها، حتى أن ديوانه الأول يحمل عنوان"آخر صورة لمولاتي" وهذا ديوانه الثاني "رسالة الى مولاتي" ومولاته وسيدته هي القدس، مدينته التي يسرق تاريخها وثقافتها أمام ناظريه كما سرقت

جغرافيتها. ولا عجب في ذلك فمدينة القدس تسحر وتسلب قلب وعقل زائرها، فما بالكم بمن ولد وترعرع فيها؟ وشاعرنا القطب يعتبر القدس سيّدته وعشيقته وبالتالي هو وفيّ ومحب لها الى درجة الوجد والهيام.، ومعه الحق كله في هذا الفهم الذي يدلّل على عمق وأصالة الانتماء.

وفي ديوانه هذا يهيم الشاعر بمدينته المقدسة، ويراها فتاة حسناء يتمنى في أكثر من موضع، وأكثر من قصيدة أن يضمها الى صدره مثل قوله في قصيدته"متى أضُمّ القدس؟" ص :٣٠

متى أضمّك يا أحلى مدائننا...وأطفئ الشوق والتحنان واللهبا

أقبّلُ المسجد الأقصى وأحضنه...وأمسح السور والأبواب والقببا

ويواصل قوله:

ما زالت القدس أحلى ما بعالمنا...كدرّة تلبس الألماس والذّهبا

بل انه يرى نفسه في حبه للقدس كقيس بن الملوح"مجنون ليلى" في حبه لليلى فيقول في قصيدته"قيس والقدس"ص :٢٠

أنا قيس وأرض القدس ليلى...وأطمع أن أكون غدا فتاها

أدللها وأفديها بروحي...حبيب قد تجلى في هواها

متى يا رب تجمعنا سويا...فإن القلب لا يهوى سواها

وفي هذه القصيدة يبدو واضحا مدى تأثر الشاعر بغزل قيس بليلى خصوصا قوله:

سألت الله يجمعنى بليلى...أليس الله يفعل ما يشاء!

والقارئ لديوان الدكتور القطب يرى فيه العاطفة الدينيّة الصادقة، والمبنية على الوعي الشّرعي والثقافي والتاريخي للمدينة، وهي يستغل ذلك في بناء مشروعه الشعريّ. ولن يجد

القارئ للديوان قصيدة بعيدة عن الفهم الديني.

والشعر في قصائدة لا ينسى معالم القدس وأحياءها، فهناك قصيدة عن حي الشيخ جراح وأخرى لقرية سلوان لتعرضهما لسياسة تهويد مبرمجة ومركزة، وكذلك قصيدة لمقبرة مأمن الله في القدس الغربية والتي تعرضت لسياسة تجريف مؤلمة اقتلعت فيها عظام الموتى المسلمين ممن شاركوا في الفتح الاسلامي للمدينة، ورفات أعلام وأعيان القدس، اضافة الى رفات ٧٠ ألف مقدسي -هم سكان القدس في حينه- الذين قتلهم الفرنجة الذين احتلوا المدينة عام ١٠٩٩م وهم يحتمون بالسجد الأقصى.

الأسلوب: الشاعر معتز القطب لا يكتب الا القصيدة العمودية، ويبدو أنه غير مقتنع بالشعر الحرّ، أو هو لا يريد الكتابة به، وهو يعمد الى استعمال أكثر من بحر من بحور الخليل بن أحمد، ومع أنه يملك موهبة شعرية واضحة، إلا أن بعض قصائده ليست بعيدة عن النظم على حساب الشعر.

وقال **عبدالله دعيس**:

د. معتز علي القطب، ابن القدس يتغنى بمدينته. يعبر عن حبه الشديد لها، وعن هيامه بتربتها وحجارتها، ومساجدها الشامخة وكنائسها العتيقة. يطوف أحياءها، وكأنه يتحسس عروق الحياة فيها بعد أن دنسها محتل أثيم، فيعبر عن حزنه العميق وألمه الشديد بسبب ما تقاسيه مدينته تحت نير الاحتلال. لكنه لا يخفي أمله في مستقبل زاهر للمدينة، فهو وإن كان يعتب على المسلمين لتقصيرهم في تحريرها، إلا أنه يؤمن بأن هذه الأمة لن تنام على الضيم طويلا.

يلخص الشاعر هذه المشاعر في الأبيات التي يفتتح بها ديوانه

إني أريد لأرضي أن تسامحني   فلست أملك غير الدمع أعطيها

عسى جدودي متى جاورت مدفنهم لا يسألوني على أرضي فأبكيها

ما زلت أرجو لأرض القدس مفترجا يأتي قريبا يعيد الدار يحييها

فإن كان ابن الرومي شهد سقوط البصرة فرثاها، ورثى الرندي الأندلس فخلد ضياعها، فمعتز القطب شهد مأساة مدينته فازداد حبه لها وتعلقه بتربها. فرثاء المدن ليس عنوانا لديوانه وإنما عشق القدس وحب الوطن هو العنوان.

يفتتح الشاعر ديوانه بمناجاة رائعة لربه، تعيد إلى أذهاننا قصائد الغزل الإلهي، ويعلن إيمانه العميق وحاجته إلى رحمة ربه، ويقف معتذرا عن ذنوب اقترفها. ثم يمدح الرسول صلى الله عليه وسلم بقصيدة يعبر فيها عن حبه له، وعن امتنانه لدعوته، ويبين خصائله ومزاياه

يا أعظم الناس في الأفعال أجمعها الناس دونك يبدو فعلها عدم

اعتدنا أن يرمز الشعراء للأرض بالأم التي تعطي بلا حدود، لكن الشاعر معتز القطب جعل القدس عشيقته، يهيم بها ويلثم ثغرها ويتمنى أن يغيب في ثراها. والعاشق لا يخون معشوقته

أنا لن أخونك في الحياة وبعدها جسدي سينعم هانئا بثراك

يهيم الشاعر في القدس ويعشقها ويتفانى بحبها، فهو يؤسس هنا لغرض شعري جديد هو غزل المدن. يشبه حبه للقدس بعشق قيس لليلى العامرية في عمقه وتفانيه، وحب عنترة العبسي لعبلة في شجاعته بالدفاع عنها. فقد جمع بين الحبين، وفاق حبه عشقهما معا فلله دره من عاشق ولله درها من معشوقة.

يتألم الشاعر لخذلان العرب للقدس وتباكيهم عليها، فالقدس حزينة تنتظر من يهب لتحريرها من أبناء أمتها، فهي تحتاج من يصلح سراجها لا إلى من يهديها زيتا. وشمس

القدس قد أصابها الكسوف، لكنها لن تستسلم للغياب، فغيابها ليس ليلا تطول عتمته، وإنما كسوف سرعان ما يزول.

وسفينة القدس تسير في بحر متلاطم الأمواج، تنتظر ربانا يقود دفتها إلى بر الأمان، وغصن زيتون تحمله حمامة من مسجدها الأقصى لكي يعمها السلام. والقدس تحنو على أهلها، رغم مصيبتها، فهي تحملهم في سفينتها كي تنقذهم. وكما أنقذت سفينة نوح الحياة بعد أن جرفها الطوفان، فستعود القدس لتكون شعلة الحياة التي تنقذ الإنسانية من سقوطها في وحل الظلم والطغيان. فشاعرنا، ابن القدس، يغني للقدس، ويجعل القدس محور حياته وغاية شعره: تنطق لسانه وتحتل جنانه بلغة عذبة رقيقة، وصور بسيطة واضحة. فقصائده أصيلة كأهل المدينة البسطاء في انتمائهم، تمتد جذورهم إلى ماض سحيق يعتزون به ويحبون مدينتهم ويعشقونها ببراءة طفل وقلب شاعر وساعد بطل مغوار.

وقال **رفعت زيتون:**

مهما انهمرت القصائد فوق ثرى القدس سنشعر بالتقصير دائما، لأن القدس تستحق منا دائما الأكثر، تستحق الكلمات وتستحق الرجال والأرواح. ولا عجب أن نجد

للقدس كل هذه الأعداد من العشاق وهي جميلة الجميلات. ومن أحق في عشقها

أكثر من الشعراء؟

وشاعرنا الدكتور معتز هو أحد هؤلاء، كيف لا وهو من ولد فوق ترابها ورضع

حبها وتربى في حواريها وعايش فرحها وترحها.

ها هو يطلّ علينا اليوم بحبّه الجديد للقدس ربما من تجديد العهد والبرّ لها أمّا وحبيبة

وهذا ما كان جليا في قصيدة قيس والقدس وأظنه كان موفقا في هذا الربط بين القدس والحبيبة وبينه وبين شيخ العشاق قيس، وكأنه يريد أن يقول أن حبي للقدس

بلغ بي مبلغا كالذي بلغ من مجنون ليلى وقد أعجبني هذا البيت الذي يقول فيه

ستدرك كلّ أنثى ذات يوم... بأنّ الحسن يؤخذ من نداها

ثم يأتي على جرح ليلاه التي أتاها غاصب تكره وتضطر للعيش تحت ظلّه، تمام كما ليلى التي تزوجت من رجل لا تحبه.

وإلى القصيدة التي سُمّي الديوان باسمها (رسالة من مولاتي) يتحدث فيها الشاعر

باسم المدينة وما عانت من ألم وأوجاع عبر سنيّ هذا المحتل. وكيف يحاول المحتل

تغيير معالمها وتزييف تاريخها العريق. ثم يمضي يذكر العرب بمكانتها وقدسيتها

متسائلا ومستنكرا ما آلت إليه الأمور بعد عزها وشموخها.

وقد أعجبتني في هذه القصيدة فكرة أن القدس هي أرض المحشر حيث سيأتي

الجميع إليها راغمين وعندها سيكون حسابهم عسيرا على ما فرطوا في جنبها.

قصيدة (متى أضمّ القدس) وجدتها بكائية على أطلال الذكرى، يستذكر بها المسجد

والتكايا والانسان والحجارة. هنا هو لم يفقد الأمل رغم سواد الموقف فهو ما زال

يحلم بالفجر الذي حتما سيأتي.

قصيدة (استغاثة القدس) وقصيدة (آخر صورة لمأمن الله) على ما فيهما من جمال

إلا أنهما بفكرتهما ولغتهما ومضمونهما تكرار لما سبق من قصائد حيث كان الحديث عن وضع القدس ومعاناتها واستباحة كل شيء فيها وانتظار الفارس ا لذي سيخلصها مما وقع عليها ثم قصيدة (آخر صورة لمأمن الله) وقصيدة (آخر صورة للشيخ جراح) وقصيدة(آخر صورة لسلوان) ، وكلها قصائد جميلة

لبعض أحياء القدس وهي إضافة جميلة لما كتب في أحياء المدينة سيتذكرها أهل هذه الأحياء بامتنان للشاعر.

قصيدة جميلة أخرى هي (إبداع أنثى) أبدع فيها في مدحه للأم وتجلى في برّه، الديوان بشكل عام ديوان حبّ وإخلاص لسيدة الكون مدينة القدس. تنوعت فيها القصائد في بحورها، في لغة سهلة بسيطة خالية من التعقيد، لم تخلُ القصائد من التكرار والحشو غير اللازم، ولكن في المجمل قد أضاف شاعرنا معتز القطب للمكتبة العربية كتابا جديدا على رفّ عشاق المدينة.

وكتبت **سوسن عابدين الحشيم:**

القدس تعيش في قلب الشاعر وعقله كما هو واضح من الرسالة الموجهة منها والمرسومة على الغلاف ونصوص القصائد المتعددة في الديوان . الشاعر كان صادقا في حبه وعشقه لمدينة القدس حيث سمح بأن يعاد اصدار هذا الديوان من أجل منفعة تعود على هذه المدينة المقدسة، والتي اعتبرها عشيقته من خلال كلماته الشاعرية لها ... من خلال قراءة الديوان يتبين اللمسة الايمانية للشاعر حيث كانت فاتحة الديوان بمناجاة رب العالمين بقصيدة "الله سيدي ومولاي"...ابتدأها بـ إني أحبك يا الهي – ضمني أحيا بفضلك بل أعيش ربيبا واختتمها ب يا سيدي.

كما أن الشاعر لم ينس مدح رسولنا وحبيبنا وشفيعنا محمد صلى الله عليه وسلم بقصيدة حامل الطيب ... كلمات القصائد تحمل كل معاني التقوى والروحانية، وهذا تميز للشاعر في دواوينه .. انتقل الشاعر الى الرسالة التى أراد بها أن تكون من القدس بآثارها ومساجدها ومقدساتها وحجارتها وناسها الى جميع أحرار العالم، وأن تكون وقفا لله تعالى لصالحها فهي مدينة مقدسة تستغيث لانقاذها من مغتصبيها ... سار بفكرته كما قصيدة "القدس عروس

عروبتنا" للشاعر العراقي مظفر النواب .... ففي قصيدة قيس والقدس كانت صورة تمثيلية لليلى محبوبة قيس كأن القدس ليلى وشاعرنا قيس يتعذب من أجلها، فيقول:

وكيف أعيش يا ربي وليلى تبيت بحضن محتل سباها

يسجل الشاعر في هذا الديوان بعض الأماكن التي تحولت الى بؤر استيطانية، وقد تدنست من قبل العدو الصهيوني كمقبرة مأمن الله قرب باب الخليل والتي كانت مقبرة للصحابة والمجاهدين والعلماء والصالحين، وقام المغتصبون بتجريفها. وصورة اخرى لحي الشيخ جراح وسلوان وواد الجوز وكل ما يحيط بالقدس، وما يميز هذا الديوان ايضا ذكر أبواب القدس باحدى قصائده... يبث الشاعر الأمل بانقاذ القدس وظهور شمس الحرية؛ لتنور سماء قدسنا الحبيبة، حيث يقول

وستظهر شمس القدس لنا   اليوم غدا أو بعد غد

وفي قصيدة أخرى شبهها بسفينة غرقت بمن فيها، وتستغيث لانقاذها من الغرق، فيقول

من يجلب الغصن أو يأتي لنجدتها تبقى لنا بلدا بالعز نحييها

لم ينس شاعرنا المقدسي غزة هاشم، فذكرها بكلمات صارخة غاضبة استفهامية يستنكر بها الاجرام الذي حل بها، وموت الضمائر الانسانية فيقول في مطلعها

يا أهل غزة ، ماذا خبأ القدر؟ وهل سينزل في صحرائكم مطر؟

وهل سيصحو ضمير في عوالمنا؟ وتشرق الشمس والاجرام ينحصر؟ ويختتمها ببيت يفتخر بها فيقول

تراب غزة تاج فوق أمتنا   يزهو على الارض ما فيها

وأنهى الشاعر ديوانه بالقدس مولاته، فيخاطبها بأروع الكلمات، وأسلوب وفكرة تجعل ديوانه ينال الجائزة كأفضل ديوان شعر عن مدينة القدس لعام ٢٠١٣ في مهرجان زهرة

المدائن للابداع الثقافي... يقول فيها

يا قدس أنت حبيبتي وحياتي من كل أهل الارض انت فتاتي

اخترت من دون النساء حبيبة   تزدان بالاعجاز والآيات

وأتيت أجلس تحت شباك الهوى   ليقول قلبي أروع الكلمات

وظفت قافية لحب حبيبتي   وجعلتها وقفا على مولاتي

أمّا **رشا السرميطي** فقد كتبت:

يمثِّل ديوان "رسالة من مولاتي"، الصادر عن وزارة الإعلام الفلسطينية في العام ٢٠١٤، الإصدار الثَّاني لـلدكتور "معتز علي القطب" – ديوانه الأوَّل "آخر صورة لمولاتي"-. إذ يقدَّم لنا، عبر (١٠٠) صفحة من القطع المتوسط، رسالة من مولاته "القدس"، وحمل رقم إيداع (٢٧٠/ وع ر ٢٠١٤)، وذاك ليس غريبًا على ابن المدينة التي كبر وترعرع على أرضها وركض ولعب بين أزقتها، حتَّى غدا اليوم أستاذًا في جامعتها القدس.؟

بنظرتي الأولى على الديوان، وجدت القدس حاضرة فيه، بل يحدِّثنا من أوَّل عنوانه عن تلك الرَّسائل، التي أوصلتها القدس لشاعرنا. فقرر أن يجيب على تلك الرسائل؛ بنشرها للقرَّاء كافة، لعلَّه يجد مجيبًا عن رسائل "مولاته"، وربما كان في نشرها التلبيَّة من وجهة نظر شاعرنا. وأهم ما اتسمت به قصائد الدِّيوان:

أولاً: برز الجانب الرُّوحي ومناجاة الخالق: ففي العديد من القصائد لدى د. معتز، امتلأت الأسطر بالزُّهد، والأمل بـ "حسن الخاتمة عند ظلال العرش"، ويؤكد ماهيَّة اتبَّاع الدِّين في مسالك الحياة الدُّنيويَّة. لقد بدا الشاعر عاليًا في روحانيَّاته، متصِّلًا مع الخالق وأصل الخلق وغايته، وهنا برزت لديه الحكمة وعمق التجربة، من خلال تلك القصائد، إذ كانت ذات لون ديني في دلالاتها ومعانيها. يقول شاعرنا في "قصيدة سيدِّي ومولاي": النُّور يهديني.. فدينك رائع/ أغدو بقربك سيدًا ونقيبًا/ أمضي كزرع في بساتين الهدى/ أحيا وأقطف

مؤمنًا وحبيبًا/ وعسى أكون من الذين تظلِّهم/ بظلال عرشك لو نشأت أريبًا (ص١٠). ويقول: وبكيت يومًا عند ذكرك خاشعًا/ وذرفت دمعًا وانتحبت نحيبا/ من لي سواك ربًّا يغفر زلَّتي/ ويكون حولي مؤنسًا وقريبا/ إني ببابك قد أنخت مطالبي/ ووقفت أرجو هامسًا وخطيبًا (ص١٣). وفي قصيدة "نور الله"، يقول: من الله نور يعمُّ الوجود/ ويحيي بفضله كل النضر/ تراه على كل شيء جميل/ على الكون يبدو بأبها صور/ يفيض بخير على الكائنات/ ويرسم في الزَّهر أو في الشَّجر (ص٨٢.

ثانيًا: في العديد من قصائد الدِّيوان اتضَّح وفاء الشَّاعر للنَّبي محمد صلى الله عليه، كما في قصيدة "حامل الطِّيب"، حيث تحدَّث عن ميلاد النَّبي، وكيفيَّة نزول الرِّسالة وأثر من يتبِّع سنَّة المصطفى (ص١٤). أذكر بعضًا من أبياتها: في يوم مولد طه شمُّ ريح شذا/ عمَّت تبَّشر أنَّ المصطفى قدما/ يا سيدَّ الكون قد أعطاك خالقنا/ مشكاة طيب لفلٍ بالسَّماء نما/ اليوم دينك يزكي كل مسألةٍ / فالأمر شورى وذكر الله قد عظما.

ثالثًا: برزت القدس محبوبة الشَّاعر في العديد من قصائده، كما في: قصيدة قيس والقدس (ص٢٠)، قصيدة متى أضمُّ القدس (ص٣٠)، قصيدة على تراب القدس (ص٤٨)، قصيدة حاضرة الكون (ص٥٢)، قصيدة سلام المسجد الأقصى (ص٥٤) وقصيدة شمس القدس (ص٥٨)، وقصيدة سفينة القدس (ص٦٠)، قصيدة على لسان القدس (ص٧٠) وقصيدة نشيد القدس المفقود (ص٨٠) التي يقول فيها: ما زلت أبحث عن آثار أغنيتي/ في كل ركن وفي بيتي وأشيائي/ ولم أجد أحدًا في أي منطقة/ يعيد تدريس شعى من أحبَّائي/ قد أقفلوا كتب التَّاريخ وانصرفوا/ ومات من كان غنَّى في أعزَّائي/ غنَّيت للقدس ما يشدو به زمني/ فردَّت اللَّحن حتَّى قبل إنهائي.

القدس خاصرة الوجع الفلسطيني حول وطننا المفقود، الذي ما زلنا نبحث ونفتش عنه في أرضنا، وقضيَّتنا تربَّعت على ما يقارب ثلثي ديوان شاعرنا، وقد كانت مشاعر الوطن في قصائده واضحة، عذبة، مليئة بالمعاني الأنيقة المرصَّعة للأسطر بطريقة سلسة ومفهومة للقارئ والمتلقي، وهذا يسجل ايجابًا لـــ " د.معتز " في كافة قصائده عمومًا.

رابعًا: قصيدة " رسالة من مولاتي " ، وهي القصيدة التي حملت عنوان الديوان، وقد صوَّر الشاعر بها آلامه عن مدينة القدس وكأنَّها روح سكنت هذا المكان الجماد، فدبَّت بأركانه الحياة، وتحولت المدينة إلى أنثى ملكته فصار خادمًا عندها- ولا أدري هل كانت دلالة التَّعبير عن القدس بأنثى ذات قصد بأنَّ الضَّعف يصيب النِّساء فتستغيث! أم أنَّ الشاعر كان بعيدًا عن هذا القصد- فما كانت القدس سوى المولى التي كرَّس حياته لخدمتها (ص٢٦).
و مولاي في اللغة تعني: ولي ونصير، المولى: اسم من أسماء الله الحسنى، ومعناه: المأمول منه النَّصر والمعونة؛ لأنَّه الملك، ولا ملجأ للمملوك إلا لمالكه، ومنه مولاتي تحمل المعنى المفسَّر أعلاه عن مدينة القدس التي وهب حياته الشاعر لها، فكانت ملكته. يقول في أحد أبيات القصيدة: وأكتب بعد بسم الله ربي/ سطورًا سوف أرسلها كتابا/ سأبعثها بمكتوب لتمضي/ عسى يومًا سأستلم الجوابا/ ... أأترك ثمَّ تأتوني جميعًا/ تريدون السلامة والإيابا.

خامسًا: قصيدة "إبداع أنثى" التي وردت في، التي تتحدَّث عن مناصرة قضايا المرأة، وأنَّها عماد هذا الجيل الذي يتفرَّع منه الرَّجل والمرأة أيضًا، الأم الفلسطينية كما وصفها شاعرنا، حينما قال: قد يعلو على صنع امرأة/ زرعت شبلاً بالبستان/ فنما وترعرع من يدها/ وأتان عظيم الإحسان/ الفضل لأنثى على ذكر/ بزماني وكل الأزمان/ العالم رسمٌ من أنثى/ قد جاء بطيف الألوان/ من بين أناملها فن/ كي تبدع مثل الفنان (ص.(٤٤

سادسًا: شرع الشَّاعر في نثر لومه وآلامه عمَّا حصل في غزة، حيث كانت الحرب الأخيرة، وغفوة العالم أجمع وتجاهله لما جرى، في ظل مواقف فلسطينية وعربية باهتة الحضور. وقد برز ذلك خلال قصيدة "غزَّة هاشم" (ص٧٢)، غزة أنين فلسطين اليوم كتب لها الشَّاعر: يا قارئين لشعر خطه قلمي/ ادعوا لغزة أن يأتي لها عُمَر/ نبكي عليها وتبكي ما ألمَّ بنا/ فليت في حضنها نحيا وندَّثر/ وليتنا عن قريب لا نفارقها/ لو انجلت حولنا الأوساخ والحفر/ ... إنا نسجِّل في أوراق دفترنا/ ظلمٌ وقهرٌ يفوق الوصف ينتشر/ نبكي على وجع في كل منطقة/ ونشتكي ظلم من غابوا ومن حضروا.

سابعًا: بدا الوطن موجوعًا يئنُّ من الاحتلال والشعوب المتخاذلة في غالبيَّة قصائد الديوان،

أذكر منها: "قصيدة كلمات ثكلى" ، وبها يرثو الشَّاعر حال الأمة وبلاءاتها طويلة الأمد، يقول: وراح الكل يضربنا/ لتبقى عنده الأغلى/ وعيَّرنا بخيبتنا/ كأنا نملك السبلا/ نلَّهى في مضاجعنا/ وحتَّى نبلغ الأجلا/ متى يارب تنصرنا/ فإنَّا أمة ثكلى/ تيسر من يوحدنا/ وتجعل بيننا بطلا/ تعيد لنا كرامتنا/ ونجمًا ساطعًا أفلا/ متى ياربُّ تنقذنا/ فليس سواك من مولى (ص.(٨٤

ثامنًا: خرج الشاعر عن سياق عناوين ومضامين الديوان في قصيدة "تقييم الأثر البيئي"، التي ارتأيت لو كانت موضوعة في غير هذا الديوان، نتيجة لاختلاف ما ورد فيها من دلالات ومعانٍ عمَّا سبقتها من القصائد، أو ربَّما لو تمَّ نسجها بنسق مختلف، في توظيف ذات الدلالات. ولا أدري إن كان مكانها في آخر الديوان ذو دلالة بأنها زائدة عنه.

تتحدث القصيدة، في موضوعها، عن (نظافة) القادة في الدول العربية، وماهية حضورهم لاجتماعات ومؤتمرات، والأثر السياسي لذلك بيئيًا، وديمغرافيًا، واقتصاديًا، واجتماعيًا على القضايا العالقة في الوطن، والتغيير الذي ينجم عن تلك المساعي. بداية لم يعجبني عنوان القصيدة.. واقترح لو كانت بعنوان: "خانوك يا وطني" أو "وتدنَّست بلادنا."

المفاهيم التربويَّة الوطنيَّة التي مررَّها الشاعر لحكام العرب كانت كثيرة، حيث دعا إلى: صلاح الجوهر في القيادة العربية ووحدة الموقف، تثمين الطاقات العربية والحد من تصديرها للدول الأجنبية، الحثُّ على طلب العلم وفتح الآفاق أمام طلابه لتخريج علماء لا "بباغاوات" علم، تقييم مجريات الأحداث والعودة لتغيير الخطط والاستراتيجات، رفض الأرض لشناعة من عليها ينبئ بطرد الأرض لسكانها. وختم هذه القصيدة، قائلاً: ما زالت الأرض ترجو من يساندها/ أهل المروءة هل ماتوا أم اندثروا/ الأرض تطلبنا حتى نعمرها/ كي تشرق الشمس في الأرجاء والقمر.

أخيرًا؛ أجد في ديوان الشاعر د.معتز القطب ثروة من الشعر المختص بمدينة القدس ونداءات حالها، لمن في القدس ومن خارجها، وكم أتمنى لو يتم إخراج طبعات عديدة منه، محليًا وعالميًّا، لكن؛ أعدو الكاتب إلى العناية بمنتجة الكتاب من الداخل؛ فنيًا، وترتيب

القصائد، مع العناية ببعض العناوين، لأن غزارة الصُّور أضرت بالقصائد، وأتعبتني كقارئة في التجوال على ورقاتها. كل التوفيق والتقدير لشاعرنا، وحتى المزيد من الأعمال الإبداعية سنكون في الانتظار.

بوح أنثى لرائدة أبو صوي

القدس: ١١-٩-٢٠١٤ ناقشت ندوة اليوم السابع الثقافية في المسرح الوطني الفلسطيني كتاب"بوح أنثى" لرائدة أبو صوي، وقد صدر الكتاب المذكور عام ٢٠١٤ عن دار الجندي للنشر والتوزيع في القدس، ويقع في ٩١ صفحة من الحجم الصغير.

ومما قاله **جميل السلحوت**:

ملخص النص: عبارة عن حكاية فتاة تمّ تزويجها بطريقة تقليدية لصداقة والدها مع والد الشاب الذي تقدم لخطبتها، وانتقلت من عمّان الى القدس لتتزوج فيها ولتعيش وسط أسرة زوجها المكونة من ابنين وست بنات، اضافة الى حماتها وحميها، وما ترتب على ذلك من مشاكل ومعاناة كانت ضحيتها "الكنّة" أحلام التي هي بطلة هذا النص. ويتخلل ذلك عمل الزوج في الامارات العربية واصطحابه لزوجته معه ليعيشا هناك حياة فقر وحرمان في بيت شقيقته وزوجها.

الأسلوب: اعتمدت الكاتبة أسلوب الروي الحكائي، وما يتبعه من لغة انسيابية لايصال معاناة "أحلام" التي هي بطلة النصّ. ولو تروّت الكاتبة قليلا لكان بامكانها أن تقدم لنا عملا روائيا بجهد بسيط عن خلل اجتماعي نعيشه وابتعد عنه الكثيرون من كتابنا، لكنها استعجلت النشر وكأنها غير معنية بتصنيف كتابها كرواية، لأنها أرادته نصّا مفتوحا، ولا اعتراض على خيارها.

الهدف: هذا النص احتوى حكايات اجتماعية لا تزال موجودة في مجتمعنا حتى أيامنا هذه، فهناك من يزوجون بناتهم في سنّ مبكرة، ولا يستشيروهن بذلك، وهناك من يزوجون

بناتهم لعلاقتهم وصداقتهم مع والد العريس، دون البحث عن قدرات ومواصفات هذا العريس، وهناك من يتزوجون ويسكنون وزوجاتهم في نفس البيت الذي يسكنه أهل العريس بمن فيهم الوالدان والبنات والأبناء، ولا تبقى أيّ خصوصة للعروسين. وفي مثل هذه الحالات تصبح "الكنة" وكأنها زوجة للأسرة بكاملها، وعليها خدمة الجميع، دون تذمر أو احتجاج. وكأني بالكاتبة هنا تريد أن تنصح الجيل الحالي بأن يبتعد عن هكذا زواج كي يعيش الزوجان حياة هادئة، وكي يربوا أولادهم كما يريدون ودون تدخل من أحد مهما كان قريبا.

مقارنة مقصودة: عادت الكاتبة بنا الى المقارنة بين طفولة "أحلام" وعيشها في بيت أهلها، وبين ما آلت اليه حالتها بعد الزواج، والمفاضلة طبعا لمرحلة الطفولة، وهذا ما تشعر به كثير من النساء المتزوجات لأنهن لا يجدن في بيت الزوجية ما وجدنه في أحضان والديهن قبل الزواج. حتى أن الكاتبة ابتعدت في نهاية النص ابتعادا مقصودا لتروي قصص بعض صديقات أحلام، وكيف تغيرت حياة بعضهن نتيجة معاناتهن من الزوج، حتى وصل البعض منهن الى احتراف الدعارة، كما تطرقت الى سفاح القربى أيضا، وكأني بها تريد نشر بعض الغسيل الوسخ الذي يتكتم عليه المجتمع كنتاج لعادات وتقاليد بالية.

ويلاحظ أن الكاتبة عادت بأحلام بطلة نصّها الى مرحلة المراهقة، لتستعيد بذاكرتها بعض الشباب الذين كانوا يبدون اعجابهم بها، حتى أنها تذكر أن شابا مسيحيا اسمه الياس كان مغرما بها رغم اختلاف الديانة.

ملاحظة: وردت بعض الكلمات في النص المطبوع مكتوبة بخط اليد، فلماذا لم تصحح على الحاسوب؟ كما أن هناك القليل من الأخطاء اللغوية التي كان يمكن تفاديها.

وقال **عبدالله دعيس**:

تعددت الأمثال الشعبية، وتعددت النوادر التي تحكي قصة الخلاف الأبدي بين الحماة والكنة، لكن هذه المشكلة الاجتماعية المهمة لم تنل ما تستحق من الأدباء الذين يتعرضون

لكثير من المشاكل الاجتماعية في كتاباتهم، لكنهم يتجنبون الخوض في هذا الموضوع؛ ربما لأن الحماة والكنة تمثلان الأمّ والزوجة ... ومن يستطيع أن يناقش نوايا الأمّ فمكانة الأم فوق كل نقاش وأكبر من أي اعتبار؟

تحاول رائدة أبو صوي أن تعالج هذا الموضوع الشائك عن طريق سرد حكاية فتاة غادرت عائلتها لتعيش في بيت زوج ضعيف الشخصية سيء الطباع، بعيدا عن حضن عائلتها الدافئ الذي لقيت في كنفه العناية والرعاية، قبل أن يكون قدرها أن تتزوج وتعيش تحت رحمة حماة وعائلة زوج لا تتقي الله فيها، وتسيء معاملتها.

تشير الكاتبة هنا أيضا إلى موضوع الغربة، حيث تعيش الفتاة بعيدا عن عائلتها، فلا تجد الحضن الدافئ الذي يحنو عليها والعائلة التي تؤازرها عندما يقسو الزمان عليها. فتعاني من ألم الغربة بالإضافة إلى سوء معاملة عائلة الزوج.

إن فكرة هذا العمل لهي فكرة رائدة، تحتاج إلى الجرأة في الطرح والمزيد من الكتابة التي تتناول جوانب هذه الظاهرة الاجتماعية الإنسانية. فكثير من الزوجات تقع ضحية غض الطرف عن هذه المشكلة، وعدم تقبل المجتمع ترك الزوجة لبيت عائلة زوجها واستقلالها عنهم. وكذلك الأزواج، فإنهم يضيعون بين معضلة رضا الأم وإنصاف الزوجة.

طرحت الكاتبة الموضوع على شكل سرد عاطفي لذكريات، أحلام، تلك المرأة التي قاست الأمرين من ظلم حماتها. ذكرني سردها، بمداولات محاكم العائلة والتي تحكي الزوجة ما مر بها من أحداث بشكل مؤثر. لكن هذه الحكايات تحتاج إلى قاض حاذق يسمع الطرف الآخر والذي عادة ما يكون له قصة مؤثرة أخرى. فحكايات "قالت هي" و "قال هو" لا تحظى بالكثير من المصداقية ولا تلاقي التعاطف المطلوب من المتلقي.

حبذا لو نوعت الكاتبة في أسلوبها، وصورت لنا مقتطفات من حياة العائلة بتفاعلاتها الاجتماعية اليومية، وبينت جميع الجوانب والملابسات التي دفعت العائلة إلى سوء معاملة الزوجة، وطورت شخصيات أخرى إلى جانب شخصيتها الرئيسية وهي الفتاة المظلومة،

وتركت للقارئ حرية الخيال وحرية توجيه عواطفه والوصول إلى قناعة في هذا الخصوص دون تلقين مباشر له.

في نهاية الكتاب تتعرض الكاتبة بشكل سريع جدا لقضايا أخرى قد تواجه النساء المتزوجات والمغتربات بعيدا عن عائلاتهن عن طريق حكاية سريعة لقصص صديقات، أحلام. لكنها تتعجل أيضا في السرد، وتترك القارئ أمام حكايات يسمع مثلها كل يوم، لكنها لا تدخل إلى جوهر هذه القصص وتحاول أن تحلل هذه الظواهر بأسلوب أدبي جذاب.

أدعو الكاتبة رائدة أبو صوي أن تعيد الكرة، وتتناول هذا الموضوع الاجتماعي الهام بالمزيد من الكتابة والتمحيص، فواضح من كتابها أنها تملك التجربة الكافية لتغطية هذه القضية من جوانبها المختلفة. فربما كان ممكنا أن يتطور هذا "النص المفتوح" ليصبح رواية تتناول موضوعا اجتماعيا في غاية الأهمية.

الشمس تولد من الجبل للكاتبين موسى الشيخ ومحمد البيروتي

القدس: ١٨-٩-٢٠١٤ ناقشت ندوة اليوم السابع الثقافية الأسبوعية الدورية في المسرح الوطني الفلسطيني في القدس رواية"الشمس تولد من الجبل" للكاتبين موسى الشيخ ومحمد البيروتي عام ٢٠١٢ وقد الرواية عن مركز أبو جهاد لشؤون الحركة الأسيرة في جامعة القدس، وتقع في ٣٠٤ صفحات من الحجم المتوسط.

وقال **جميل السلحوت:**

أدبيات السّجون:

الكتابة عن التجربة الإعتقالية ليست جديدة على الساحة الفلسطينية والعربية وحتى العالمية، وممن كتبوا بهذا الخصوص: خليل بيدس صاحب كتاب"أدب السجون" الذي صدر بدايات القرن العشرين، زمن الانتداب البريطاني، وكتب الشيخ سعيد الكرمي قصائد داخل السجون العثمانية في أواخر العهد العثماني، كما كتب ابراهيم طوقان قصيدته الشهيرة عام ١٩٣٠ تخليدا للشهداء عطا الزير، محمد جمجوم وفؤاد حجازي، وكتب الشاعر الشعبي عوض النابلسي بنعل حذائه على جدران زنزانته ليلة إعدامه في العام ١٩٣٧ قصيدته الشهيرة" ظنيت النا ملوك تمشي وراها رجال" وكتب الدكتور أسعد عبد الرحمن في بداية سبعينات القرن الماضي(أوراق سجين)كما صدرت مجموعة قصص(ساعات ما قبل الفجر) للأديب محمد خليل عليان في بداية ثمانينات القرن الماضي، و"أيام مشينة خلف القضبان" لمحمد احمد ابو لبن، و"ترانيم من خلف القضبان" لعبد الفتاح حمايل ، و"رسائل لم تصل بعد" لعزت الغزاوي ، وقبل"الأرض واستراح" لسامي الكيلاني، و"نداء من وراء

القضبان، "و(الزنزانة رقم ٧٠٦) لجبريل الرجوب، وروايات "ستائر العتمة" و "مدفن الأحياء"و"أمهات في مدفن الأحياء"وحكاية(العمّ عز الدين) لوليد الهودلي،و"رسائل لم تصل بعد" ومجموعة"سجينة"للراحل عزت الغزاوي و(تحت السماء الثامنه)لنمر شعبان ومحمود الصفدي، و"أحلام بالحرية"لعائشة عودة، وفي السنوات القليلة الماضية صدر كتابان لراسم عبيدات عن ذكرياته في الأسر، وفي العام ٢٠٠٥صدر للنائب حسام خضر كتاب"الاعتقال والمعتقلون بين الإعتراف والصمود" وفي العام ٢٠٠٧ صدرت رواية "قيثارة الرمل" لنافذ الرفاعي، ورواية"المسكوبية" لأسامة العيسة، وفي العام ٢٠١٠ صدرت رواية"عناق الأصابع" لعادل سالم، وفي العام ٢٠١١ صدر"الأبواب المنسية" للمتوكل طه، ورواية "سجن السجن" لعصمت منصور،وفي العام ٢٠١٢ صدرت رواية"الشمس تولد من الجبل لموسى الشيخ ومحمد البيروتي" كما صدر قبل ذلك أكثر من كتاب لحسن عبدالله عن السجون ايضا، ومجموعة روايات لفاضل يونس، وأعمال أخرى لفلسطينيين ذاقوا مرارة السجن. وفي العام ٢٠١٣صدر كتاب"الصمت البليغ" لخالد رشيد الزبدة، وكتاب نصب تذكاري لحافظ أبو عباية ومحمد البيروتي" وفي العام ٢٠١٤ رواية"العسف" لجميل السلحوت.

وأدب السجون فرض نفسه كظاهرة أدبية في الأدب الفلسطيني الحديث، أفرزتها خصوصية الوضع الفلسطيني، مع التذكير أنها بدأت قبل احتلال حزيران ١٩٦٧، فالشعراء الفلسطينيون الكبار محمود درويش وسميح القاسم وتوفيق زياد وغيرهم تعرضوا للاعتقال قبل ذلك وكتبوا أشعارهم داخل السجون أيضا، والشاعر معين بسيسو كتب"دفاتر فلسطينية" عن تجربته الاعتقالية في سجن الواحات في مصر أيضا.

كما أن أدب السجون والكتابة عنها وعن عذاباتها معروفة منذ القدم عربيا وعالميا أيضا، فقد كتب الروائي عبد الرحمن منيف روايتي"شرق المتوسط" والآن هنا" عن الاعتقال والتعذيب في سجون دول شرق البحر المتوسط. وكتب فاضل الغزاوي روايته" القلعة الخامسة" وديوان الشاعر المصري أحمد فؤاد نجم"الفاجوجي".ومنها ما أورده الأستاذ محمد الحسناوي في دراسته المنشورة في مجلة"أخبار الثقافة الجزائرية" والمعنونة بـ"أدب

السجون في رواية"ما لاترونه"للشاعر والروائي السوري سليم عبد القادر

وهي (تجربة السجن في الأدب الأندلسي- لرشا عبد الله الخطيب) و (السجون وأثرها في شعر العرب.. -لأحمد ممتاز البزرة) و(السجون وأثرها في الآداب العربية من الجاهلية حتى العصر الأموي- لواضح الصمد) وهي مؤلفات تهتم بأدب العصور الماضية ، أما ما يهتم بأدب العصر الحديث ، فنذكر منها : (أدب السجون والمنافي في فترة الاحتلال الفرنسي – ليحيى الشيخ صالح) و(شعر السجون في الأدب العربي الحديث والمعاصر – لسالم معروف المعوش) وأحدث دراسة في ذلك كتاب "القبض على الجمر – للدكتور محمد حُوَّر"

أما النصوص الأدبية التي عكست تجربة السجن شعرا أو نثرا فهي ليست قليلة، لا في أدبنا القديم ولا في الأدب الحديث: نذكر منها (روميات أبي فراس الحمداني) وقصائد الحطيئة وعلي ابن الجهم وأمثالهم في الأدب القديم. أما في الأدب الحديث فنذكر: (حصاد السجن – لأحمد الصافي النجفي) و (شاعر في النظارة : شاعر بين الجدران- لسليمان العيسى) و ديوان (في غيابة الجب – لمحمد بهار : محمد الحسناوي) وديوان (تراتيل على أسوار تدمر – ليحيى البشيري) وكتاب (عندما غابت الشمس – لعبد الحليم خفاجي) ورواية "خطوات في الليل – لمحمد الحسناوي."

كما يجدر التنويه أن أدب السجون ليس حكرا على الفلسطينيين والعرب فقط ، بل هناك آخرون مثل شاعر تركيا العظيم ناظم حكمت، وشاعر تشيلي العظيم بابلونيرودا، والروائي الروسي ديستوفسكي في روايته"منزل الأموات" فالسجون موجودة والتعذيب موجود في كل الدول منذ القديم وحتى أيامنا هذه، ولن يتوقف الى أن يقضي الله أمرا كان مفعولا.

الشمس تولد من الجبل:

لعل ستة الأسطر التي كتبها محمد البيروتي في مدخل الكتاب تغني عن قول الكثير فيما يتعلق بهذه الرواية، والتي كثف فيها أزمة التأريخ لمسيرة الشعب الفلسطيني المعاصرة، ولفت

فيها الانتباه الى أن ما كتب حتى الآن "سيرة انحصرت في الذات" ويضيف البيروتي:"هذه محاولة لإضفاء مزيد من الضوء عبر النبش في ذاكرة عريف في جيش التحرير عايش قطاعا محددا من أحداث اتسمت بالبطولة والتضحية".ص٤. وهذا أيضا يدعو إلى التساؤل حول من كتب هذه الرواية؟ هل هو موسى الشيخ وحده، أم أن محمد البيروتي اشترك معه في كتابتها؟ وإذا ما اشترك الاثنان في كتابتها فلماذا اعتبرها البيروتي"ذاكرة عريف في جيش التحرير"؟ أم أنّ موسى الشيخ قد نبش ذاكرته، واستعاد أحداثا وقعت معه وشاركه البيروتي في صياغتها، لتخرج إلى القارئ بين دفّتي هذا الكتاب، وهذا ما أميل إليه بعد قراءة "الرّواية" التي هي عبارة عن جوانب من السيرة الذاتية لكاتبها؟ لكنّها في الأحوال كلّها صدرت باسميهما ونحن نحترم ذلك، وإن كان من حق القارئ أن يتساءل كيفما يشاء، وهذا لا ينتقص من قيمة هذا العمل، بل إن التساؤلات تكون في صالحه.

المضمون: الرواية عبارة عن جوانب من السّيرة الذاتية لمناضل فلسطيني، ركّز فيها على طفولته منذ ولادته في قرية عقربا قضاء نابلس، وعمله في الزراعة والكسّارات في طفولته، ثم هجرته إلى الكويت ليعمل هناك، والتحاقه بحركة القوميين العرب، ثم التحاقه بجيش التحرير الفلسطيني، وتدريبه في معسكرات الجيش العراقي، ثم التحاقه بالثورة الفلسطينية كمقاتل في صفوف الجبهة الشعبية التي تشكلت بعد حرب حزران ١٩٦٧ كذراع عسكري لحركة القوميين العرب، ثم انتقاله الى صفوف حركة فتح بعد معركة الكرامة في ٢١ آذار- مارس- ١٩٦٨. ليكتب لنا عن مشاهداته وذكرياته عن مشاركاته ومشاركة غيره في أعمال مقاومة الاحتلال، إلى أن وقع أسيرا بعد معركة ضارية، لينتقل النضال من ساحات القتال إلى خلف القضبان في سجون الاحتلال، حتى تحريره في صفقة تبادل الأسرى عام ١٩٨٥.

أهمية هذا العمل: تنبع أهمية هذا العمل أنّه يسجل لبداية انطلاق الثورة الفلسطينية المعاصرة، من خلال شخص شارك فيها، وهو هنا يكتب مشاهداته وذكرياته التي عاشها وعايشها، تماما مثلما سجّل وإن بشكل سريع عن حياة الريّف الفلسطيني، من خلال ما كتبه عن طفولته في قريته عقربا قضاء نابلس، وهي قضية مهمة أيضا، خصوصا وأن الدراسات عن الحياة الاجتماعية في فلسطين تكاد تكون معدومة. والرواية هنا لم تكتب تاريخ الثورة

الفلسطينية، بل كتبت شيئا من هذا التاريخ عايشه الكاتب أو كاتبا هذا العمل. كما أنّها تسجّل أيضا عن معاناة الأسرى الفلسطينيين والعرب في سجون الاحتلال بمرحلة بدايات الاحتلال.

وهناك جوانب لافتة في هذا التأريخ لا يعرفه كثيرون ممّن لم يعايشوا تلك المرحلة، أو حتى عايشوها لكنهم لم يشاركوا في أحداثها، ومنها على سبيل المثال أن حركة فتح هي الفصيل الفلسطيني الوحيد الذي خاض معركة الكرامة وبقرار من قيادتها، وتحديدا بقرار من رأس حركة فتح الراحل ياسر عرفات. في حين أن هناك أفرادا من تنظيمات أخرى شاركوا في المعركة طواعية منهم وفي مخالفة واضحة لأوامر قياداتهم، كما تتحدّث عن المشاركة البطولية للجيش الأردنيّ في تلك المعركة. ومثال آخر هو مشاركة الأمير الكويتي فهد الأحمد الجابر الصباح في الثورة الفلسطينية، وقتاله في صفوفها، إلى أن عاد إلى بلاده بعد معارك أيلول ١٩٧٠ بين الجيش الأردني وعناصر المقاومة الفلسطكينية، والتي أسفرت عن خروج المقاومة الفلسطينية من الأردن وانتقالها إلى لبنان. ومن الجدير ذكره أن الأمير فهد الصباح لقي مصرعه في العام ١٩٩٠ وهو يقاوم الجيش العراقي الذي احتل الكويت في حينه.

ولم ينس الكاتبان الحديث عن مناضلين فلسطينيين وعرب شاركوا في المقاومة، ومنهم من سقطوا شهداء، أو وقعوا في الأسر.

الأسلوب: بداية يجدر التنويه إلى أن هذا العمل هو أقرب إلى السيرة الذاتية أو المذكرات منه إلى الرواية، والقارئ لهذا العمل سيجد أن الكاتبين اتخذا أكثر من أسلوب في كتابته، فهناك القصّ والرّويّ والحكي والتقرير الاخباري، وهذه أساليب قد لا تخلو منها أيّ رواية.

وعنصر التشويق واضح في هذا العمل.؟

وماذا بعد: يشكل هذا العمل إضافة نوعية للمكتبة الفلسطينية بشكل خاص والعربية بشكل عام.

وقال **عبدالله دعيس**:

الشمس تولد من الجبل. هكذا نظر موسى الشيخ إلى الشمس في طفولته؛ ذلك النور الساطع جالب النهار والدفء والطمأنينة، يخرج من جوف الجبل الذي هو رمز الشموخ والثبات، رغم الوعورة والصعوبة. فشمس الحرية لا تخرج إلا من رحم المعاناة، ولا بد لمن يبتغي العلا أن يذلل وعورة الجبال، كما قال الشابي:

وَمَنْ لا يُحِبّ صُعُودَ الجِبَالِ   يَعِشْ أَبَدَ الدَّهْرِ بَيْنَ الحُفَر

هذا الكتاب، الذي هو سيرة ذاتية لأحد رجال فلسطين، الذين عايشوا مرحلة مهمة من تاريخ الشعب الفلسطيني، وخبروا كثيرا من الأحداث التي مرت بهذا الشعب، وتصدوا لتدوينها كي لا يلفها النسيان في خضم الأحداث المتسارعة التي تعصف بالأمة.

موسى الشيخ، ابن قرية عقربا، بالقرب من نابلس، يولد قبيل النكبة الفلسطينية، فيعايش جيل النكبة، ويرى اللاجئين الفلسطينيين يتركون بيوتهم وأحلامهم، ويهيمون على وجوههم يتجرعون الحسرة والألم، لكنهم لا يرضون الذل والهزيمة. يدرج في قريته، فيصور لنا الحياة الاجتماعية في تلك الفترة الزمنية في القرية وكذلك في مدينة نابلس، حيث الحياة البسيطة بإيجابياتها وسلبياتها.

ثم يصور لنا نزعة الهجرة، في عهد الحكم الأردني، التي جذبت كثيرا من الشبان الفلسطينيين طلبا للرزق في دول الخليج. فكان الشيخ أحد الذين غادروا بلادهم في ريعان شبابهم إلى الكويت. لكن اعتزاز الفلسطيني بنفسه ورفضه الذل والدنية، جعله يتنقل من عمل إلى أخر نائيا بنفسه عن عمل مهين حتى لو وفر له كل المغريات المادية.

ومع بداية العمل الثوري الفلسطيني، يترك موسى الشيخ، الشاب، حياة الدعة وفرص العمل السانحة في الكويت لينضم إلى جيش التحرير الفلسطيني في العراق. وهناك يلتحم مع الجبل مرة أخرى، يختبر التدريب الشاق في رؤوس الجبال الشامخة في شمال العراق، ليكون جنديا حقيقيا ويتعلم معنى الرجولة، ليكون مستعدا لمعركة تحرير فلسطين القادمة.

تأتي حرب عام ١٩٦٧، ويهرع الكاتب مع غيره من الجنود الفلسطينيين ليدافعوا عن وطنهم ولينالوا شرف المشاركة في تحرير فلسطين. لكن تدريبهم الشاق واندفاعهم وشجاعتهم، لا يكتب لها أن تختبر في ساحة الوغى، فقد سقطت باقي فلسطين بمؤامرة كبرى، اشترك بها الزعماء العرب بحماس يزيد عن حماس المنظمات الصهيونية، كما يقول الكاتب.

ما أن وضعت الحرب أوزارها حتى هب الثوار الفلسطينيون مرة أخرى، يناجزون العدو ولا يتركون له فرصة السيطرة على فلسطين والأمن في ربوعها. لكن تحركاتهم في تلك الفترة اتسمت بالعشوائية وافتقدت للتخطيط السليم والثبات.

يلتحق الكاتب بصفوف الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، آملا أن تسنح له الفرصة بقتال العدو وجها لوجه، لكن الجبهة تقرر عدم المشاركة في معركة الكرامة عام ١٩٦٧ فيفوته شرف القتال والإثخان بالعدو، لذلك يتحول إلى صفوف حركة فتح التي كان لها الدور الأكبر في معركة الكرامة.

يتسلل موسى الشيخ مع مجموعة من الفدائيين إلى داخل فلسطين، ليقوموا بعمليات مخطط لها سلفا، لكنهم وبعد صراعهم المرير مع الجبال الوعرة، يقعون في قبضة كمين لجيش العدو، يقاتلون بشجاعة، ويستشهد بعضهم، لكن موسى الشيخ يقع في الأسر، ويختبر تجربة الأسر المريرة في سجون الاحتلال الصهيوني.

وهنا يتحول الحديث إلى معاناة الأسرى داخل السجون. يذكر صنوف العذاب النفسي والجسدي الذي كان يقاسيه الأسرى الفلسطينيون دون النظر إلى أدنى حقوق للإنسان، فقد حرم الأسرى الطعام والشراب اللائق وحتى الهواء لم يستطيعوا أن يتنفسوه بحرية، وحرموا من كل حقوق الأسرى التي نصت عليها القوانين الدولية والشرائع الإنسانية، خاصة في سجن عسقلان. فيخوض السجناء نضالا مضنيا، سلاحهم فيه البطون الخاوية ليحصلوا على قليل من حقوقهم، بعد أن يدفعوا ثمنا غاليا من أرواحهم.

يمكن وصف هذا الكتاب بالواقعية، فلم يحاول الكاتبان أن يصنعا أمجادا لنفسيهما ولا

أن يصوروا الثوار الفلسطينيين بالصفات الخارقة والقوة التي لا تقهر. بل صور الكتاب لحظات الضعف تماما كما صور لحظات القوة والصمود، ولحظات الهزيمة مثل لحظات الظفر والانتصار.

تطرق الكتاب إلى ظاهرة العملاء، فليس غريبا أن يتحول أحد عرفاء جيش التحرير الفلسطيني إلى دليل للجيش الصهيوني بعد هزيمة حزيران، وأن يتحول كثير من المخاتير في القرى الفلسطينية إلى عيون ينقلون أخبار الفدائيين إلى الصهاينة، وأن يتحول بعض السجناء، رفقاء الدرب والسلاح، إلى عملاء داخل السجون، يحصلون على اعترافات من الأسرى لم تستطع آلة البطش والتعذيب انتزاعها منهم. وفي المقابل كان هناك الكثير من الأهالي الذين غامروا بحياتهم وعائلاتهم وقدموا كل ما استطاعوا للفدائيين الذين نهضوا لعزة الوطن.

تطرق الكاتبان للخلافات التي نشبت بين الفصائل الفلسطينية داخل السجون. وكذلك المحاولات الدؤوبة لتنظيم الحراك النضالي داخل السجون بمشاركة قيادات متعددة. صور الكاتبان السجان الصهيوني المتعطش لإذلال المعتقلين وتعذيبهم وإهانتهم بأقسى الشتائم وأفظع الطرق التي تنال من كرامة الإنسان وكبريائه، لكنهما بالمقابل أشارا إلى تلك اللفتات الإنسانية التي أظهرها بعض السجانين رغم جرائمهم وإمعانهم في إذلال المعتقلين وإهانتهم وتعذيبهم وقتلهم.

لقد اختار الكاتبان أن يصنفا هذا العمل على أنه رواية، ربما لأنه لا يركز على تجربة الكاتب الفردية وشخصيته الخاصة، وإنما يتعدى ذلك ليؤرخ لمرحلة من مراحل النضال الفلسطيني، ويتحدث عن جيل كامل قضى حياته في قتال المحتل ثم في سجون الاحتلال. فبالإضافة إلى السيرة الشخصية والخبرات التي مر بها الكاتب موسى الشيخ، ينقل الكاتبان العديد من الحكايات التي سمعاها من غيرهما خاصة أثناء السجن. حيث يميل الكاتبان الى الاستطراد في رواية الأحداث والتشعب في سرد الوقائع وكأنهما يخشيا أن يفوتهما توثيق الحقيقة.

لكن الرواية، هي بدورها، سرد خيالي لأمور يمكن أن تقع في الحقيقة. والأحداث في هذا

الكتاب والشخصيات هي حقيقية بعيدة عن الخيال، وهذا يضعنا في إشكالية تصنيف الكتاب كرواية أو سيرة ذاتية، وهو في حقيقته سيرة نضال وجهاد وإباء، تؤرخ لشعب رفض الذل والخنوع، وليست أحداثا يشوبها الخيال.

إن هذا الوصف الواقعي لنضال الشعب الفلسطيني في مرحلة من مراحله، بإيجابياته وسلبياته، بنجاحاته وإخفاقاته، لجدير أن يدرس بعناية ليكون نبراسا للساعين إلى القمة الطالبين للعزة، فلا بد من صعود الجبل لإدراك نور الشمس التي تولد من باطنه.

وقال **رفعت زيتون:**

تعودّت أن أكتب قراءة نقدية عن الرواية أو الديوان أو المجموعة القصصية التي أقرؤها.. ولكن هنا في هذه الرواية آثرت أن أكتب ما يشبه الخاطرة أو ربما العبرة أو المقالة الصحفية. وذلك لكمية الأفكار التي تجاذبتني والأحاسيس التي اختلجت في صدري، وأن أسير عبر سطور الرواية غير آبه بخطأ هنا وخطأ هناك، ومتجاوزا الحديث عن الأسلوب والبلاغة والبيان، لأن برد الموقف شلّ أزهار التفكيرلدي.

رواية (الشمس تولد من الجبل)، رواية البطولات والتضحيات، ورواية الهزائم والمؤامرات والحقائق التي اقتربت منها كثيرا.

إنها رواية الألم وسلاسل الدموع عبر السنين، تمتدّ كسلاسل الجبال في جغرافيا الوطن، تسيل لتملأ وديان فلسطين حسرة ووجعا وأنينا.

منفى يوصلنا إلى منفى، وسجن بجانب سجن، وحقيبة تعانق أختها، ولا نهاية للسفر.

تجربة واحدة تبدأ منذ الطفولة، وتسير بصاحبها إلى الشباب المقهور، ومنه إلى المشيب المنكوب، وقد تنتهي التجربة في زنزانة أو قبر أو عاهة لا شفاء منها.

ولا شيء يتغير سوى أسماء الشهداء وأعداد الأسرى وأسماء القادة الذين عادة ما يطول بهم المكوث، ولا يناهم ما ينال العامة.

رواية (الشمس تولد من الجبل) هي تجربة تلخص حياة كلّ فلسطينيّ، سواء من حمل السلاح بيده أو من لم تسعفه الظروف فحمله بوجدانه وهذا أضعاف العطاء.

إحتلال، سجون، اشتباكات، إضرابات، أوامر عسكرية، خطط، خطب ومنابر، مذابحُ وتهجير، شهداءُ وجرحى، أنقاض منازل، نزوح، بحر لا يرحم يستلذ بلحم البشر فيبلعه بلعا، ونحيب يملأ كل الفراغات، سيناريو يعيد ذاته لمسلسل لا تشويق فيه.

وفي كل مرّة نتجرع مرّ التجربة ولا نتعلم منها شيئا، ولا نحاسب أنفسنا أو نسمح لأحد بمحاسبتنا، لأننا نظنّ أننا لسنا من الخطّائين. فنغوص في الوحل أكثر وأكثر، إلى أن وصلنا إلى يوم وصل فيه الوحل إلى أنوفنا.

كلنا عشنا هذه الرواية أو جزءًا منها، سواء بأنفسنا أو من خلال قريب أو صديق، عبر سنينَ طوالٍ، ولكن لم يشعرني ذلك بما شعرت به وأنا أعيش التجربة خلال قراءتي للرواية في ثلاثة أيام أو أربعة. ذلك أنني في هذه العجالة رأيت المشهد كاملا، واقتربت ما يكفي من الحقيقة كيْ أغرق في بحر حزن وحسرة.

وكنت كلما اقتربت من الحقيقة أكثر، شعرت بالقذارة أكثر، خصوصا عند قراءتي لأحداثٍ وملابسات لا تفسير لها، مثل قرارات بعض القيادات التي لم تكن أبدا في محلها، بل وكانت محل استهجان الأفراد، ولعلي إذا فهمت التفسير وما خفي عليّ لكان ذلك يزيد من قذارة الموقف عليّ.

في هذه الرواية قرأت كيف أنّ مصير شعب بأكمله قد يكون رهنا بمزاج قائد هنا أو هناك، وكيف يمكن لموقف أن يغيّر مجرى التاريخ.

في هذه الرواية أدركت حقيقة الإخلاص والخيانة، وعرفت كمّ الإخلاص الذي نفتقده ونحتاجه. وكيف لو أنّ الأمة اجتمعت عليه، لأثمرت شجرتهم وأينعت قطافهم.

ولكن (كل حزب بما لديهم فرحون)، وكلّ منهم مربوط ومرتبط بخيط خفي لا يراه العامة،

بل ويحظر عليهم رؤيته أو الحديث عنه، لأنهم عندها يقعون في المحظور وربما انطفأت شمسهم خلف الجبل. خيوط لا تدري كيف تعمل ولا تعرف أين منتهاها، وربما.. أقول ربما كي لا أظلم تلك الخيوط، ربما تحرك كلّ تلك الخيوط أصابع يد واحدة.

الإخلاص موجود، وموجود بكثرة بدليل ما تعج به السجون من شرفاء مخلصين، وبدليل عدد من باتوا تحت تراب الحرية دفاعا عن الأرض والعرض، وقد امتلأت صفحات هذه الرواية بالكثير من الأسماء التي كنا على وشك نسيانها، وربما لم نعرف الكثير منها. فالإخلاص موجود على مستوى الأفراد، ولكن عندما يتعلق الأمر بالخاصة فالدوافع تكون مختلفة والأفعال تكون مختلفة، ودائما لديهم الأعذار المقنعة ودائما حجتهم لا يأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها.

فالإخلاص موجود وبكثرة ولكن دونما فائدة ما دام هناك من يئده في مهده، والإخلاص موجود ولكنه يحتاج دائما إلى مدّه بالزيت كي يدوم النور.

وخلاصة القول، ماذا بعد؟

بل ماذا كان من أمر قضيتنا إلى اليوم؟

من المسؤول عمّا سبق من نكبات وهزائم؟

ومن المسؤول عن استمرارها إلى هذه اللحظة؟؟

أين الداء لكي نصف له الدواء؟

وكيف سيكون شكل المستقبل، ومن سيحدد ملامحه؟

وهل يحمل لنا الغيب ما كنا نخشى؟ أو ربما يحمل لنا ما لم يخطر لنا على بال؟

ألم يئن لقابيل الفلسطيني أن يرتوي من دمِ أخيه؟

وهل سيظل يوسف الفلسطيني تحت ظلم أخيه من المحيط إلى الخليج؟

ما هو دور الفرد؟ وما هو دور القيادة؟

ألسنا بحاجة إلى تغيير جذري وإلى قلب الطاولة وطيّ صفحات الماضي؟

ألم يحن الوقت لتمزيق أوراق أوهامنا الاستراتيجية والتكتيكية،

أيها المفكرون نحن بحاجة إلى شمس تولد من جديد، أعيدوا قراءة التاريخ من جديد واكتبوا لنا مستقبلنا من جديد، ولكن بإخلاص وبلا خيوط لا نراها.

"أميرة الوجد" لفراس حج محمد

القدس: ١٦-١٠-٢٠١٤ ناقشت ندوة اليوم السابع الثقافية الأسبوعية الدورية في المسرح الوطني الفلسطيني في القدس ديوان"أميرة الوجد" للشاعر فراس حج محمد الصادر عام ٢٠١٤ عن منشورات الزيزفونة لتنمية ثقافة الطفل في رام الله، ويقع الديوان الذي صممه شريف سمحان في ٢٠٠ صفحة من الحجم المتوسط.

بدأ النقاش **ابراهيم جوهر** فقال:

يقف القارئ على غزل عذريّ السمات ويلمس لهفة طاغية بالوصل الذي يلقى صدّا وتمنّعا من معشوقة ظل الشاعر يلاحقها بطيب ألحانه وسموّ معانيه من أولى القصائد حتى آخرها. لقد استفزني هذا العاشق الذي لم ييأس! وكدت أقول: امنح قلبك غيرها لكي لا يظنّوا أنك قاتل نفسك في هواها!!

يعيدنا الشاعر (فراس حج محمد) بنفسه الطويل وإصراره على التودد لمعشوقته إلى لغة الشعراء العذريين وخصائص شعرهم الذي يبرز فيه البراءة، والانتظار، والمتعة بالتعذيب، والعيش على أمل الانتظار والوصل في غد قريب.

ويظهر أحيانا قليلة لدى الشاعر شيء من ذاتية (عمر بن أبي ربيعة) العاشق المعتد بنفسه الذي صوّر نفسه معشوقا لا عاشقا (صفحة ١٤٥). ولا ينسى شاعرنا (فراس) الإشارة إلى كرامة الشاعر التي تضيع عادة في العشق ، وهو المكان الوحيد المسموح فيه هذا الضياع. فنراه يعود إلى رشده الذي سلبته المعشوقة المتمنّعة فيتحدى الضعف (صفحة .(١٦٥

يكتب الشاعر مكررا المعنى والحالة ذاتها؛ يشكو، ويرجو، ويحنّ ويأمل ولا نرى من المعشوقة سوى الصدّ والهجر والبعد. من هنا جاءت قصائده وخماسياته جميعها تنطق بحالة واحدة وهي تدور حول محور بعينة في مساحة محدودة.

والشاعر متأثر إلى حد كبير بالشعر الغزلي وغزل العذريين بالتحديد إلى درجة التطابق أحيانا؛ يقول في الصفحة:١٤٩

وأحبها وتحبّني / ويحب جملتها بريدي

وهو مأخوذ من قول الشاعر (المنخل اليشكري)

وأحبها وتحبّني / ويحب ناقتها بعيري

وإذا كانت قصائد الديوان جميعها تحمل سمات الغزل العذري فإن قصيدة (موعدنا قريب) على الصفحة ٨٠ حتى ٨٢ تمثّل هذه السمات كاملة.

تأتي قصائد (أميرة الوجد) للشاعر فراس حج محمد في زمن غابت فيه روح القول الغزلي للانشغال بالهم السياسي والوطني العام، وهو يتعمّد العودة إلى هذا الغزل الإنساني النبيل الذي يبحث عن شقّه الآخر في مسيرة حب وتوحّد ثنائي العطاء

وقال **جميل السلحوت**:

جاء في الصفحة ٣ من الديوان" ما الشعر إلا فكرة عليا تهدى إلى تلك الأميرة" وهذه هي فلسفة الشاعر في فهمه للشعر وأسباب كتابته له. ومن يقرأ الديوان سيجد ضمير الغائبة يعود إلى فتاة من لحم ودم، يتغزل بها الشاعر.

وفي الصفحة ٧ يواصل الشاعر متسائلا:" هل كانت تلك القصائد قرابين لجرح ما زال أخضر، هل ستتقبلها مني أم سأكون مثل هابيل في ثوب قابيل المحكوم عليه بالشقاء الأبديّ؟"

وهذا يشي بأن الشاعر يعيش قصة حبّ من جانب واحد، وأنه سيكون قتيل الحبّ مثل هابيل الذي قتله شقيقه قابيل، كما جاء في الرواية الدينية، وبالتالي كتب على نفسه الشقاء الأبديّ. وفي تقديري أن الشاعر لم يوفق بهذا التشبيه، لأن قابيل وهابيل أخوان، والشاعر وعشيقته ليسا كذلك ولن يكونا.

لكن تعلُّق الشاعر بحبيبته شبيه بقيس بن الملوح وحبيبته ليلى، مع الفارق طبعا، فليلى كانت تحب قيسها الذي جُنّ في هواها، لكن والدها حال دون زواجهما لأن قيسا تغزّل بها، وهذا ينافي العادات القبلية. وزوّجها من غيره. فازداد جنون قيس ودار في الصحاري الى أن التقى زوج ليلى في بيته دون أن يعرفه، ولما علم من هو مضيفه سأله:

بربّك هل ضممت إليك ليلى... قبيل الصبح أو قبلت فاها

وهل رفّت عليك قرون ليلى... رفيف الأقحوانة في نداها

وديوان الشاعر فراس حج محمد قصائد غزل من الغلاف الى الغلاف، وهذه ميّزة لصالح الشاعر، الذي يكتب لنا قصائد الغزل في زمن طغى فيه الواقع السياسي المرير الذي يعيشه الشعب الفلسطيني على كتابات الشعراء والأدباء. وهذا الديون يجيب على التساؤل: أين قصائد أو روايات أو قصص الغزل في الأدب الفلسطيني المعاصر.

وقد يكون التشابه بين فراس حج محمد وقيس بن الملوح في أن كليهما كتبا غزلا عذريا طغى عليه الوجد، بلا اسفاف وبعيدا عن الغزل المكشوف، أو التعرض لمفاتن الجسد.

بل ان فراس حج محمد يتوسل العشق منها، وقد يشتم نفسه ارضاء لها:

إن تقل عني سفيه...مع تحيات هدايا

لم أكذبها بقول..."فأنا نبع الدنايا".ص٣٦

وهو لا يرضى بديلا لها فيقول:

ليس في القلب نساء...غير تلك الجوهرية

من تجلت في طريقي...شبه أنوار بهيّة ص٦٠

بل انه يخاف الموت في هواها فيقول:

إن أتاك النعي يوما...أبلغيهم بالبقية

"مات يرجوني بحب...مات من شوق إليّه"ص٦٢

والشواهد في هذا الديوان على حالة العشق التي يعيشها الشاعر كثيرة، وهذا يدعو الى قراءة الديوان قراءة مستفيضة وناقدة.

وقال **عبدالله دعيس**:

فراس حج محمد شاعر عذري بامتياز. فقد عبّر، خلال معظم قصائده، وفي كل صفحة من صفحات ديوانه عن حرارة العاطفة وآلام الفراق والبعد عن المحبوبة، وابتعد بشكل جليّ عن وصف المفاتن الجسدية لمحبوبته، حتى أنّه حاول أن يخفي اسمها؛ فكنّاها أميرة الوجد، إلا أن أحرف اسمها ما فتئت تظهر في قصائده، حتى صرّح عنه مرغما في نهاية ديوانه قائلا:

فصبّح يا شروق على شروق وقل: إن الكلام غدا حميما

وقد عمد الشاعر في قصائده إلى إظهار المشاعر الجياشة تجاه محبوبته، التي لم تغادر خياله ولم تغب عن أحرفه وكلماته وأبياته. عاطفة صادقة وآلام وكبد، يقابلها صد وهجران وعدم اهتمام منها. لكنه لا ييأس ولا يغادره الأمل بوصالها، فلا يقابل هجرانها بالهجران، وإنما يزيده صدها عشقا ولظى. أحب الشاعر فتاته إلى درجة العبادة، فقد جعل حبها ديدن حياته، وجعل هواها الهدف الذي يحيى لأجله. لكننا نلمح في قصائده أنه يتوق إلى ألم الفراق أكثر من شغفه بوصال الحبيب. وقد أعلن هن هذا جليا بقوله:

أنا لن أعيش بغير أنّات الهوى هي رقصتي في وردي المتناثرِ

وكغيره من الشعراء العذريين، عبّر فراس حج محمد عن مرارة الفراق ولوعة السهر والأرق، وعن مشاعر الألم، ليس على فراق معشوقته وحيلولة صروف الدهر بينه وبينها كما فعل أقرانه من شعراء الغزل العذري، وإنما لعزوفها عن حبه وعدم مبادلتها لمشاعره. فشاعرنا بارع في اجترار الألم، لكنه غير قادر على جذب المحب إلى دفء عشقه. ولا يثنيه بعدها وعدم اهتمامها بلوعته عن عشقه فيقول:

فلست أتوب عنها طول عيشي سأحياها وإن هلّت خطوب

عبر الشاعر عن عواطفه عن طريق عدد من الصور الشعرية، لكن صوره في مجملها لم تغادر ما درج عليه الشعراء في وصف المحبوبة بالريم وخدها بالورد وقدها بالرمح ووصف الحب بالخمر والعشق بالسكر. وهذا ما دأب عليه شعراء كثيرون، فلا جديد فيه هذه الصور ولا إبداع. وحينما حاول أن يأتي بصور جديدة كان بعضها ممجوجا مثل قوله:

تعاليتم عن الأشباه حتى لعزّ المثل يا فرد المثالِ

تبدى عزكم في ذا المحيّا وفي قدّ ككثبان الرمال

إذا درجت تهزّ الأرض لينا! وترتجف النجوم مع الهلال

فكيف يكون القدّ الجميل ككثبان الرمال؟ وكيف يهز اللين الأرض فترتجف منه النجوم. هذا وصف لعملاق يدب على الأرض وليس لفتاة رقيقة.

ويقول الشاعر معبرا عن نكد الحياة في ظل ألم الفراق:

فحياتي كسيجارة لف

من أردأ أنواع الدخان

وفي رأيي أنه لم يكن موفقا في هذا التشبيه.

ومما يحسب للشاعر أنه استطاع أن يضيف أبجديات التواصل الحديثة إلى لغة الشعر

والغزل. فإذا كان العاشق قديما يكتفي بنظرة عابرة من محبوبته تعيش معه عاما كاملا، فالوصال الذي ضنّت عليه به محبوبته يمكن أن يتم عن طريق نقرة واحدة على شاشة جهاز خلوي أو زر حاسب آلي.

أظل أرقب صفحاتي أقلّبها علّي أرى طيفها في بعض "إعجاب"

فمهما اختلف الزمان فجذوة العشق ولوعته واحدة.

لغة الشاعر جميلة وعاطفته متقدة، وهو بإصراره على تقديم قرابينه لجرح ما زال أخضر، منتظرا وصال حبيبة معرضة عنه دون يأس، يُحيي سيرة شعراء الغزل العذري القدامى أمثال قيس وكُثَيِّر وجميل، وقد قارب جنونه جنونهم.

وقالت **رشا السرميطي**:

هذا هو الإصدار الرَّابع للشاعر الأستاذ المحاضر في جامعة القدس "فراس حج محمد"، ويأتي هذا الديوان بعد ديواني "رسائل إلى شهرزاد" و "من طقوس القهوة المرَّة" الصادرين عن دار غراب للنشر والتوزيع في جمهورية مصر العربيَّة، وديوان "أناشيد وقصائد" الصادر عن جمعيَّة الزَّيزفونة– رام الله ٢٠١٣م.

في هذا الدِّيوان، المملوء بحبر العشق وغراميَّات عشاقه، تتدرج على مسامع القارئ موسيقى الهوى العتيق، الذي يأخذنا لنتذكَّر ألحان قيس وليلى ومعلَّقات: امرؤ القيس، زهير بن أبي سلمى، وطرفة بن العبد، وغيرهم من ذاك الزَّمان، الذي كان فيه الشعر شعرًا له موسيقاه.

الغلاف بدا ملائمًا لمحتوى الكتاب، إذ توَّفق الكاتب بهذا الاختيار، الذي حمل اللَّون الأزرق، ولذلك دلالات عديدة، أهمُّها: الأبديَّة، مع وجود الأزهار الورديَّة، والفراشة الزرقاء التي عبر بها عن محبوبته غير المتكررة، التي هي بدورها رموز استخدمها الشاعر، وبرع في التعبير بها عن أميرة وجده، فكان الكتاب نتاجا شعريّا يستحق الارتحال، والقراءة باهتمام وعناية. لقد قُسم الديوان إلى قسمين: قرابين في معبد الشروق المقدَّس، وخماسيات.

إلاَّ أنه لديّ بعض الملاحظات حول تقسيم النُّصوص، ومادتها الشِّعريَّة، كما يلي-:

أولا: الترتيب الدَّاخلي للديوان؛ حيث بدت معظم عناوين القصائد ومضامينها، تصب في ذات الموضوع – شروق – الاسم الدال على محبوبة الشاعر التي تغنّى بها في قصائده خلال مئتي صفحة. تمنَّيت لو قام الشاعر بترتيب هذه القصائد، لتشكل لنا قصته الشعرية العاطفية من خلال مراحلها، بشكل يأخذ القارئ من مرحلة إلى أخرى، دون الإرهاق الفكري في تحليل ذات العناوين بشكلها المختلط. يقول في قصيدة "حبيبتي أنت إيماني": "فحرف الشين أرسمه/ بنور الشَّمس حياني/ وراء الاسم زينه/ رحيق الشَّهد مزدان/ وواو الورد جلله / بهاء في الربى دان/ وقاف قلقلت وجعي / فكيف الحب ينساني؟" (ص١٧)، وفي العديد من المواضع تغزَّل الشاعر بمحبوبته، وتدلت كلماته كروم وفاء ومحبة، لانسانة اصطفاها قلمه، ونصبَّها أميرة على عرش وجده.

ثانيًا: لغة الشاعر: اتصفَّت بالمتانة، والرَّصانة؛ من حيث التكوين اللغوي والنَّحوي، وقوة الحكمة في فنون الحياكة الشِّعرية، كما وتعددت الأوزان الشِّعرية المستخدمة، وتنوَّعت أماكن استخدامها، من خلال العديد من القصائد، فمثلا يقول، قصيدة " من غيرك": من أشقى القلب وأتعسه/ من أردى النَّفس وأتعبها/ من جامع قلبينا في الجب/ من ألقى قلبينا في الحب/ من أسقى قلبينا الأوهام/ وصنوف اليأس مع الأوهام ..." ص (٥٤). ويقول في قصيدة "وصباحي مثل تيه": لن يكون الغيب حلوا/ إذ يغيب الفرح فيه/ إنَّ للجرح انتكاسًا/ وانتقاصًا من ذويه/ ياصديقي كن قريبًا/ وابتعد عن قبح فيه/ لاتفتِّش عن زمان/ كان بستان السفيه/ عش لأجل الله دومًا/ واحتقر دنيا الكريه/ .." ص٤٠

ثالثًا: التراكيب والمعاني، والتشبيهات والاستعارات بدت سميكة ومتعرجة؛ أحيانًا، درج الوضوح عليها، وفي بعض الأحيان كانت غامضة، تحتاج القراءة المعمقة والتَّمعن؛ للاستدلال على ماهيَّتها، حيث برز ذلك من خلال العديد من قصائد الديوان، أذكر منها: أنا قلبي شهيد غير ميت/ فنهر الحب في مجراه سيل/ يجدده الزمان ويصطفيه/ فيرضى القتل والصبوات فضل/ فهذا الحب يسكن في فؤادي/ ويغرمه الشعور، فلا يمل/ عجيب

أمر قلب مستهام/ فكيف ينام أو ينسى ويسلو/ فهذا العيش لا عيش الخطايا/ وذاك السِّفر في الكلمات يتلو.." ص٦٨

أما على مستوى القيم والمفاهيم والأفكار التي يؤمن بها الشاعر، والتي أشبعت بها نصوص فهي متعددة منها-:

- تعزَّى الشَّاعر بالصَّديق واستند عليه: إذ توازن الشاعر في ذكر الصديق بقصائده، وتباين دوره الإيجابي في حياته، وكذا السلبي؛ فتارة ناجاه واستصرخ صديقه كي ينجده، وأخرى بكى طيبًا من الصديق اختفى، ومرة شكى حاله لما حل من صديقه في محاولة استمالة محبوبته. لقد قدَّم لنا الشاعر حالات الصديق الطبيعية، بحلوها ومرها، فيقول: "أغيثوني فقد عزَّ الصحاب/ وغام الفجر، واكتمل المصاب/ أغيثوني أحبائس فإني/ ظمئت وزاد من وجعي الغياب/ ..." ص(٤٦). ويقول: "أين الهدوء وأين طيب البال/ قد خربتني خيبة الآمال/ قد آلمتني نزعة مشقوقة/ من ضلع هم العيش والأحوال/ .." ص.٦٣

- غزارة الأمل: فقد امتلأت معظم بَوْحيَّات الشاعر في قصائده بالأمل بعد طول الجوى، وامتداد الغياب الذي حدث شروق شمسه والأفول، برذاذ الأمل الذي يحيي قلمه وروحه بعد طول الغياب، يقول "أنا المجبول في هدي الضلال/ على الأقدار، ميلي واعتدالي/ فأنت الصَّمت مرويا بليغا/ ليصطف الهوى عذب المنال/ .." ص.٧٠

- حضور الوطن، والغياب، والألم، ووجع الانتظار في قصائد " حج محمد"، ومضى " فراس" مسبرًا نحو الذَّات ومحاكاة النَّفس لروحها، وما تخطُّه الأقلام على دفاترها، أملاً بغدٍ تصير فيه الحياة أصفى، وأقلّ تعقيدًا. فمثلاً قصيدة "بقيَّات": وهي من القصائد التي استمالتني، كثيرًا، وتوقَّفت عند العديد من أبياتها. القصيدة مليئة بالوصف والتشبيهات البليغة، وفيها من الحكمة، الناتجة من التقدم في العمر الزماني وفي العمر الفكري، ودلالة ذلك عمق التجربة، واغداق الشاعر في عطاءاته، فيقول:"...ماتت بقيَّة كل شيء/ وتلبد وجه المسافر وانطوى/ وتقمصتْ شخصية البهلول/ أحلام الفلك/ تأتي كلَّ يوم لتقول لنا: .. بقيت هناك ليلتان/ لتغوص في المطلق" ص.٣٨

أما في "الخماسيات": تغنَّى الشاعر بحضور اللحظة ورصد أوجاعها، في مرافقة محبوبته له في كافة ثواني الوقت من عمره الحي بها، وبحضورها فقط يبقى ينبض ويكتب الشعر، يقول:"يعود الورد بالأشواق يندى/ ويحمل قلبنا معنى ووجدا/ ويرقص بالهوى خجلاً طروبا/ ومحمر الخدود يهل شهدا/ .." ص(١٠٣)، ويقول:"أميرة وحدتي عمري وسهدي/ وقلبي عامر بالحب وحدي.." ص(١١٢)، ويقول أيضًا:"حياتي لفها حزن قديم/ فصاغ النفس من لهب وجمر.." ص.١١٣

أخيرًا: أعتبر ديوان أميرة الوجد ديوانًا أخذ مكانه في مكتباتنا الفلسطينية المختصَّة بالشعر، وحبذا يأخذ مكانته في جامعاتنا. لكنني، إن جاز لي أن أقترح على شاعرنا في طبعات لاحقة دراسة المحتوى واختزال المكرر منه، لاخراج ديوان كامل يحمل وجدانياته لـ "شروق"، مع تقسيم آخر، يُخرج به ذات المحتوى في مونتاج جديد يتمُّ، من خلاله، مراعاة التدرج النفسي والمعنوي لهذا البوْح الشاعري المغموس بالمحبة والأصالة والوفاء؛ لأنَّ ذلك يعطي للقارئ مساحة للحضور والتفكُّر، وفهم المحتوى، وفرصة للتنَّقل بين روض هذه القصائد الجميلة عن الحبِّ، والتطيُّب بعطر ألحان الهوى التي وردت فيها.. كل التقدير لشاعرنا وإلى الأمام.

وكتب الينا **صاحب الدّيوان الشاعر فراس حج محمد:**

امرأة الوجد امرأة الكليات والأبدية

لم تكن أميرة الوجد امرأة عادية، ربما كانت امرأة ككل النساء، بالنسبة لكل من يراها أو يتعامل معها، ولكنها بالنسبة لي لم تكن مجرد امرأة أحببتها وهمت فيها، وكتبت فيها شعرا، ربما كان شعرا مراهقا أحيانا، غير طازج، مكررا، فيه ما فيه من قول في الصورة والفكرة واللحن والإيقاع والتجربة، ولكنه بالنسبة لي شكل منعطفا ضروريا ومهما في الشعر وصناعته والنظرة إليه وللمرأة بشكل خاص!

لم تكن تلك المرأة الموسومة في الديوان بتلك السمات العامة غير المحددة شكلا ومبنى، ولكنها المعرفة أثرا وسحرا، لم تكن امرأة عابرة ككل العابرات الأخريات، أتت لتقيم بيني

وفيّ، ولم تبرحني مذ أحسست بها امرأة، أنثى، فكرة، معنى، جنونا، لم تبرح تحفر في ألمها وحنينها وعبق ارتحالها فيّ المسافر دون حد ودون مدّ، حتى لقد جبلتُ فيها، ولعلها جبلتْ فيّ وجبلت عليّ!

لم تكن أميرة الوجد فكرة لقصيدة وديوان شعر، ولم تكن تجربة عاطفية فاشلة أو ناجحة، كانت أبعد من فكرة وأسمى من صورة محصورة في جملة شاعرية، كانت كأنها الإكسير أو ماء الحياة الذي أتى ليذيب النفس ويصهرها على درجة حرارة أعلى من حرارة الشمس الفكرية والوجدانية، وتعمني كصوفيّ تعانق والكليّات واستبطن الأحلام والتصورات، مترفعا عن كلّ أرضيّ يعفّر وجه الروح.

لم تكن أميرة الوجد إلا امرأة واحدة في تجليها كل حين في كل حين، في كل بارقة من وحي، وستظل هي هيَ مهما استبعدتها رياح القدر، واستفردت بي وبها مسافات تطاولت دون أن تكون في المحل الذي يجب أن تكون هي فيه!

أميرة الوجد هي المرأة التي صنعتني شابا وجعلتني شابا، ولم تسمح للشيخوخة أن تنبت في جسد الشعر والفكر والروح، امرأة مهما كتبت عنها سيكون ظلالا باهتة لنور عمّ وأعطى للنفس معناها وللحياة أملا لن يمحى له أثر، ولا يكتب له إلا أن يظل مترائيا يبثّ إشعاعاته عمرا طويلا كان أم قصيرا، بل لعله سيتجاوز الحاضر إلى ما بعد بعد الحاضر، ليكون أبديّ الضياء، شامل الغناء، مستغنيا عن غيره، محتاجا له كل شيء.

امرأة الوجد هي المرأة الروح وسيدة الروح، وهي امرأة الأبدية، وسيدة الوقت، ستبقى ما بقي النور الإلهي امرأة لا يحيط بها وصف، وتفيض عن اللغة وعن الشعر، فليس بمقدور ديوان كهذا أن يؤطرها بين دفتيه، لأنها عصية على الترويض والاستكانة بين جدران الجمل، وتراكيب الكلمات، وبنية الحروف. امرأة ستظل أميرة للوجد وتحيا في سمو وشموخ وترضع من حليب السمو إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

رواية "بطعم الجمر" لأسعد الأسعد

القدس: ٢٣-١٠-٢٠١٤ استضافت ندوة اليوم السابع الثقافية الأسبوعية الدورية في المسرح الوطني الفلسطيني في القدس، الأديب الفلسطيني المعروف أسعد الأسعد، حيث ناقشت روايته الجديدة "بطعم الجمر" الصادرة عام ٢٠١٤ عن دار الجندي للنشر والتوزيع في القدس، وتقع في ١٤٢ صفحة من الحجم المتوسط.

بدأ النقاش **مدير الندوة ابراهيم جوهر** فقال:

بطعم الجمر رواية أسعد الأسعد

تنعى مرحلة أوسلو برمّتها

عشت هذا النهار مع (زيد) وعودته المبتورة إلى (المتاح من أرض الوطن) و(رباب) المريضة الساكنة في المرض والنسيان. زيد العائد، ورباب الباقية، وبينهما أوسلو الذي أدخل العدو من الشباك بعدما أوهمنا أنه خرج من الباب....وبين البينين والبين الكبير (!!) كان (سالم) الابن الذي يحمل من اسمه دلالته وسلامة تفكيره واختياره.

سالم الذي يختفي بين أشجار الوادي وكهوفه يجتذب والده العائد الخائب في النهاية.

أستذكر في نهاية رواية (أسعد الأسعد) طنطورة (إميل حبيبي) و(باقية)، إذ الانتصار في النهاية للنهج المقاوم وإن حاول (المتعقل) التساوق مع إفرازات المرحلة، وطلب الهدوء والسكينة، لأن (الآخر) لا يمكّنه من رسم حياته الوادعة كما يريد.

أدب مرحلة (أوسلو) بدأ يعلي الصوت منتقدا المرحلة في محاولة لطرح البديل الذي تارة

يكون بالعودة إلى أساليب المواجهة التي كانت في البدايات، أو الاستعانة بأسلوب المواجهة الشعبية...الخ.

والبدائل المطروحة مباشرة أو تلميحا تستند إلى تجربة السنوات العجاف من عمر (أوسلو) وتطبيقاتها المشوهة وهي لم تحقق طموحات الذين حلموا بوطن، أو شبه وطن، كان عبّر عنه الراحل (محمود درويش) بـ: المتاح من الوطن.

في رواية أسعد الأسعد (بطعم الجمر) نقف على عودة تحت سقف منخفض منذ لحظة دخول (زيد) أرض الوطن ليفاجأ بالاحتلال وهو باق على ما كان عليه، فلم ير مظاهر التحرر ولا الحرية والاستقلال. ثم يقود الكاتب قارئه مستعرضا حال الشعب والوطن وهما تحت عيون المحتل الذي خرج من الباب وعاد من عيون الأبواب الخفية والعلنية، ويكون الحل بالانضمام إلى كتائب المواجهة الرافضة وطنا يراقبه محتله ويتحكم بمصير أبنائه ومستقبله.

بطعم الجمر تحمل رسالتها المقنعة، وتنحاز إلى الناس وروح المقاومة بصراحة لا تنقصها الجرأة في النقد الداخلي.

ولغة الكاتب التي تجيء استمرارا للغته في رواياته السابقة حافظت على متانتها وروحها الأدبية التي أخذت من بستان الشعر بيانه وصوره وإيحاءاته، ومن الرواية تفصيلها وهدوءها في السرد، وجمالها في الوصف.

بطعم الجمر هي حياتنا التي يجب أن تتغير.

وقال **عبدالله دعيس:**

رواية "بطعم الجمر" والاغتراب في الوطن

لم تمت رباب

يهدي الكاتب أسعد الأسعد روايته "بطعم الجمر" الصادرة عام ٢٠١٤ عن دار الجندي للنشر والتوزيع في القدس إلى رباب التي سكنت زوايا ذاكرته، ويجعلها شخصية رئيسية في روايته، يحكم عليها بالمرض العضال الذي يلازمها منذ أن تُذكر أول مرة في الرواية حتى نهايتها. يجعل القارئ يحسّ أنها ستلفظ أنفاسها الأخيرة في أي لحظة، فيرسم صورة الموت على وجهها، لكن الرواية تنتهي ورباب تبقى على قيد الحياة.

هل رباب هي الوطن؟ فالوطن لا يموت مهما ضعف! كانت رباب قوية حينما كانت تعين زيدا على مقاومة الاحتلال، ثم غدت ضعيفة عندما عاد زيد إلى أرض الوطن بعد توقيع اتفاقية أوسلو. عاد ليجدها تعاني من ألم المرض، تماما مثل فلسطين التي حملت فوق رزء الاحتلال أوزارا حمّلها إياها أولئك الذين تهافتوا على توقيع أوسلو.

عاد زيد بعد اثني عشر عاما ليجد الاحتلال ما زال يربض على صدر فلسطين كما تركه، فحواجزه ما زالت تقطّع أوصال الوطن، والكابتن روني ما زال يلاحقه في كل مكان. وليجد فلسطين تثقل كاهلها سلطة هزيلة تكمّل العمل الذي ترفّع الاحتلال عنه.

عاش زيد في ظل الاحتلال قبل إبعاده، لوحق وسُجن وعُذّب، رأى قبح الاحتلال ووعاه جيدا. رأى الدمار الذي ألحقه العدو بالأرض والإنسان بجلاء ووضوح، لكنه في الوقت ذاته كان يرى جمال فلسطين: أريحا ورام الله التي عشقها وبحر غزة وعنبها. كانت فلسطين جميلة رغم وشاح السواد الذي اعتراها.

عاد زيد من غربته خارج الوطن، ليعيش الاغتراب داخل وطن يتظاهر بالحرية بينما يشل الذل أوصاله، ليرى فلسطين كما كانت، ترزح تحت نير الاحتلال، تطول يده كل بيت وحي، وجنوده يلاحقون صيادي غزة وفلاحي رام الله.

وفي هذه المرة، لم تكن فلسطين جميلة كما عهدها. لم ير زيد جمال الشاطئ ولا وشموخ الجبال، بل رأى الجموع التي تهرول نحو حاجز قلنديا بغير نظام أو احترام، رأى الأغبرة التي كانت تكسو المباني العشوائية المحيطة بمخيم قلنديا، والطرق الوعرة داخل الكسارات.

رأى المستوطنات تتضخم وتتمدد، ورأى الجندي الفلسطيني الذي يستميت لحمايتها! لم تكن فلسطين جميلة، كانت هزيلة عليلة، تماما مثل رباب التي تصارع الموت.

يبث الكاتب أفكاره بأسلوب بسيط ولغة سلسة منسابة. يستخدم ضمير الغائب، ويشير إلى بطل القصة بـ(هو) لدرجة أن القارئ يشعر أن زيدا بعيد هائم غريب، ثم يعمد إلى الالتفات لضمير المتكلم، ويجري حوارا داخلي بين زيد ونفسه حتى لا يستطيع القارئ أن يفرق بين شخصية الراوي وشخصية زيد، ممّا يوحي له أن الكاتب يكتب شيئا من تجربته الشخصية.

زيد الذي عانى من أجل فلسطين وعشق أرضها وضحى بحبه من أجلها، وزيد الذي عاد تحت بنود اتفاق هزيل ليجد فلسطين تتنكر لأبنائها الذين جاهدوا من أجلها، وتهب نفسها لأولئك الذين سهل عليهم التنكر لها وخيانتها. هذه المفارقة بين شخصية زيد المناضل، وزيد الذي نسي وطنه وارتمى في أحضان الغانيات في العواصم الغربية، حتى نسي أسماءهن وأشكالهن لكثرتهن، ونسي رباب التي كانت تنتظره في رام الله وترضع ولدهما سالم حب الوطن، تعكس المفارقة بين المجاهدين الشرفاء وألئك الذين يرفلون في أثواب الخيانة والخنوع.

لفت نظري اللقاء الفاتر بين زيد وأمه بعد غياب اثنتي عشرة سنة، كان لقاؤهما باهتا تماما كلقاء زيد مع وطنه عند عودته. لم يشأ الكاتب، أو فاته، تصوير هذه اللحظات الوجدانية بصورة توضح حميمية اللحظة التي وصل فيها إلى وطنه واللحظة التي قابل فيها أمه.

الكتاب يزخر بالأخطاء المطبعية في كل صفحة من صفحاته، حيث نلاحظ أن كثيرا من الأسطر تبدأ بفاصلة! وأن بعض الفقرات تنتهي بفاصلة بدل النقطة! بالإضافة إلى بعض الأخطاء الإملائية. كان الأجدر بكاتب في مكانة الأستاذ أسعد الأسعد أن يراجع الكتاب بشكل أفضل وأن يخرجه في أبهى حلة.

ينهي الكاتب الرواية بأن يجعل الشاب "سالم" يختار طريق المقاومة مبتعدا عن وهم السلام

المزعوم. أما زيد فيغيبه الوادي متماهيا مع أشجار الزيتون وأشجار البلوط والعليق. يغيب في حضن وطنه ويعود إلى أصوله، وتعود إلى فلسطين بهجتها.

وقال **جميل السلحوت:**

عنوان الرواية: تحمل الرواية عنوان"بطعم الجمر" فهل للجمر طعم؟ وهل نتذوق الجمر أم أنّنا نحسّ حرارته؟ ويبدو أنّ أديبنا أراد القول بأنّ المنغرس في أرضه في وطن أثقلته بساطير المحتلين كالقابض على الجمر.

الاهداء: يهدي أديبنا روايته هذه "الى رباب التي سكنت زوايا ذاكرتي، وزيد الذي حمل بعض ملامحي، وما برحت تفاصيله تلاحقني أينما رحلت"ص٥. وهذا اعتراف من الكاتب يؤكد فيه أنّ زيدا هو الكاتب نفسه، وإن كان مطعّما بخيال خصب جميل. وواضح لمن قرأ روايات أسعد الأسعد السابقة أنّ هذه الرواية هي امتداد لرواياته السابقة التي ابتدأها برواية"ليل البنفسج" التي صدرت في العام ١٩٨٩. طبعا باستثناء رواية "الطريق الى سمرقند" فموضوعها مختلف. وشخوص الرواية هم أنفسهم شخوص الروايات السابقة، بل ان بعض الأحداث جرى تكرارها أيضا، وهذا يؤكد من جديد مقولة "أنّ الكاتب قد يكتب شيئا من سيرته الذاتية في كتاباته".

مضمون الرّواية: يرتكز موضوع الرّواية على عودة أحد المبعدين الفلسطينيّين "زيد" الى أرض الوطن، بناء على اتفاقات أوسلو الموقعة بين منظمة التحرير الفلسطينية واسرائيل في أيلول ١٩٩٣. ولكنه يُصدم بأنّه لم يعد الى وطن محرّر، فالاحتلال لا يزال قائما، وعذابات الشعب الفلسطينيّ تزداد يوما بعد يوم، بل إن الأمور ازدادت تعقيدا، وأن الصّراع يمتدّ من جيل الى جيل. فمثلا سالم بن زيد الذي كان طفلا عندما أبعدوا والده عن أرض الوطن، أصبح هو الآخر مطاردا من المحتلين.

البناء الروائي: استطاع الكاتب أن يطرح فكرته بلغة انسيابية لا ينقصها عنصر التشويق، وقد طوّر الحدث الرئيس بطريقة منطقية، وهو عودة زيد إلى رام الله، من القاهرة مرورا

بقطاع غزة، ومكابداته في عبور النقطة الحدودية بين قطاع غزة ومصر، وكذلك في عبوره معبر بيت حانون"ايرز"شمال قطاع غزة وهو في طريقه الى رام الله، وكذلك تسلّله الى مدينة القدس لزيارة زوجته المريضة بالسرطان في مستشفى هداسا عين كارم، وأثناء علاجها بالكيماوي في مستشفى أوغستا فكتوريا "المطلع" في القدس العربية المحتلة، ساعده في ذلك معرفته الدّقيقة للمنطقة بقراها ومخيماتها ووديانها وجبالها، وهذا التسلّل لم يكن بعيدا عن عيون الأمن الاسرائيلي. لكنّهم كانوا يغضون النظر عن بعض حالات التسلّل. وقد جاء طَرْح الكاتب لقضية التسلل الى القدس ليبيّن كيف أنّ القدس العربيّة جوهرة الأراضي الفلسطينية المحتلة في حرب حزيران ١٩٦٧ وعاصمة الدولة الفلسطينيّة العتيدة، قد حوصرت بشكل تام بعد اتفاقات أوسلو، وأحيطت بمعابر هي أشبه ما تكون بمعابر حدودية بين الدّول المتجاورة والمتحاربة.

ملاحظة: يبدو أنّ الكاتب قد تعجلّ في دفع الرواية الى الطباعة قبل تدقيقها، فقد ورد فيها عدد من الأخطاء اللغوية والاملائية والنحوية التي كان يمكن تلافيها لو تمت مراجعتها قبل الطباعة.

وقالت **سوسن عابدين الحشيم**:

تحكي رواية "بطعم الجمر" قصة زيد الذي نفي الى لبنان لمدة خمسة عشر عاما، تاركا زوجته رباب وابنه سالم يعيشون مآسي الحياة وظلم الاحتلال الاسرائيلي الغاشم في قرية عين مصباح احدى قرى رام الله. يبدأ الكاتب روايته بسرد الوقائع التي مرّ بها زيد منذ اعلان اتفاقية اوسلو والتي من بنودها عودة المبعدين الفلسطينيين الى وطنهم، وصف الكاتب رحلة العودة ابتداء من القاهرة والمبيت فيها والتنزه على كورنيش النيل في ساعات الليل المتاخرة، والتجول في شوارعها وأزقتها التي تعج بالناس والسيارات، رسم الكاتب لوحة جميلة تصف القاهرة والنيل ثم يصل بنا عبر العريش الى معبر رفح، كانت رحلته شاقة ومتعبة، ولكن يختفي التعب عند وصوله الى غزة، وتحقق حلمه بالعودة الى وطنه، فيتجول في شوارع غزة ليسترجع ذكرياته التي كانت دوما في ذاكرته، حيث تبين له أن غزة لم تتغير

رغم مرور خمسة عشر عاما على رحيله منها، حيث قال في صفحة ٥٣ "كأن الزمن توقف عند شاطئ غزة". يصف الكاتب معاناة الصيادين على هذا الشاطئ وما يواجهونه من مخاطر من أجل الصيد متخفين من حرس السواحل الاسرائيلي وتعرضهم للرصاص =، فعرض قصة أبو علي أحد الصيادين الذي أصيب برصاصة، وتم نقله بنفس السيارة التي تقل زيد الى مستشفى الشفاء لتلقي العلاج، حيث شاهد زيد عددا كبيرا من المصابين الذين واجهوا نفس المصير مثله، يتساءل الكاتب بطريقة هي اقرب الى الفلسفة عن سبب تعلق الانسان بوطنه؟ فبعد وصول زيد الى الشاطئ يتمتع بمنظر البحر الرائع راسما لوحة جميلة جدا يصف فيها مغيب الشمس عن البحر، تبدو عليه علامات التعلق بغزة، فيقول كل شيء هنا مختلف، مع انه سافر الى اوروبا ولم يشعر بجمال وروعة مدنها كما يشعر بجمال غزة وبحرها المميز... لا شيء يعدل الوطن، يجيب الكاتب على اسئلته التي بهذه الجملة هي الحنين الى الوطن، لماذا نتعلق باوطاننا؟ هل هم الأهل والأصدقاء؟ أم الارض التي مشينا عليها وكبرنا في احضانها؟ أم البيت الذي ضمنا؟ أهو المكان أم الزمان أم الذكريات التي نحملها في أعماقنا؟ يحلم زيد ويسترسل في حلمه بالعودة ولكن أيّ عودة وهي بطعم الجمر؟ لم يكن يعرف ماذا ينتظره؟ كان يعيش حياته في المنفى ويسافر ويقيم علاقات كثيرة كأنها محطات سفر، يغادرها دون أن يتذكر منها شيئا، ولكن أهله ووطنه يظل عالقا في مخيلته، حيث يقول أن عقل الانسان كالحاسوب يخزن في الذاكرة، ولكن نستطيع أن نمحو ما نخزنه بالحاسوب، ولا يمكننا فعل ذلك في عقلنا، فلا نملك القدرة على محو حلم يرسخ في ذاكرتنا، حلم العودة الذي طالما انتظره يتحقق الآن ويصل رام الله ويرى ما لم يتوقعه، زوجته بالمشفى تعالج من مرض السرطان، وابنه سالم يسير على خطى أبيه، يواجه الاحتلال ويعيش في خطر ملاحقته من جيش الاحتلال، صدمة أخرى أحبطت زيدا وجعلته يتراجع عن حلمه الذي اعتقد انه تحقق، وقد حصل على حريته وقد تحرر وطنه، ها هو الآن مقيد ومحاصر وممنوع من دخول القدس؛ ليرى زوجته المريضة، فكل الشوق والحنين لها يجابه جدار الفصل العنصري، فيتساءل أيّ اتفاقية وأيّ سلام ؟ هل السلام أن يدخل القدس بتصريح أو تهريبا؟ هذا هو حلمه يذوق فيه طعم الجمر فيحترق بلهيبه، يسترجع ذاكرته بكلام أبيه، بعد محادثته يستجدي منه جوابا لأسئلته، لماذا تقسو الحياة علينا بهذا القدر؟

نحبها ونتمسك بها، لكنه الموت يا أبا زيد، انه الرحيل الأبدي، الرحيل الذي لا يحتمل" فيجيب أبوه بهذه الكلمات المؤثرة، نحن يا بني لا نملك أن نغيّر أقدارنا"ص ١١٥، يختم كاتبنا روايته بموت رباب واختفاء زيد لاحقا بابنه الملاحق من قبل جنود الاحتلال،، اراد الكاتب في روايته توجيه نقد ساخر لاتفاقية أوسلو، فيعود الزمان كأن اتفاقية أوسلو لم تعقد الا لمساعدة الاحتلال في الحفاظ على أمنه وأمن مستوطناته من قبل سلطة وطنية، تسيطر على الوضع الراهن، حيث يستطيع جنود الاحتلال مداهمة أيّ منطقة تقع تحت ما يسمى بأراضي الضفة الغربية وباشراف السلطة الوطنية الفلسطينية.

وقال **راتب حمد**:

زيد أو لنقل اسعد الاسعد العائد الى الوطن يغرق بمياه النيل بين مصدق العودة الى الوطن غزة وبين مشكك، لكنه يستسلم للأمر لأنه اقل ما يكون عائد ولكنها عودة غير محمودة – هكذا يظهر زيد من خلال الرواية – لأن فيها من العذاب والاهانة ما فيها، انتظار، اهانة، تحقيق عذاب، ولكنه الوطن يسكن فينا مهما ابتعدنا عنه."الأرض باقية لا ترحل، الناس هم الذين يرحلون وإنما البشر الذين يعودون."

تشكل فلسفة زيد الثبات على الارض وعدم تركها مهما واجه الانسان من صعوبات، صور كثيرة رسمها زيد من العذاب الذي عايشه من قبل، فالعودة اليوم تعطي صورة الألم الذي عايشه بالأمس، ألم اللحظة من ساعات الأمس الأليمة، وكأن جنود الاحتلال يتلذذون بعذابات الناس وذلهم، أي عودة هذه؟ أي إتفاقية تقبل هذا الذل؟ ولكنها مرحلة – كأنه يريد أن يقول – قبلنا اليوم بهذا ولكن أجيال الغد هي من تقرر، وسالم أصبح رجلا وهو يدرس في جامعة بيرزيت، وعشق الوطن وحبه وصيته للأجيال وكل جيل يورث هذا الحب للجيل الذي يليه وهذا ما كان الأعداء يراهنوا عليه "الكبار يموتون والصغار ينسون".

وقبل الدخول إلى غزة يعزف أسعد الأسعد على وتر التنسيق الأمني "هناك مكتب ارتباط في الجانب المصري / التنسيق الأمني من اليوم الأول ولذلك كان الكابتن روني بانتظار زيد

"ألم أقل لك ، سوف تجدني أينما ذهبت (ص٤٧)"، وسيتكرر المشهد مع روني هذا لاحقاً كأنه وظف من أجل زيد فقط ولكنه التنسيق، من يدخل؟ ومن يخرج؟ ومن يسمح له ومن لا يسمح له...

ولكنها الحقيقة ها أنت يا زيد في أراضي السلطة الفلسطينية، نعم إنها الحقيقة .. (ص٥٠) ومنذ اللحظة الأولى يبدأ زيد باستعادة الذكريات ومعارفه القديمة للشوارع والأحياء، غزة لم تتغير كثيرا، شوارعها لا تزال ترابية، والشوارع المعبدة لا تزال كما هي قبل خمسة عشر عاما، والحصار ما زال كما هو، أبو علي يصاب بعيار ناري من الدبور الاسرائيلي أثناء الصيد وما زلنا لليوم إن لم يزد ذلك، وكذلك فإن الاحتلال لا يزال بالقطاع يعربد وقد أدرك سخف ما يجري، أي سلام هذا؟ قال سلام هذا ... إنه سلام القوي يا عزيزي ص.٧٦

لقد نجحوا في احتلال الأرض بعد أن طردوا أصحابها، صحيح فقد أطلقوا كذبة صدقوها ومن ثَمَّ أقنعوا العالم بها ص٧٧، إنهم أذكياء .... ونحن أغبياء... لا شك أغبياء وهذا بحد ذاته يفتح الأبواب للاستسفار.

إنها غزة، تأخذك بسحرها وجمالها، وكلما تزداد معرفة بها كلما تمسكت بها أكثر و"زيد" يأخذنا إلى هناك ليقول انه يعرف كل شيء، مركز رشاد الشوا، المجلس التشريعي، الجندي المجهول، شارع عمر المختار، مبنى السراي، سينما سامر، سوق فراس، حارة الزيتون، الشجاعية (أنت سائق وأنت أدرى بشعاب غزة ص٨٣)، إنه يرسم خارطة معرفة القطاع غزة، ليتركها ويرسم خارطة الوصول الى رام الله تاركا القطاع، مودعا بشجرات الجميز التي هي أقل ما تكون شاهدا على ما سبق أنها الطريق، المستعمرات، الذكريات، قرية عاقر، المطار العسكري،قرية المسمية، قرية السوافير، قرية جولس، بيت محسير، دير محيس، خلدة (قرى يافا)، دير اللطرون ثم يواصل الطريق قرى عمراس، ويالو، وبيت نوبا هذه الذكريات الأليمة أورثته غصة وجفافا بحيث لم يقو على الترجل من السيارة ليشرب، لقد اقتلعوا الزيتون الرومي الكبير وأخذوه ليزينوا شوارعهم وساحاتهم، "الطّيبون والسّذج فقط هم الذين يلتزمون بتوقيعهم أمّا هؤلاء فلا عهود لهم، وهم ليسوا طيبين وليسوا

سذجاً" ص ٩٧

وعلى حاجز التفتيش يأخذ أوراقه ويلعن أوسلو وكل من شارك فيها (ص٨٩) . وأخيرا الحاجر الفلسطيني كأننا بحاجة إليها "نحن نهبط الآن أرض دولة أوسلو العتيدة، شدوا الأحزمة، اكتموا أنفاسكم، أعني توقفوا عن التدخين، استعيذوا بالله، وصّلوا على النبي" (ص(٨٩

إنهم يقلّدونهم... إلا في شكل الجنود....

نعم ها هو في عين مصباح وشريط الذكريات ليصل ويفاجأ بمرض رباب الخطير، ووجودها بمستشفى هداسا، وتبدأ رحلة عذاب في عذاب أخرى القدس، مخيم قلنديا، طريق الكسارات، عناتا حزما، شعفاط، بيت إكسا، بيت حنينا، راموت طريق يافا تل أبيب، طريق دير ياسين، عين كارم، المستشفى، وهنا مرة أخرى كابتن روني ...لقد تبعتك من حاجز قلنديا "ص١٠٢" إنها طريق العملاء الذين يشون بالأهل والأحبة، الغرفة ٤٠٢ يلتقي بأمه ثم رباب وقد بدت مرهقة....تقول أمّ زيد "ابك يا حبيبي ليس في الحياة ما يستحق البكاء أكثر من رحيل الأحبة" ص ١٠٤، وتبدأ رحلة رباب مع زوجها والعلاج الكيماوي في مستشفى المطلع، ها هو سالم يجلس مع أبيه ويصارحه ويغرق بالأحلام، ولكنه يقول من منّا سيرحل قبل الآخر ....صورة سالم يتفوق على والده، شاب يعرف أين يقف وإلى أين يتجه.ص.١٣١

الكابتن روني يعود سائلا عن سالم، ولكن والده يقول سالم أصبح رجلا وهو يملك قراره ويعرف طريقه...نفس المعاناة قبل عشرين عاما... وستبقى.

اللغة عند الكاتب تنساب بسحر وجمال، تصوِّر اللحظة بأجمل معانيها يقول "فإن للنص كما كما للصورة، كما للشعر، معانٍ أخرى لا ندركها ولا نلتقطها، ما خفي دائما أعظم، وأكثر سحرا وجمالا، نعم فالكاتب يغرق بالحديث مع نفسه كأنما يستعيد نصا؛ لينتصب المشهد أمام ناظريه كأنه لوحة لا صلة لها بالواقع".

وقال **نبيل الجولاني:**

في روايته بطعم الجمر أسعد الاسعد

يفتح البوابات على مصاريعها

كتب أسعد الاسعد عن حلم اجتهد وجاهد كي يغوص فيه بذاكرة ناعمة طالما أرقته، ولكنه رمى أحلامه القديمة في النيل كما كان يفعل المصريون القدماء عندما كانوا يلقون بأجمل العرائس في النيل حماية لانفسهم من فيضانه وغضبه، فرمى أحلامه في النيل خوفا وحماية لعجزه عن تحقيقها.بعدما تبددت وضاعت وذهبت بعيدا كمياه نهر النيل الجارية، والتي لا تعود مرة أخرى لان مياه النهر لا تتكرر، وكذلك الفرص والزمن والتاريخ لا تعود الا الى مرحلة الاياب، طالما أننا فقدنا الخطاب والصواب وركضنا وراء السراب.

ظل زيد في طريق شروده لا يلوي على شيء سوى تكنيس واقعة القذر الذي انتهى اليه. حيث كان يأوي الى أُمّ العيال جالبا لها ما يتصدق به الآخرون كحد أدنى، والحد الأدنى يحمل العجز والأزمة في طياته. أجل إنّه تعميق للغياب والتنازل والتيه الذي تعودنا وعودونا عليه بفعل سذاجتنا ومكرهم ودهائهم ومكائدهم المستديمة. وركبنا الحافلة الى كافة المحافل حتى لا نضّيع فرصة الحل، هكذا اعتقدنا وهكذا توهمنا. وكان كل شيء سرابا في سراب. وحينما عَمّ الخراب أصبحنا نبحث عن راحة البال، فقط راحة البال عن المساحات الخضراء والبيوت الجميلة والمانحين متعددي الجنسيات عبر بوابة كامب ديفد. وبوابات أخرى ضيقة وهابطة. حتى أصبحنا عراة أمام أنفسنا لا نستطيع حمايتنا، ولا أحد يحمينا أو يرغب في حمايتنا.

في الواقع كلنا نحب الوطن، والحب سواء حب الوطن أو سواه حب كلي لا يتجزأ، فالذي يحب وطنه يُحب كل مكوناته، والذي لم يمس حسه العصبي حالة حب والذي لا يحب امرأة ويعشقها بالتأكيد لا يحب وطنه وتفرعاته، فالحب ليس كلاما بل هو تاريخ وثقافة وانتماء وفكر وممارسة، منهج وتطبيق، فعل وتفاعل وانفعال، ومبدأ وقضية، وموقف ينبغي أن نعيش فيه ولأجله ومعه، وبه نحيا من أجل أن يحيا الوطن، لا أن نموت عليه كما يقول

المحب لمعشوقته (أموت فيك) بل يجب أن يقول لها أعيشك وأعيش فيك، خاصة وأن الحب ليس (أعمى) كما يَدعي الجهلة، بل هو مرئي وجَلي وواضح وضوح فهم وروح وثقافة وفكر وعاطفة المحبين لبعضهم البعض.

وفي رأيي أنّ التكرار في رواية أسعد الاسعد(بطعم الجمر) انما جاء بُرهاناَ لثبات الحدث والذاكرة بان الواقع ما زال كما هو، كما يقول منذ أن شاهدته آخر مرة قبل اثنى عشرَ عاما أو خمسة عشر عاما لم يتغير شيء في غزة أو في رام الله، بقي كل شيء على حاله سواء الزقاق أو الشارع أو المباني والاماكن بعناوينها، أو شجرة الجميز أو شجر الصنوبر أو سلسلة الجدار قرب العريشة، لم يتغير شيء ولم نتطور أو نُطَوِر شيئا، ما زلنا كما كنا لم نبدع في شيء والذي تغير أنه مات من مات، وانتشرت وتوسعت المستعمرات. حتى بتنا في حال مزرٍ الى حَد الاحباط والانهيار والانحطاط والشحوب والأُفول ووحشية الواقع الراهن، أجل ان التكرار الذي جاء به الكاتب إنما يُضاعف المعنى- ليس استخفافاً بالقارئ- بقدر ما يُضاعف الفجيعة التي نعيشها، وفي نفس الوقت تعبير عن الفضيحة التي تلفنا لأننا حتى الآن لم نستطع انجاز أي شيء في سبيل التغيير والتحرير، انه يضعنا عراة أمام أنفسنا وعجزنا أمام التاريخ؛ لأننا ارتكبنا الخطايا والفحشاء والمنكر بحق الوطن بسعينا وراء المفاوضات السقيمة والعدمية.

فاذا كانت الصلاة تنهي عن الفحشاء والمنكر

فان المقاومة أيضا تنهى عن الفحشاء والمنكر

ورفض زيد العودة على هذا النحو (أي من خلال اتفاقية أوسلو) هذا الفخ المهين الذي نقل القضية الفلسطينية الى منعطف تاريخي خطير ومدمر آتى وسيأتي وقوض وسيقوض كل شيء، قوض انجازات الماضي بما حملت من نضال وكفاح ومسيرة طويلة دفعنا فيها كل التضحيات، وقد أنهى أوسلو المستقبل المنشود، وكل ما تبقى لنا من أمن وأمان وآمال لنا في تحقيق ما نصبو اليه وتصبو اليه الأجيال القادمة باقامة الدولة على كامل التراب الفلسطيني، ودحر الاحتلال الرابض على أرضنا وطرده الى حيثُ أتى، أو تكون جهنم ويكون الجحيم.

أجل ان أكبر خطرين تعرضنا لهما في التاريخ العربي المعاصر هما كامب ديفيد وأوسلو اللتان فتحتا بوابات وطننا العربي وفلسطين للطير من كل جنس.

وكما ان للصورة أو للنص قراءات عديدة أخرى فان القراءة الجيدة للنص تُنتج نصا جديدا آخر. وان هذه الرواية (بطعم الجمر) تحمل شكل الرواية القصيرة لجمعها بين خصائص القصة والرواية في المبنى والمعنى، وان حضور المؤلف في نصه يُسعف القارئ على تبيان الجديد الذي جاء في هذا النص. ويُسعف الناقد في محاكاة النص عن طريق الصور المختلفة، سواء كانت صورا شعرية أو درامية أو خيالية حالمة، أو صورا لغوية بلاغية ذهنية جذابة أو مُعبأة بالشعارات والهتافات المهرجانية سواء كانت تظاهرية أو بهلوانية، تُعبر عن صور وفكر وموقف المهرج تارة والبهلوان والساذج الهزلي تارة أخرى.

يتساءل زيد كم هو قصير العمر، قصير الى حد لا يسمح بتحقيق أحلامنا، نغرق في الحلم وحين نصحو نكتشف أن الحلم ذاته يُحاصرنا، ولا نملك فكاكا من أسره. أجل يا زيد ان الحلم لا يتسع ولا يسمح بتحقيق أحلامنا الصغيرة ولا الكبيرة، أحلامنا الخاصة والعامة الشخصية والوطنية بتحقيق الحرية وبناء كيان لنا وهوية وطنية فكرية، وتَقَدُم وازدهار مع أن أحلامنا متداخلة، وكل منها ينعكس ويتأثر ببعضه البعض يُؤثر ويتأثر، أغلبها يتعثر ويتعذر ويتغير ويتعرقل ويتبدل ويُهاجم ويُزاحم ويُحجم ويضيع ويتبعثر ويُدمر حتى يصير سرابا وخرابا وضبابا وغيابا.

وما سبب قصر العمر الذي تَحدث عنه زيد والذي أدى الى عدم استطاعته تحقيق أحلامه الا (أوسلو) أو ما دُعي بالسلام هذه الكذبة ... وهي المرة الاولى التي تَحدُث عبر التاريخ أن يُوقع طرفان على كذبة بشكل حقيقي ومتفق عليه – والموقعون يعرفون بانها كذبة سَلفا، ولكن كل واحد منهم في شأن، أجل انه السلام والاستسلام والهش،والمدمر والمضلل، والموهم والمنهار الى الحضيض.

ولكن سالم أدرك أن لا جدوى من هذا الذي سموه سلاما، وأدرك أن ما أُخذ بالقوة لا يُسترد الا بالقوة، وانه لا صُلح ولا مفاوضات مع اسرائيل ولا اعتراف بها كما قال جمال

عبد الناصر قبل ٤٧ عاما، وانه لا يحرث الارض الا عُجولها، وانه لا يفلّ الحديد الا الحديد، وان القوة فقط هي المحرك الأساسي في زمن السلم وفي زمن الحرب، وانه لا شيء يُعادلها الا القوة.

القوة في كل شيء وفي كل مناحي الحياة السياسية والثقافية والاجتماعية والدينية والاقتصادية والفكرية والادبية والجمالية، أليس العالم يُدار الآن من مركز قوة؟ ألم يكن هكذا ودائما عبر العصور ومنذ الأزل؟

حينها أدرك زيد أننا ما زلنا في نفق مُظلم وفي حقل من العُليق، وأن الصراع قائم ودائم ما دام الكابتن روني ..وطالما بقي سالم..وأدرك أن هذا الصراع سيستمر على هذه الارض بشتى السُبل، وفي سبيل حُبنا للوطن وحرية الانسان والمكان والكيان ستتعاقب عليه الأجيال والآمال جيلا بعد جيل الى أن يعقبه النصر والتحرير.

هذا وأُؤكد هنا أن لُغة الكاتب أسعد الاسعد في روايته كانت رقيقة بسيطة بساطة فلاح الارض الذي يُمسك بالمداميك يحرثها ويزرعها حبات قمحه وقلبه الذي يقطُرشعرا وغزلا، يغزل بمِغزله نصا أدبيا متماسكا متكاملا مُتفائلا مُتفاعلا مُتداخلا بكل تفاصيل محبوبته التي عَشقها عِشقا خُرافيا مُفصلا خارطة جسدها النابض، قابضا على الشيطان حتى لا يتدخل في التفاصيل الخاصة التي تُلوث وتُعهر العشق الحلال الحُر الوفير والسَخِي الكريم.

عندها تَجَرعَ وأَحَس أسعد الاسعد بطعم الجمر، وتمنى على رباب أن لا تستعجل الرحيل.

حتى يُكملا حكاياتهما معا ويقول لها (ليس عندي من أكملها معه...) فتخيلتهُ يُردد:

كم من وقت احتاج للتكلم عنك أيتها الحبيبة؟..

احتاج لسنوات كي أحكي ما بداخلي

ديوان "أصابع من ضوء" لمنال النجوم

القدس: ١٣-١١-٢٠١٤ناقشت ندوة اليوم السابع في المسرح الوطني الفلسطيني في القدس، ديوان"أصابع من ضوء" للشاعرة الفلسطينية منال النجوم، ويقع الديوان الصادر عام ٢٠١٤ عن الاتحاد العام للكتاب والأدباء الفلسطينيين في ١٠٤ صفحات من الحجم المتوسط، وقدّم له الشاعر سميح محسن.

مما يذكر أن هذا الديوان هو الخامس للشاعرة النجوم، حيث سبق وأن صدر لها:"وجوه ومرايا" عام ١٩٩٨، و"مدارات المواسم" عام ٢٠٠٥، و"بذراع يصطاد النجوم" عام ٢٠١١، و"سي دي شعر بدوي" عام ٢٠٠٩.

بدأ النقاش **ابراهيم جوهر** فقال:

عصفورة حذرة تلتقط الحب وتنقر سريعا ثم تمضي. تترك صوتها المشحون بالغضب والعاطفة والتحدي بحثا عن جمال وماء وأزهار وسلام. تبوح بما يحلم به الإنسان في عالم يطحن الإنسانية وتتحدى بصوتها ولغتها المتمردة على الساكن الراكد بحثا عن حياة وأمن.

تكثّف الصورة فتلقي بها أمام قارئها وتمضي؛ تتركه يفكك رموزها ويقف على أبعادها وهي تكون قد انشغلت ببناء صورة أخرى من لغة وألم كامن وراء الأحرف.

تتزاحم الصور واللقطات السائرة بسرعة خاطفة في شعر منال النجوم، لذا يجد القارئ عينه تمضي وراء الكلمات والجمل بلا فسحة من راحة ولا قيلولة. إنها تنبض نبضات سريعة وما على قارئها إلا التأني وهو يسير في فيء ألفاظها ليستشعر جمال الصورة الآسر حين يقف على

إطارها المرن القابل للتأويل.

تقترب منال في (أصابع من ضوء) من القصة الشعرية. تروي قصة مكتملة العناصر ، لكنها لا تتقصد قصتها الشعرية بل إن موضوعها يفرض إطاره القصصي ("قرية تحتضر" صفحة ٦٨، و"سلم" صفحة ٧٣، و"سؤال آخر" صفحة.٨٦

تغوص منال في التجريب وهي على دراية بما تخطط له وما ستقوله. إنها تتحدى عالم الظلم الاجتماعي، وتنتقد، وتحلم، وتنتظر. عدّتها في هذا كله صورتها النابضة المغلفة بحواجز الرمز، وتجربتها في التعبير، وحلمها المنتظر للعدل والحياة والجمال في بلاد تحكمها البشاعة.

وقال **جميل السلحوت:**

القارئ لهذا الدّيوان سيجد نفسه أمام شاعرة بحق وحقيقة، فتاة خُلقت شاعرة، وأعتقد أنها كتبت الشعر قبل أن تعرف الخليل بن احمد الفراهيدي وبحوره الشعرية، لذا فإن جملتها الشعرية تأتي دافقة بانسيابيّة لا تصنّع فيها، حاملة لغتها البليغة وصورها الجمالية ولحظة انفعالاتها وأحاسيسها، وتبوح بها بعفويّة بريئة.

ومن جماليات قصائد منال النجوم أنّها لا تصنّع فيها...بل هي انعكاس صادق لدواخلها، والرمزية فيها شفيفة لا تعقيد فيها، واللافت أنّ شاعرتنا تكتب قصائدها كامرأة تعرف حدودها تماما، وتكبح جماح كلماتها تماما مثلما تكبح عواطفها خضوعا للبيئة التي ولدت وترعرعت فيها، وللمجتمع الذكوريّ الذي لا يرحم المرأة، ومع أن شاعرتنا ببوحها تعرف ما للمرأة وما عليها إلا أنّها تعطي ما عليها وتكبت ما لها بين أضلاع صدرها، وإن باحت بقليل ممّا لها فانها لا تسايره حتى النهاية، بل تلمح إليه ثم تردعه. وهذا نتاج للحياة والتربية البدوية الصارمة التي عاشتها وتعيشها الشاعرة.

ولو أنّ شاعرتنا تعيش في مجتمع أكثر حضارة وانفتاحا، أيّ يحترم انسانيّة المرأة، ويعطيها الحرية في التعبير عن مكنونات نفسها؛ لأتحفتنا بقصائد غزلية سيتغنى بها الرّجال والنّساء، ولعلّمتهم كيف يكون الحبّ؟ وكيف تحبّ المرأة؟ مع التأكيد أنّ حبيب الأديبة والشاعرة

قد لا يكون إنسانا من لحم ودم، وإنما هو محض خيال لما تريده المرأة في الرجل الحبيب، والعكس صحيح أيضا بالنسبة لحبيبة الأديب والشاعر.

وشاعرتنا تعرف ما هو الحبّ، وتعلم غرائز المرأة، وما المطلوب لاشباعها، فتحوم حولها، ترمي جملة شعرية هنا وأخرى هناك بهذا الخصوص، لكنها لا تلبث أن تتوقف عن مواصلة الطريق لكثرة "التابوهات" التي لا تقوى على اختراقها. ولنأخذ قصيدة " الموت حبّا" ص٢٦ كمثال، حيث تقول:" نفر من أصابعي المطر....هطل من خدّي التّفاح...نضج على شفتي الكرز...تكوّر رمّان نهدي". وهذا الوصف المبهر هو دلالات نضوج الفتاة، وما يترتب على ذلك النّموّ الجسدي، فماذا حصل بعد هذا النضج؟ تقول:

"حين سمعت صوتك...تداعت جدران الصّدّ...ثار غبار الطّلْعِ...نما عشب الحبّ... تفتّحتُ كوردة...مشيت على رؤوس أصابعي...لئلا أزعج طيفك." ولنلاحظ فيما سبق جمال وصدق البوح، فبعد أن اكتملت الفتاة أنوثة، صارت تفكّر بالحبّ، وبمن يقطف ثمار هذه الأنوثة ويطفئ نارها، وعندما سنحت الفرصة "تداعت جدران الصّدّ" وغرقت في بحر الحبّ، ولنكتشف لاحقا أن كلّ ذلك مجرّد حلم وخيال، أيّ أنّ المرأة تفكر بنصفها الآخر لتكتمل الحياة. وبعد نضج الفتاة وتفكيرها بنصفها الآخر ماذا تفعل؟ والجواب":

همستُ بأغنية حلوة...رقصت على إيقاع كأس...لم يعد قلبي الوليد للتوّ...يحتمل عصف حبّك الجارف...لم أعد أحتمل...فإذا متُّ فاعلم أنّني متّ حبّا" ص٢٧. وهذا يعني أنّها تنتظر نصفها الآخر كي تكتمل حياتها، وإذا لم يحصل ذلك فإنّها ستموت في حبّ لم يتحقق.

والشواهد كثيرة في ديوان منال النجوم على قصائد الحبّ العذري، فتحية لها.

وقال **عبدالله دعيس**:

تأخذك أصابع منال النجوم، التي تشع شعرا، إلى عالم خيالي قوامه الصور الشعرية المستوحاة من بيئتها. تقودك معها حيث تريد، بكلمات قليلة مصقولة بعناية رغم بساطتها، فتبوح لك بألمها، وتحكي لك قصتها، وتجسد مشاعرها. فالشعر ضوء يتدفق من أصابعها لكنه ينبع

من جرح دام في قلبها.

جرح الغزالة ينبض شعرا

وعن آل بكرتها

المدائن تستقي دمها

عند الشاعرة قدرة هائلة على بناء الصور الفنية المتحركة التي تأخذك إلى عوالم غريبة جميلة. فقصائدها مجموعة من الصور المكثفة، تكتبها وكأنها مشهد سينمائي يدور أمامك، أو ريشة رسام حاذق يمزج ألوانه ليصور الطبيعة بصورة لا تشبه الطبيعة! فيشحذ تداخل الألوان خيالك ويدفعك إلى التفكير في ما وراء تناسقها أو تخالفها.

يبوح قلبها بمشاعر فياضة بصراحة وشفافية، تختفي وراءها امرآة عاشقة، امرأة معذبة، امرأة متشائمة تندب حظها العاثر وتبوح بحبها. يتسلل الأمل أحيانا إليها لكن روح التشاؤم تئده قبل أن ينطلق.

فالحياة تمضي سريعا وتنتهي، تذبل بسرعة. وكذلك اللحظات الجميلة، لا تلبث أن تنقضي قبل أن ندرك أنها بدأت، ثم نحزن على فواتها. فنحن نمر مرّا سريعا من هذه الدنيا وكذلك تنقضي لحظات الحب والسعادة.

كان الغزال يرعى على باب بيتي

عندما فاجأتني الشمس بزوالها

وانطفأ المشهد

ورغم سرعة انقضائها، فالحياة تجربة مؤلمة.

تشعل السيجارة

تكون ممعنة في رحلتها

تجاه النهاية

وحين نولد

يولد معنا الموت

تبدو الشاعرة متشائمة، والحظ العاثر يلازمها، وقد فاتها الزمان دون أن تسعد بلحظات حياتها. تعبر عن هذا بصور متعددة، وفي قصائد كثيرة. تأمل قولها:

الغراب شريكنا في قهوة بردت

وتظهر الشاعرة صورة المرأة المكسورة المقهورة التي تحارَب في عشقها وحبها وحقها في الحياة. فهي محاصرة من المجتمع والأقارب والزمن الذي يمضي سريعا ويسلبها نضارتها، لكنه لا يسلبها قلبها.

سال عسل الأيام

سلبوني خاتمي

فرح الناس

ارتشفت دموعي

وتبدو الشاعرة متألمة قد أعياها الألم، معذبة تبث جراحاتها في كلمات مؤثرة وصور تحرك شغاف القلب. ويبدو أنها مرّت بتجارب مريرة في حياتها أعطت قصائدها بعدا وجدانيا يترك بلا شك أثرا في نفس القارئ.

أنام

وأثني أجنحة السرو على وجعي

فغزال الغابة مجروح

أضنته الرحلة

وتقول:

صخرة سيزيف ماثلة أمامي

مستحضرة الميثولوجيا اليونانية لتعبّر عن ألمها الدائم وعن عبثية الحياة.

والشاعرة عاشقة، تعلن عن حبها وعشقها بصراحة دون مواربة. ومع أنها تحاول أن تبطن أفكارها داخل صورها، إلا أنها تبوح بحبها بشكل جلي. فهي تكسر حواجز أنوثتها وتعلن بصراحة ميل المرأة الفطري للرجل. وتصرح عن تجارب حب صعبة مرت بها بانتظار فارس أحلامها الذي يبدو أنه لن يحضر:

قلبي ليس قلب عذراء

فقد سنّته أسنان تالفة

ولاكته على مهل!

يؤلمها عدم اكتراث الحبيب لها رغم اندفاعها في حبه.

أكون ألهث!

وراء زيزفونتك الخاصة

وراء صدى موسيقى الرفض لي

وعدم الاكتراث

لكنها تعترف أن الفارس الذي ترسمه في مخيلتها لا وجود له في عالم الواقع، لذلك فإنه لن

يأتي:

سأعتلي صهوة الأخيلة

أرسم ملامح رجل

فلا وجود لفارس أنوثتي

وتعلن الشاعرة موقفها من الحياة، فهي ستعطي الحب دائما حتى لو ووجهت بالقسوة والنكران.

سأمطر العالم حبا

وليمطرني العالم حربا

ورغم تشاؤمها وفقدانها الأمل، إلا أنها في نهاية المطاف ترسم دعوة خجولة للتمرد وعدم الرضا بالواقع فتقول:

لا، لا ترضَ .... فالنوم هوان!!

تذهلك الشاعرة منال النجوم بقصائدها، تأخذك لتعيش في عالم مختلف، ترسم حولك هالة من الصور الجميلة، تأسرك في عالمها، ببساطة لا تستطيع أن تفلت منها.

وقالت منال الغول:

لفتّ انتباهي عنوان الديوان الشعري ((أصابع من ضوء))، خيلّ إليّ ضوء الفكر والتأمل نابع من مكنونات شاعرة متميزة، شدتني إلى شعرها من عنوان ديوانها، ضوء خرج من أناملها لتدون أصدق المشاعر وتصور الحكايات والتجارب التي مرت بها.؟

عند قراءتي لشعرها خطر لي المقولة التالية لألبرتو مانغويل وهو كاتب أرجنتيني الأصل، كندي الهوية، ألبيرتو مانغويل، صاحب الكتب الشهيرة والرائجة عالميا ومنها "تاريخ

القراءة" الذي ترجم الى لغات عدة : (في القرن الثالث عشر كتب أحدهم على حافة مجلد يضم التواريخ الكنسية: "عند قراءة الكتب عليك أن تعتاد على ملاحظة المعنى أكثر من الكلمات، والتمسك بالثمار وليس بالقشور") وهذا ما ينطبق على هذه الأبيات .. ملاحظة المعاني الخفية والمضامين المستترة.

شعرها جميل، سلس اللغة لمسني من الداخل، داعب عقلي ووجداني، ولكنه كثير التشبيهات والصور يحتاج الى تركيز ذهني عالٍ في تحليل صورها الشعرية وإعادة بنائها، كنتُ أضيع في الصور التي شرعتُ في رسمها في مخيلتي حينا وحينا أخرى كنت أشعر بأنها تكتب وتصور ما بداخلي من مشاعر وأحاسيس.

أنا منال القارئة البسيطة غير ضليعة في الشعر ولا أفقه في النقد شيئا، أخذتني أبياتها وسرقتني تشبيهاتها وصورها الى عالم الخيال والأحلام، فلكل قصيدة من هذه الأشعار رسمتُ لها في مخيلتي العديد من الحكايات والأشكال والألوان، منها واقعية مما مررت به خلال أعوامي الستة والعشرين، ومنه النابع من عالم الفضاءات الشاسع المنسوج بخيوط الخيال المبدع المجنون انبثق من رؤيتي للحياة.

في بداية قراءتي للديوان لم يخطر ببالي سوى ما قالته لي معلمة اللغة العربية في المدرسة عن التشبيهات، وتوبيخها لي عندما قمت بكتابة نص يحتوي على تشبيهات وصور "كثيرة" قالت لي: كثرة التشبيهات يا منال تضعف النص الأدبي! وهذا ما قلته لأستاذي ابراهيم جوهر عندما شاركته برأيي عن الديوان، وتعلمت منه أن اللغة الشعرية اليوم تعتمد على الصور والصور هي التشبيهات... يمكن أن يكون القارئ بحاجة لمزيد من قراءة النص الواحد أكثر من قراءة واحدة...هذا صحيح، وهذا سبب ما يقال حول صعوبة الشعر الحديث وتعقيده.

ملاحظة صغيرة: هذه أول مرة أنجذب لديوان شعر وانهي قراءته، ولا زال لدي الرغبة لمعاودة قراءته مرة أخرى وتخيل أشكال وألوان جديدة.

وقال رفعت زيتون:

هذا هو الديوان الثاني الذي يسعفني حظّ الشعر الجميل أن أقرأه لهذه الشاعرة المجيدة ذات الحروف المضيئة، والتي آثرت أن تنآى بنفسها عن التقليد فانتبذت من المألوف مكانا قصيّا لتؤسس لنفسها قصرا شعريا مختلفا لو نظر إليه أحد من بعيد فسيعرف أنه لمنال النجوم.

لا أقول هذا إلا بناء على دلائلَ ومقومات ألخصها فيما يأتي، وهي أيضا تمثل الملامح العامة لأسلوب الشاعرة منال النجوم..

أولا : الشاعرة متمرّدة على المألوف من الشعر رغم التزامها بتفعيلات الخليل ولكن التّمرد يأتي عندما تشعر الشاعرة أن هذا الوزن سيبتعد عن الفكرة التي تريد ،فإنها تلغي الإيقاع من حساباتها غير آبهة بما جاء به الأقدمون وساروا على نهجه.

وربما جعلت قسما من القصيدة على تفعيلة بحر ثمّ أكملت على بحر آخر كما جاء في قصيدة (هذيان) حيث ابتدأتها بتفعيلة كامل الخليل متفاعلن ثمّ أكملتها بمتدارك الأخفش. هذا الخروج عن التقليد فيه من المجازفة الكثير، ولكنّ فيه الكثير من الجمال والفائدة لفكرة القصيدة. والحقيقة أنني أثمن وأحبّ هذا التمرد، ولكنني أنكر عليها إغضاب الخليل.

ثانيا: أن الشاعرة تكتب برمزية أعلى من العادية المفهومة ولكنها دون المبهم منه، وبالتالي ففهم المقصود يحتاج إلى قارئ غير عاديّ، ولكنها لا ترميه في آبار العجز فلا يفهم المقصود، هي تريد أن توصل الفكرة ولكن ليست بسهولة يستطيعها الكثيرون.

ثالثا: اعتمادها الومضة الشعرية التي قد تأتي بالفكرة في بضعة سطور، وتنتهي عندها القصيدة ومثال ذلك (قصيدة فراغ) في ص ٥٩ حيث تتسلسل في رسم الصور الواحدة تلو الأخرى في جمل يشعرها القارئ منفصلة أو غير مترابطة، ولكنها في حقيقتها مشاهد متلاحقة لسيناريو قصة واحدة. وتتجلى هذه الفكرة بقصيدة (ومضات) ولا أدري إن جاز تسميتها بالقصيدة

لأنها جاءت على شكل فقرات منفصلة، كلّ منها حمل فكرة مغايرة، ولعلها أسمتها (ومضات) لهذا السبب.

رابعا: طغيان الحسّ الأنثويّ، وإبراز جرح المرأة دون التّعرض للرجل على خلاف الكثيرات من الكاتبات اللواتي يحاولن الظهور على ظهر امتهان الرجل. فهي من ناحية تحمله وزر انكسارها، ولكنّها لا تفرط في اللوم ولا تسيء في اللفظ. تقول في قصيدة "ومضات:"

"مكسورةٌ نصفين

الذي اجتثّ من فمي الشفاه

ومن أحداقي العينين

محض رجل"

خامسا: أنّ قصائد الشاعرة منال النجوم قد تخدع القارئ، فيذهب فكره إلى معنى معيّن، ويكون في ذهن الشاعرة معنىً مغايرا تماما. وأحيانا أجد عندها من النصوص ما تريدُ أن تحتفظ بسرّه لنفسها، فهي متمرّدة حتى على فهم القارئ.

سادسا: الجرأة الواثقة والذكية بحيث لا تخرج من عباءة العرف والمعروف، وهذه لا تتأتى إلا على أيدٍ ماهرة تعرف من أين يؤكل كتف القصيد. ومثال ذلك قصيدة (رجلٌ لن يجيء) ففي هذه القصيدة تطرح بجرأة وذكاء مشاكل اجتماعية ما زالت تعبث في استقرار كثير من الناس عاطفيا ونفسيا، قضايا لا يتطرق إليها الكثيرون أو الكثيرات خشية سوء الفهم، ومن ثمّ ردّات الفعل. هي لم تُخف إحساس الأنوثة في حالة وجدانية محددة، وتطرحها كما هي دون إخفاء لتفاصيلها، بل وتغوص في تفاصيل تفاصيلها.. فتقول في قصيدة "الموت حبّا"

"نفر من أصابعي المطر

هطل من خدي التفاح

نضج على شفتي الكرز

تكور رمان نهدي

حين سمعت صوتك"

سابعا: الاشتغال والصناعة الأدبية الواعية، فهي تختار مفرداتها بعناية فائقة لتصل إلى المعنى وها هي تقول:

"الأحرف التي أصطادها

أرعاها بعناية تامة"

منال النجوم لا مباشرة في قصائدها إلا القليل مما لا يحتمل الرّمز، ففي قصيدة (تفاصيل) مثلا تقول:"قفزة الحمل اللولبية

مثيرة للنرجس

نبتة البازيلاء بقطوفها المتهدلة

تعزف لحن الشتاء

شروق شمس الروح

له انعكاس داخل النص"

أجادت هنا الشاعرة في الاشتغال على النصّ، وأتقنت فنّ الصناعة الأدبية الرمزية

بصورة عجيبة توحي بالتمكن وامتلاك كل الأدوات. هي تثير زوابع الأسئلة المباحة في

وجه القارئ كريح قوية وربما تنتظر الإجابات رغم معرفتها مسبقا بالجواب فتقول:

"فكيف تغني القصائد

في الخربة الصامتة"

وأقف أيضا على بعض مظاهر هذا التمكن من خلال بعض الجمل الشعرية التي تشهد لها بذلك، ومنها: في قصيدة (بين بين) صفحة ٤٨ تقول:

"بيني وبين الناس ظلّ يحتضر"

جملة يبنى عليها تصور كامل عن علاقة بطلة القصيدة وبين عالم تعيش فيه، هي لم تقطع الشعرة التي بينها وبين الناس بدليل أنّ الظلّ يحتضر، فالعلاقة لم تصل للموت، ولكنها تصوّر أنّ هذه الشعرة أضعف من احتمال مزيد من الشّد.

اختيار المفردات كان موفقا جدا، فالظلّ لا يمثل الحقيقة وإنما شبح الحقيقة وخيالها، والحقيقة تمثل الملموس والظلّ يمثل المرئي فقط وغير الملموس، فربما نرى بأعيننا علاقة بين الولد ووالده أو الزوجة والزوج، ولكنّ هذه العلاقة لا تكاد تلمس على أرض الواقع، فاستخدامها للظلّ إذن فيه الكثير من بلاغة المعنى. أما الاحتضار لهذا الظلّ فهو الفتور المتزايد والمتنامي والمتواصل لعلاقة لا روح فيها، وما ليس فيه روح لا بدّ ميّت في النهاية.

وفي قصيدة (حالات) تبدع منال النجوم في رسم الصور في حالاتها المختلفة،

في حالة التقاط الفكرة وكتابة النصّ تقول:

"خلف البنفسج يركض قلبي، وخلف الجمال، أطلق عنان خيالي لمفردة"

وحالة أخرى قد يمرّ بها أي إنسان، وهي حالة نصف الموقف، حالة الرمادية المقيتة، حالة اللاقرب واللا بعد، تقول شاعرتنا:

"لا نلتقي

لا نفترق

بقينا هكذا على الحواف

والطريق بيننا فراغ"

وفي ظلمة الليل التي تلجأ إليها كلما داهمتها الظنون تمسك اللجام، وتنطلق فوق ظهر حرفها الجموح، وبصحبة فنجان قهوتها لتصل إلى عوالم ربما لم تكن في حسبانها.

هي منال نجوم "بأصابع من نور تكتب قصيدتها، بدموع من بلور تبكي قبح العالم،

بابتسامة خرافية تستقبل بصيص الفرح"

هذه كلها أعتبرها ملامح الحالة الشعرية عند منال النجوم، وبعض جوانب طرحها، وكذلك فلسفتها في الحياة وأحلامها، آمالها وآلامها، وعندما تتحدث منال فإنها حتما تحاول أن تكون لسان حال بنات جنسها وهي طبعا جزء من هذا الجسم.

أمّا **عماد الزغل** فقد قال:

أصابع من ضوء شعر نسائي بامتياز

كثيرا ما دار الجدل بين النقاد حول حالة الأدب النسائي أو أدب المرأة، وتاهوا في متاهات تحديد هوية أدب النساء أو أدب المرأة، فأما من بحث عن أدب النساء مجسدا في ديوان شعر فهو بلا شك في ديوان "أصابع من ضوء" لمنال النجوم، والسر في ذلك أنها في هذا الديوان تلهث وراء ظل رجل رسمته في أحلامها، رجل ليس ككل الرجال، فارس يجمع كل صفات النبل والرجولة بل والذكورة أيضا، كل القصائد في هذا الديوان ارتفاع عن واقع أليم وتحليق في خيال محلق، ورفض للأنثى أن تكون في فراش من لا تحب ولا تعشق.

تفاحة حمراء

الدودة تعبث بكينونتها

في الفراش معا تكون أنت أنت

ولا أكون أنا

بل إن شعرها لا يغدو شعرا إلا عندما تحلم بطيف ذلك الرجل، ولا يسيل شعرها عسلا إلا عندما يتلبس بها:

وحين يسيل الشعر من قلمي

كعسل النحل

تكون قد تلبست بي

إن الحالة التي تعيشها معظم قصائد منال، هي حالة بائسة أجبرت فيها الفتاة على أن تعيش في واقع أليم بعيد عن أحلامها وطموحاتها، وكل الصور الفنية جاءت انعكاسا لهذه الحالة:

مزق الليل قميصي

احتل الشتاء وجع اليمامة

رحلت هكذا

كأن عود ثقاب انطفأ

فمن هي تلك اليمامة سوى تلك المرأة الحالمة؟ وما هو عود الثقاب الذي انطفأ؟ سوى تلك الفتاة التي تزوجت ممن لا تحب وعاشت في البيئة التي لا تحب، 'إنها النموذج للفتاة الشرقية الحالمة التي تقودها العادات والتقاليد لتكره على الزواج ممن لا تهوى، وتبقى صورة ذلك الشاب الذي أحبت تحلق في خيالها وتنغص عليها عيشها الرتيب.

أما صورة الرجل الذي لا تحب منال فقد اختارت له صورا فنية بائسة عبرت فيها عن كره الرجل الشرقي المتسلط الذي يعيش مع من لا تحبه رغما عنها. فهو دودة تأكل تفاحة حمراء،

وهو حصان أعرج، كما قالت في قصيدة "فراغ"

وهو حينا كلب ضل الطريق:

كلب أضل الطريق

منشغل بالنباح

وهو حينا آخر باب عملاق:

الباب عملاق علي

وأنا العدو بمقلتي

حيطان داري عالية

رغما عنها تحتويني

بين سجني

إنها الأنثى التي لا تجد رجلا يستحقها من رجال الأرض:

سأعتلي صهوة الأخيلة

أرسم ملامح رجل

فلا وجود لفارس أنوثتي

إن ديوان منال هو محاولة للانعتاق من الظل الثقيل للرجل الشرقي، ومحاولة للتحليق وراء الأخيلة علها تأتيها بفارس أحلامها.

وقالت **رشا السرميطي**:

يتألَّف الديوان من ثلاث وأربعين قصيدة، قدَّم له الشَّاعر "سميح محسن"؛ عضو الأمانة العامة لاتحاد الكتاب الفلسطينيين، وممَّا قاله "محسن": " في مجموعتها الرَّابعة تحاول الشاعرة "منال النُّجوم" رحلة التجريب في كتابة القصيدة، دونما قيد تفرضه عليها في استحداث المضامين والأشكال التي تخدمها". من هنا؛ بدأتُ قراءتي لهذا الدِّيوان.

أصابع من ضوء؛ العنوان الذي وُضِع على وجه الغلاف الأمامي، واحتوى صورة، بالأبيض والأسود، لعيني فتاة. ومن المتعارف عليه في علم الألوان حياديَّة هذين اللَّونين. تُرى، هل كان ذلك مقصودًا من الشاعرة، أم أنها مجرَّد صدفة؟ وما سر الحياد هنا، وفي أيٍّ من القضايا ستتخذ ذلك الموقف شاعرتنا؟

لم أجد في قراءتي للدِّيوان أي أصابع مضيئة، ولم أعثر على إشارات ضوئية، تحميني خلال تجوالي، كقارئة، في شوارع أفكار كاتبتنا من حوادث الكلمات واصطدام معانيها. فقد كانت النُّصوص مفككة، في غالبيتها، الأفكار مبعثرة ومرهقة للقارئ، إضافة إلى افتقارها لموسيقى الشِّعر وانسيابيَّته، وكأنَّها باقات ورد غير متجانسة في نسقها وتكوينها. النصوص التي سميت بقصائد هي في غالبتها خواطر، ونصوص، بل همسات قصيرة، تسردها الكاتبة للقرَّاء علانيَّة، دون قالب يحدِّد صنفها الأدبي، بدا معظم ما باحت به "فضفضات"، وأحيانًا صرخات متمرِّدة، أنثويَّة الوجع، وقد اتسمت تلك النصوص بما يلي:

-غزارة تصوير الأنثى العاشقة الملتاعة في غياب محبوبها، الذَّائبة على شرفات انتظاره، وأسطورة التجربة الأولى، والرَّجل الذي لا رجال بعده. وقد بدا ذلك في قولها: ألوِّن شعري بلون السَّواد إذا ابيَّض/ أغلق مزلاج روحي علي/ وأبكي/ وكل خريف يحط علي الرحال/ لمن كنت أنسج جرزة طفل؟ (ص١٧). وكذا في قولها: كأنَّك لست على وجه هذه السَّماء/ وهذه البلاد الفقيرة إلا إليك/ ستصحو/ لتبكي عليك" (ص١٩). وكذلك ما ورد تحت عنوان "رجل لن يجيئ" (ص٢٢)، و "الموت حبًا" ص (٢٦) من نصوص تصف بها حال العاشقة عند غياب محبوبها.

-ملت النُّصوص، في تكوينها، دلالات متضادة، عندما تقول: " مطر يلَّطخ أوراق الشَّجر/ يبقي الكثير من أسرارها مبهمة". فهل نزول المطر يلوِّث أوراق الشَّجر أم يغسلها بالماء الزلال؟ كما تقول: " كإصبع دجاجة في الفضاء/ مرَّ الطائر/ كزهرة لوتس/ حطَّ على الشجرة/ كموسيقى الجاز/ صدح بصوته/ كفراشة هادئة/ حطَّت يدي على ورقة"، هنا؛ بدا كل سطر له أغنيته الخاصة، والاستعارات المستخدمة كانت متباعدة؛ الجاز له موسيقى التمرد والحرية والفراشات لها الهدوء والرَّشاقة، تلك التنقلات السريعة لم توفق بها الكاتبة كأنها بترت أجزاء المشهد.

-خلط العاميَّة مع اللَّهجة الفصيحة وتداخل اللُّغة. وقد بدا ذلك في نص "ارتواء"، إذ تقول: أملأ كأس حياتي هوا فهوا "و" بقربك أو في البعاد" (ص٤٦) كان الأجدر أن تقول هوى في هوى والبعد بدلاً من البعاد. نص "حالات" أمشي الهوينا حولها/ النار تلفح ظلي المقتول" هنا اللهجة فصيحة، وتكمل "امتدت يد الشقيق لي/ فصحت أظافرك/ أمتدت أكثر/ أدمتني/ أغرقتني/ ومضت". وفي نص " رتوش" لو الأرض بكفي/ والماء بقعر الكف/ وعقد الأصابع على اليابسة/ وعيوني ترقب من فوق/ وتتابع.. هل كنت سأحتمل صراع الكون/ أم أني سأجَّن؟ ص: ٥٧-٥٦.

-ضياع الكاتبة بين أفكارها، وتكرار لفظ الغزال، الغزالة، البنفسج، اللوتس، و دلالتها: فقد بدت المقطوعة الواحدة لدى "النُّجوم" مختلطة، بما فيها من الحب والغدر والعذل، وأخرى بها الشوق والكراهية. شعرت ببعض النُّصوص مفككة، تحتاج روابط لتجمع أمامي كقطعة واحدة. ومن التعبيرات التي تكررت كثيرًا لديها، لفظ الغزال والغزالة، وهما الظِّباء. ومعروف عن هذه المخلوقات الخفَّة، الرَّشاقة، الحرية، وسرعة التنقل، التي كانت سمة بارزة في نصوص كاتبتنا، سرعة كادت تودي بفهم النَّص، وإدراك مكنوناته. أما البنفسج، فهو ورد معناه الحب السِّري والاستمراريَّة، وتتابع عن اللوتس؛ وهي زهرة قديمة جدا معروف جمالها، وطول عمر عطرها، ربما كان دلالة ذلك لدى الشاعرة "الوفاء". تقول: خلف البنفسج يركض قلبي/ وخلف الجمال/ .. يأتي المساء ولا تأتي/ يضيع الليل بين لوعة ودمعة/ يأتي الصَّباح ولا تأتي/ أودع حلمي وأسير بدونك" (ص٥٠)، ثم

تقول: كان الغزال يرعى على باب بيتي/ عندما فاجأتني الشَّمس بزوالها/ وانطفأ المشهد (ص٥٢). وفي نص "انكسار" كأنَّك لم تختر أحمر الشِّفاه/ ولا لون خصال شعري البلاتينية/ سقط القمر/ انكسر وجهه/ حال بيننا باب/ وانكسار". ونص " فراغ " هبط الليل/ نامت الطرقات/ المقعد بجواري فارغ/ (ص.٥٨

-تجاوز حدود اللَّباقة الأنثويَّة في البوح: أكثر ما أزعجني في قراءتي لمنال النُّجوم. تقول في نص "الموت حبًا" نفر من أصابعي المطر/ هطل من خدي التفاح/ نضج على شفتي الكرز/ تكور رمَّان نهدي! .. (ص٢١). وفي نص "ومضات"، تقول: يتلوَّن ثلج فخديها بالأحمر/ تكون القصيدة/ قد فقدت نبوَّتها/ يكون المساء/ حافلاً بدموع طفلة/ يتجلى يتم الشعر!. أين الشِّعر في هذه التعبيرات التي تخدش الحياء كي يتيتَّم....؟ وفي نص "حالات"، تقول: إن كان الحب أحمر الشفاه/ العشق قميص ضيق/ وأنا امراة من دهشة (ص٥٣). وتقول: أصعب رقم في زمن العهر/ امرأة في سلة خوخ/ تكتب شعر/ (ص٥٤)، وفي نص "لاتفتحي للحبِّ بابًا"، تقول: على موج وكأنَّ الريح تدفعها إليه/ وهو يأكل خبزه/ يعمد الريحان في النهر المقدس/ ص٦٠

لقد بدت ظاهرة استخدام البعض من النِّساء الفلسطينيات هذه التعبيرات رائجة، والولوج من ذاك الباب، لاستمالة قارئ ما، يلهث وراء ما ورائيات تلك الجمل الهشة المثيرة، التي لا تحمل سوى بؤس المعنى وضلالة الفكرة، فماذا أقول لابنة في السابعة عشر عندما تقرأ تلك الأسطر، وترسم صورًا وأخيله لما وراءها؟ وهل كتب على الكتاب فقط لمن فوق ١٨ عاما. أرجو من جميع النساء اللواتي يكتبن، أن يعتنين بما يقدمن من منتوجات أدبية، تحتل رفوف المكتبة النسائِّية، والفلسطينيَّة.

-تطرُّف الكاتبة باستخدام مصطلحات غير مألوفة بمجتمعنا الاسلامي الفلسطيني. فقد امتلأت نصوص الكاتبة بذكر الخمر والكأس، وأثر النبيذ، والعشق حد الثَّمالة، ولم أجد ذلك لطيفًا من أنثى شرقيَّة الطِّباع والقلم. تقول في نص "الموت حبًا" همست بأغنية حلوة/ رقصت على إيقاع كأس/ لم يعد قلبي الوليد للتو/ يحتمل حبك الجارف/ (ص٢٦). و

تقول أيضًا في نص "هذيان": يطرب رأس بالخمر ويسكر بالموال/ (ص٣١)، وفي نص "ومضات"، تقول: ارتشفت حتى الثَّمالة/ سكرت بكأسك/ عاشقة/ وكسرت الكأس بقصد (ص٤٠). ماجدوى هذه التعبيرات أن تخرج من أنثى وتقرأها بنات المجتمع الفلسطيني اللواتي في مقتبل العمر؟ أليس الكتاب ما إن طبع يزيِّن مكتباتنا ويصبح بطاقة دخول لطرق الحياة في أيدي القرَّاء؟

-حضور الوطن في همساتها: " قرية تحتضر" (ص٦٨)، حيث تأثرت الكاتبة بوطنها، القادمة من منطقة "العوجا" في أريحا، وقد حدّثت المكان عن وجع ذكرياته، وما حل به عبر تاريخ طويل، تقول: " يباس يشيح/ بوجه تصحَّر/ منذ سنين/ لم تكتحل عينيه بابتسامة/ قريتي أسلمت روحها للغزاة/ فلا ظل ماء لساقي/ ولاحضرة للسنونو الرشيق/ الغذارى كسرن الجرار/ وعدن/ فهل يطلع العشب فيها/ وهل تحتويني/ بكائي عليها/ عليها السَّلام.

خاطرة أعجبتني "فسيفساء شجرة الحياة " ص (٧٥). لخصَّت بها "النُّجوم" تجربة حياة بعين عميقة، وجمعت الوطن الحبيب والمحبوب معًا، وقد رأيتها ذات نسق أعلى من كافة ما ورد في الديوان، وتصلح لأن تكون عنوانًا له، ذكرت مدينة أريحا والآثار التاريخية فيها، وذلك دلالة على الأصالة، تقول: انهض لا وقت لدينا كي نمرض/ يقلب طاولة النَّرد/ فوق رؤوس العالم/ من قامر بالشَّعب العربي المذبوح/ من آلم أما ..أو عاشقة ..أو وردة/ لا لا ترض .. فالنَّوم هوان.

وبالرغم ممَّا يقوله " محسن" في وصفه للشاعرة بـــ " الخلاَّقة التي حظيت على مكانة واضحة في المشهد الشِّعري الفلسطيني بشكل عام، والنَّسوي بشكل خاص"، إلاَّ أنَّه بدا لي، من الوهلة الأولى، وكأنَّها تخرج عن القالب الشِّعري للقصيدة المألوفة. كما أود الإشارة إلى أن الكتاب لم يخلُ من الهفوات الإملائيَّة والنحويَّة. وأتَّمنى للكاتبة تطوير لغتها، والعناية بنوتات حروفها لتخرج لنا شعرًا، إذ أن كثافة الصور التي تضعها الكاتبة، لو قدر لها الاعتناء بها، لخرجت أجمل، ولو ترتبت المقطوعات لبدا النَّص أكمل، وذلك يتطلب المزيد

من تعلَّم الشعر وحفظه وفهمه، وكذا الاستفادة من الإصدارات السابقة لها، حيث صدر لمنال النُّجوم: ديوان وجوه ومرايا، ديوان مدارات المواسم، ديوان بذراع يصطاد الشمس، سي دي شعر بدوي كما خطَّ على آخر صفحة في ديوانها الحالي "أصابع من ذهب"

رواية "أميرة" لجميل السلحوت

القدس: ٢٧-١١-٢٠١٤ بدعوة من مركز يبوس الثقافي في القدس، ودار الجندي للنشر والتوزيع، وندوة اليوم السابع الثقافية جرى في مركز يبوس حفل توقيع، ونقاش لرواية "أميرة" للأديب المقدسي جميل السلحوت، تقع الرواية الصادرة عام ٢٠١٤ عن دار الجندي للنشر والتوزيع في ٢١٧ صفحة من الحجم المتوسط، ويحمل غلافها الأوّل لوحة للفنانة التشكيلية لطيفة يوسف.

بدأ النقاش **ابراهيم جوهر** فقال

أميرة رواية النكبة

تظل النكبة الفلسطينية الكبرى موضوعا قابلا للكتابة والمقاربة والتحليل للأعمال الأدبية والفنية لأنها الحدث الباقي بآثاره وإفرازاته الدامية. من هنا لم يستنفد الكتاب الفلسطينيون ولا العرب الكتابة عن التاريخ والمرحلة رغم ما كتب حولها.

وتجيء رواية (أميرة) للكاتب المواظب (جميل السلحوت) صاحب مشروع التأريخ الأدبي لمرحلة التيه الفلسطيني في أعماله الروائية لتضيف أبعادا جديدة لما كتب فتتراكم المعلومة واللغة والفكرة لإيجاد تأويل جديد قادر على استيعاب ما كان ليرسم ما سيكون.

"أميرة" عنوان الرواية وإحدى شخصياتها المولودة في زمن النكبة، تحمل دلالة الاسم لتضفيه على المكان، فتكون القدس أميرة، ومثلها فلسطين كلها تلك الأميرة التي ينشغل الخلق جراءها ويختصمون.

تؤرّخ رواية (أميرة) لمرحلة الكفاح الفلسطيني بقدرات عدد من رجاله الذاتية مقابل جيش مدرّب مستجلب وتحالف عدائي استعماري مهّد للمشروع الذي وعد به وزير خارجية دولته في العام ١٩١٧م.

والكاتب هنا يذكر أسماء قادة حقيقيين ويستعين بشخصيات من وحي الخيال الواقعي ولا تنقصه الذاكرة والمعرفة ليؤكد على ما كان من تاريخ وحركة تصد وهجرة ومواجهة وقمع وتهجير وغربة واغتراب . (أميرة) رواية قضية بناسها وبراءتهم وتاريخهم وسعيهم وأحلامهم وعاداتهم وتراثهم؛ إنها رواية شعب بثقافته الكاملة ونماذج من شخصيات تمثل شرائحه المتفاوتة.

لغة الكاتب في (أميرة) عالية في الوصف والتشبيه والسرد والقص المصاحب للتشويق في انتظار الحدث اللاحق، ورموزه المبثوثة في ثنايا الأحداث والأقوال لا تخفى على القارئ.

هذه رواية النكبة بامتياز.

وقال **عبد الله دعيس**

ما زالت النكبة الفلسطينية هي الحدث الأبرز الذي يفجّر قريحة الكتاب العرب، فتجود أنفسهم بأفضل ما لديهم عندما يستذكرون هذه الحادثة الفريدة في تاريخ البشرية. فأن يُقتلع شعب من أرضه ليحلّ محلّه لمم من هنا وهناك، ويصبحون شعبا جديدا في أرض تلفظهم، لهو حدث جلل، لن تنضب الكلمات التي تصفه وتتحدث عنه. فالمأساة التي حلّت بالشعب الفلسطيني هزت وجدان كلّ من حمل قلما، وأشعلت فيه عواطف جامحة جعلت قلمه يخط بعضا مما حدث. ومع اقتلاع الشعب الفلسطيني من أرضه، تغيرت معالم الجغرافيا، فأزيلت قرى ومدن كانت عامرة بأهلها. وفي كل قرية عاش أناس؛ أناس عاديون، كانت لهم حياتهم وثقافتهم، وكانت لهم حسناتهم وسيئاتهم، كان لهم أحلام وآمال، كانوا بشرا، مثل أي بشر. لكنهم خُلعوا من جذورهم، وتبددت أحلامهم وتلاشت آمالهم. ومع كل إنسان منهم كانت هناك حكاية ورواية، وكان ألم وكانت حسرة، فأنّى للكتّاب أن يجمعوا

كل هذه الحكايات ويودعوها متون الكتب! وأنّى لهم أن يصوّروا لنا كلّ قرية وكلّ مدينة، كل شارع وكلّ بيت وكلّ شجرة، وكلّ عائلة وكلّ فرد. فرحمُ النكبة ما زال يلد حكايات تُسَطَّر على الورق، فيندى لها جبين الإنسانية التي نصرت الظالم على المظلوم، وتُؤرق بقايا ضمائر في أولئك الذين تخاذلوا ولم ينصروا هذه القضية العادلة، بل تآمروا عليها وظاهروا عدوها.

يحذو الكاتب جميل السلحوت حذو العديد من الكتاب الفلسطينيين والعرب، فيتناول نكبة فلسطين عام ١٩٤٨، فيحكي لنا قصّة المكان وقصّة الإنسان، ويرسم ملامح فلسطين بأرضها وناسها قبل النكبة ثم الملامح الجديدة التي طرأت عليها بعد النكبة، فرواية أميرة هي حكاية الإنسان الفلسطيني العادي قبل وبعد نكبة فلسطين.

يخصص الكاتب ثلثي روايته تقريبا للحديث عن الحياة الاجتماعية في قرية بيت دجن وفي يافا والقدس قبل عام ١٩٤٨، فيصف جميع جوانب حياة القرية، عاداتها وتقاليدها وعلاقاتها الاجتماعية، حياة الأغنياء وكذلك الفقراء والعلاقات المتبادلة بينهم، لحظات القوّة ولحظات الضعف. يصف مجتمعا متكاملا له جذور ضاربة في عمق التاريخ، وعلاقات بين جميع أبنائه: القرويّ والمدنيّ والمسلم والنصرانيّ، وحتى أولئك اليهود الذين سكنوا فلسطين قبل هجرة الصهاينة إليها. هذا النسيج الاجتماعي الفريد بحسناته وسيئاته، كان نسيجا متماسكا، يمثل صورة مجتمع متجذّر في هذه الأرض وليس طارئا عليها؛ فالحياة لها معنى والمجتمع له تفرده وشخصيته المميزة.

اعتمد الكاتب على الإسهاب في وصف هذا المجتمع الذي انهار فجأة، في غفلة عن ضمير الإنسانية وبتواطؤ منها، ليبين حجم الجريمة التي وقعت على الشعب الفلسطيني، فكان لهذا الاسهاب أثر أكبر بكثير من مجرد وصف لفظائع الحرب والتي قد تحدث في أي مكان في العالم. يمرّ الكاتب بعد ذلك بعجالة على أحداث النكبة، ويعود ليصف الحياة الاجتماعية للأسر الفلسطينية التي تتشتت في أصقاع الأرض، ويترك هذه الأحداث، وهذا الشتات ليحكي آثار النكبة، فيتجلّى عِظَم الجريمة التي اقتُرِفت بحق هذا الشعب.

وإضافة إلى رسم صورة الإنسان الفلسطيني، يرسم الكاتب صورة الأرض الفلسطينية. يجعل القارئ يعيش في بيت دجنّ ويرى بياراتها وقصورها وبيوتها، ثم يعرّج على يافا ويرى شوارعها وأسواقها وبحرها، وينتقل إلى القدس يلج أسواقها العتيقةّ ويصل مسجدها الأقصى يصلي فيه، ويعود ليقضي ليله في بيت دجن. تكامل جغرافي فريد يماثل التكامل الاجتماعي. فهذا شعب له أرض، وهذا الشعب وهذه الأرض ممتزجان كالروح والجسد. ثم ينتزع الشعب من هذه الأرض تماما كما تنتزع الروح من الجسد.

في روايته، يشير الكاتب إلى كثير من الأحداث السياسية خلال الفترة السابقة واللاحقة لحرب ١٩٤٨. فهو يشير إلى الدعم البريطاني للعصابات الصهيونية قبل الحرب وأثنائها ودورهم في تسريب أملاك الفلسطينيين لليهود؛ حتى يتسنى لهم إقامة كيانهم على أرض فلسطين. وكذلك يشير إلى الزعامات العربية والفلسطينية التي تحالفت مع الإنجليز وخذلت الشعب الفلسطيني، وأدّى تخاذلها إلى ضياع فلسطين. وبالمقابل يُبرز الكاتب دور القيادات الفلسطينية والمجاهدين الفلسطينيين والعرب الذين بذلوا كل ما بوسعهم؛ ليدافعوا عن بلادهم، لكن حجم المؤامرة كانت أكبر منهم، فلم يستطيعوا مواجهتها وإن كانوا أدركوها ووعوا أبعادها. وكذلك يتحدث الكاتب عن السجون في عهد الانتداب البريطاني وطبيعة حياة المناضلين الفلسطينيين داخلها. ويعرّج على الأخطاء التي كانت تقع فيها الثورة الفلسطينية، مثل إعدام أشخاص متهمين بالعمالة بمجرد الاشتباه أو الوشاية الكاذبة. وكذلك يشير إلى المواقف السياسية المختلفة للشعب الفلسطيني في تلك الحقبة، مثل موقفهم من الثورة وموقفهم من قرار التقسيم.

يُبرز الكاتب دور المرأة ومكانتها في المجتمع الفلسطيني قبل وأثناء أحداث النكبة الفلسطينية. فالمجتمع الفلسطيني مجتمع ذكوريّ يمجّد الذكر ويعطيه الأفضلية، لكن المرأة ليست مضطهدة وليست غائبة عن الساحة. تبدأ الرواية بالاحتفال بمولد أميرة التي يبتهج الجميع بقدومها ويحتفون بها. ثم تقوم النساء بدور كبير في الثورة الفلسطينية، فنساء القرية يخرجن ويعاينّ أجساد أزواجهن وأبنائهن الشهداء في ساحة القرية، ويكتمن لوعتهن وحزنهن، ويكتمن معرفتهن للشهداء حتى لا ينكل الإنجليز بالقرية وأهلها؛ هذه شجاعة

منقطعة النظير. ثم يكون للنّساء دور فعليّ في الثورة، فيشير الكاتب إلى دور جمعية "زهرة الأقحوان" ومهيبة خورشيد في التصدي للصهاينة.

يعود الكاتب في نهاية الرواية إلى سرد للحياة الاجتماعية للعائلات التي تشتت في أماكن عدة، فعائلة عباس طاهر المحمود تتوزع بين القدس ومخيم الوحدات في عمان، ومخيم جباليا في غزة ومخيم شاتيلا في لبنان. لكن نسق الحياة يستمر وتستمر العائلات في تفاعلها وبناء حياة جديدة بعيدا عن الوطن، فالشعب الفلسطيني لن يموت ولو طال إقصاؤه عن أرضه.

الرواية واقعية في شخصياتها وأحداثها، فالمشهد الفلسطيني يزخر بالأحداث الحقيقية التي يمكن للكاتب أن يصيغها بطريقة فنية أدبية، فلا مكان للرمزية هنا في هذا الواقع الذي يفوق الخيال. لغة الرواية سهلة سلسة تقترب من اللغة المحكية، لكنها تحتفظ بسماتها الفصيحة. في الرواية عدد كبير من الأمثال الشعبية والأغاني والأهازيج التي كانت دارجة في تلك الحقبة من الزمن. إن الحفاظ على هذه الثقافة الأصيلة هو حفظ للهوية والأرض، وهذه ميزة تحسب للكاتب.

تبدأ الرواية بولادة أميرة وتنتهي الرواية بعودة أميرة إلى حضن والديها. فهل يعود الشعب الفلسطيني إلى أرضه كما عادت أميرة؟ ينهض التاريخ هنا ليجيب: نعم!

وكتبت **نزهة أبو غوش**:

أميرة رواية، أحداثها تاريخيّة تعود للفترة الزمنيّة لعام ١٩٤٨ أي لعام النكبة. عبّر بها الكاتب عن مدى تواطؤ الدّول العظمى في بناء كيان يهودي جديد على الأرض الفلسطينيّة، وتهجير أصحابها خارج الوطن. تلاحقت الأحداث الحدث تلو الحدث، وكأنّنا نشعر بأنّ الكاتب يجري ويلهث، ولا يدع لنفسه مساحة ورقيّة يبتعد بها عن الأحداث؛ من أجل أن يعبّر فيها عن مكنوناته النّفسيّة والعاطفيّة، والاجتماعيّة، والفلسفيّة، من خلال الشّخصيّات الرّئيسيّة في الرّواية. وقف الكاتب جانبًا محايدًا ينظر إِلى الرّاوي الّذي يعرف كلّ شيء،

ويسرد الأحداث من خلال الشخصيات نفسها بضمير هو، حيث تتحاور الشّخصيّات، وتناقش، وتسأل، وتتذمّر وتبكي، وتتألّم....الخ.

عنصرا الزّمان والمكان في الرّواية

في رواية السلحوت كان المكان ضحيّة للزّمان. الأعوام الّتي سبقت النّكبة،عام ١٩٤٥- و١٩٤٦-١٩٤٧- حتّى ١٩٤٨ كانت تسيطر على المكان الّذي احتلّه الثوار، على المساجد الّتي استهدفها الانتداب الانجليزي، بسبب الاحتماء بها وسبب التّجمع، الّذي يخافه الانجليزي المحتلّ. الزّمان الخفيّ، كان نقطة لانطلاق الهجرة اليهوديّة من الدّول الأوروبيّة عبر البحر إلى فلسطين. ماذا حدث للمكان؟ ضاع مكان المهاجر اليهودي حيث كان يعيش، واستبدله بمكان آخر، هو أرض فلسطين. السّجن...أصبح مكانًا للثوّار والمجاهدين. وماذا حدث للمكان، أرض الآباء والأجداد؟ الّذي يقطنه المواطن الأصلي؟ ضاع المكان بغدر الزّمان، وبحث فيه المهاجر عن مكان بديل يُسمّى " المخيّمات الفلسطينيّة للاجئين". زمن ١٩٤٨ هزَم المكان بقوّة، وبقسوة. الأمكنة الملموسة المعروفة. البحر والبرّ. يافا، حيفا، بيت جبرين، القدس ، ومئات المدن والقرى، تحوّلت موطنًا آخر لآخرين.

قصر طاهر المحمود في الرّواية، القصر الّذي أبدع الكاتب بوصفه، من حيث العمار والحدائق، والّذي يحلم الكثيرون أن يشاهدوه، أين ذهب؟ استبدله أصحابه بفعل الزّمن – حرب ١٩٤٨- ببيت آخر في البلدة القديمة في حارة اليهود. البيّارات أين ذهبت؟ شاطئ البحر ومرسى السّفن، والمنارة و....الخ

تغيّر كلّ شيء، وسيطر الزّمان على المكان. تحوّلات الزّمن في الرّواية كانت سريعة ومتلاحقة، تحمل بين ثناياها الكثير من الأحداث، زواج عبّاس من سعديّة، ولادة أميرة عام ١٩٤٥، ظهور الثّوار، استشهادهم، مقتل حمدان الفالح ظلمًا، وجنون أحمد خلف ، ابن عمّه. فتح السّجون للثوّار. سجن طاهر، أبو عبّاس، ولادة حفيد له، ثمّ مصالحته مع زوجته. ثمّ الحرب، ثمّ الهجرة، مقتل طاهر، وضياع أميرة والتّشتت، ضياع فلقاء، ثم لقاء أميرة بعد غياب سنوات.

العاطفة في الرّواية

العاطفة هي بعد حيوي في الرّواية، فهي تعبّر عن مكنونات انسانيّة بحتة، ارتبطت باليأس، والفشل والهزيمة، وضعها الكاتب السلحوت، في قالب روائي اجتماعي. كان الألم، والتّعاسة، والقهر أبطالها.

عاشت عائلة أبي عبّاس حياة الألم اثر هجرتها عن أرض الوطن، أصابها الحزن والقهر لفقدان العزّ والجاه الّذي عاشته ما قبل الهجرة. تسرّب الألم إلى العائلة بعد فقدانهم لأميرة وعدم معرفتهم أين مكانها. قسوة الظّروف الّتي عاشها المهجّرون في جنوب لبنان، والأردن، وغزّة...سبّبت لهم المزيد من التّعاسة، والحزن.

العاطفة العامّة، هي القهر والألم والتّحسّر، الّتي أصابت الشّعب الفلسطيني بأسره إثر مقتل شهدائه وضياع أبنائه، ووطنه. عاطفة الخوف والقلق على المصير والمستقبل..

عاطفة القلق والاضطّراب، الّتي أصابت عبّاس بطل الرّواية، الّذي اكتشف خيانة والده لوالدته، والأبلى من ذلك ظنّه بتعامل والده مع الانجليز، وخيانتة للوطن.

عاطفة الآباء تجاه الأبناء، حبّ الأُسرة لأميرة كان مميّزًا. حبّ الابن الذّكر وتفضيله على الأُنثى. وأكبر حبّ هو حبّ الوطن الّذي سحبه المحتلّ من تحت أقدامهم.

عاطفة الشّوق، وحبّ عبّاس وسعديّة.

عاطفة الفرح المسروق وسط الظروف القاسية، نحو اقامة الزّواج بدون الأغاني والعزف.

عاطفة القسوة المصحوبة بالعنف ونوبات الأنانية الّتي عبّر بها المحتلّ نحو الشّعب المحتلّ.

وقالت **نسب أديب حسين**

نشهد في رواية أميرة محاولة أخرى من الكاتب تأريخ القضية الفلسطينية من خلال القالب الأدبي الرواية. فقد قدم الكاتب جميل السلحوت خلال الأعوام الثلاثة الماضية خمس

روايات وهي سلسلة، تبدأ في مرحلة ما بعد النكبة وحتى ما بعد النكسة تدور أحداثها في منطقة السواحرة في القدس. ونجده هنا يبحر الى فترة زمنية أبعد لرصد النكبة منتقلا الى قرية بيت دجن القريبة من مدينة يافا، والتي هُجّر سكانها عام ١٩٤٨. لتمتد فترة الرواية الزمنية خمس سنوات من عام ١٩٤٥ وحتى ١٩٥٠

يسلط الكاتب الضوء على سعي اليهود لشراء الأراضي والمصانع من الفلسطينيين وبحماية بريطانية. كذلك على دور الفقراء في الدفاع عن الوطن، والذين يبيعون الغالي والرخيص في سبيل شراء بندقية للدفاع عن أراضيهم، بينما الأغنياء مستعدون لبيع أراضيهم والرحيل بما تبقى لهم. رغم أنّ بطلي الرواية الغنيين الحاج طاهر وابنه عباس لا يرضخان للضغوطات.. وعندما يغادر عباس بيته يهتم بعائلتي العاملين لديه سعيد وفايز كما لو كانا شقيقيه.

ما زال الكاتب يحاول الحفاظ على الموروث الشعبي من الأغنية الشعبية، فنراه يسجل الكثير من الأغنيات التي تتردد في الأعراس، وعند ولادة مولود جديد. كذلك عادة الاحتفالات عند العائلات الغنية.

يحاول الكاتب أن يشدد على التآخي الديني وتقبل التعددية بين أفراد المجتمع الفلسطيني، خاصة العلاقة الوطيدة بين عائلة عباس المسلمة، والمحامي حنا اندراوس المسيحي. كذلك عندما تُهجر والدة عباس مع ابنته أميرة الى بيروت برفقة عائلة المحامي حنا اندراوس يتكفلان برعايتهما، ويعاملان أميرة ابنة عباس بعد وفاة جدّتها كما لو كانت ابنتهما. كذلك يشير الى التكافل الاجتماعي بعد النكبة، ومحاولة الناس مساعدة بعضهم بعضا نلحظ هذا بشكل واضح ما بين عائلة عباس ومساعديه ووالدة منصور الفالح، وتقاسمهم السكن ومحاولة مساعدة بعضهم بعضًا.

في الرواية وجه الكاتب بعض النقد للثورة، في حادثة اعدام الشاب منصور محمود الفالح صفحة ٩٣، بعد وشاية من أولاد عمه به على أنّه عميل للانكليز، فلم يستمع القاضي لشكواه أو يحاول تقصي الحقيقة.

اللغة والأسلوب

اللغة سلسة مفهومة بعيدة عن التعقيدات اللغوية. الراوي هو راوٍ كلي عالم بخبايا شخصياته، المعلومات في معظم الأحيان لم تكن مثقلة على القارئ، وأحداث الرواية شيقة.

في الفصل الأخير وآخر صفحتين بالذات نجد الأحداث فجأة تنزلق بتسارع غير معهود، فيتنقل البطل عباس بين رام الله والقاهرة وبيروت في صفحتين، في سبيل للوصول الى حلِّ العُقد المتبقية في الرواية، فجأة فقد الكاتب نفسه الطويل، وقرر أنّه حان الوقت للإنهاء، لكنّها سرعة جارفة أثرت سلبًا على الرواية.

العنوان

جاء عنوان الرواية أميرة على اسم ببنة أحد أبطال الرواية الرئيسيين، والتي تولد في الفصل الأول ويختار لها والدها عباس طاهر المحمود الاسم "لتكون أميرة قلبه"، هذه العبارة الأخيرة والتي ظهرت على الغلاف الأخير للرواية، أعطت المزيد من الأهمية لشخصية الفتاة، مما أوحى للقارئ بأنها إن لم تكن بطلة الرواية فستكون من الأبطال الرئيسيين في الرواية. لكن أميرة الطفلة كانت ما تزال في السادسة من عمرها عندما انتهت الرواية، وعدا عن كونها المولود الأول الذي يُرزق به البطل، وترحيلها مع جدّتها خديجة وعائلة المحامي حنا اندراوس الى بيروت، لا تظهر أحداث أخرى مهمة حول شخصيتها. الأمر الذي يبعث علامات الاستفهام حول العنوان والسبب الذي دفع بالكاتب لاختياره.

ختامًا نقف أمام عمل روائي مهم في رصده ما مرّ به الشعب الفلسطيني في فترة النكبة، وما لحق به من معاناة.

وقال **نبيل الجولاني**:

تحدّث الكاتب في روايته هذه عن بداية تَشكُل الثورة التي عَمَت فلسطين أثناء الحكم التركي لها وحكم الانجليز لبلادنا التي عاثو فيها خرابا وظلما، وعن وعدهم لليهود باقامة

وطن لهم على أرضنا بعد اقتلاعنا منها، واحلال المهاجرين مكان سكانها الاصليين، وعن طبقة الاقطاع والبرجوازية التي كانت تتماثل مصالحها مع مصالح المحتلين حفاظا على مصالحهم الشخصية، والتي كانت تتعارض مع مصالح أبناء الشعب الذي كان يُشكل الوقود للثورة وذراعها المقاوم في المواجهة، ومناوئة الاعداء ومقارعتهم، بينما يبقونهم (أي أصحاب الاقطاعيات والمصالح الاقتصادية)يُمارسون دور الواجهة بلا مواجهة، دور القيادة الرمزية للشعب مع الحرص على عدم المساس بعلاقاتهم مع الانجليز، وذلك بهدف حفظ مشاريعهم وتسهيل معاملاتهم ومصالحهم؛ لكي يستمروا على سدّة القيادة التي كان يوفرها لهم أيضا أعداء الشعب، الذين كانوا يحرصون هم أيضاعليها؛ لكي تبقى كذلك.

في الوقت الذي كان أبناء الشعب يُعانون فيه من الفقر والجهل والظلم والاضطهاد الطبقي والقومي الذي كان يُمارس عليهم من الطرفين في نفس الوقت، وان كان يأخذ في محتواه مضامين مختلفة مع عدم اختلاف الاهداف والنتائج.

هذا اذا ما علمنا أن الثوار في ذلك الوقت كانوا يبيعون ذهب (مصاغ) نسائهم؛ لكي يشتروا به سلاحا للمقاومة، بينما الموسرون أصحاب المصالح ورأس المال يبيعون السلاح؛ لكي يشتروا به ذهبا لنسائهم من أجل المساومة والغواية، وتحويل أنظار الأبناء عن المخاطر التي تُحدق بهم وبأبناء شعبهم.

وهذا ما يُؤَكَّد عندما استعان الانجليز بالملوك العرب، عندما وجه هؤلاء الملوك نداءاتهم للشعب الفلسطيني بانهاء اضراب ١٩٣٦ معتمدين على حسن نوايا (الصديقة)بريطانيا بانهاء الانتداب على فلسطين، ووقف الهجرات اليهودية اليها، حيث كان العكس بأن ساهم الانجليز وبشكل عملي ومباشر بمُهِمات اقتلاع الفلسطينين من قُراهم ومُدنهم، وقتلهم وطردهم وتهجيرهم الى خارج الوطن، واحلال اليهود مكانهم، وبناء دولة لهم على أنقاض أرضنا، على مرأى من هؤلاء الملوك العرب المتواطئين مع دول العالم التي أخذت تعترف بالكيان الصهيوني الواحدة تلو الأخرى.

ولا يَفوتني في هذا السياق إلا أن أذكر وأشكر الكاتب جميل السلحوت على ما تضمنته دفتي

روايته من تأريخ للمكنونات والعادات والتقاليد والثقافات التي كانت سائدة وقتذاك، مما كان له دور هام في توضيح وايصال المعلومة والفكرة التي أرادها في هذه الرواية التي نحن بصدد سبر غورها في هذا المقام.

ومن الحري بالذكر أيضا أن عنصر التشويق كان متواترا بتوالي التطورات الدرامية التي رافقت وواكبت الاحداث، وتطوراتها على ضوء ما جاء من أقوال وأفعال وأعمال في راهن ذاك الزمان.

وما هو جدير بالذكر هنا هو استعانة الكاتب بالأمثال الشعبية التي أغنت النص، وكذلك الأغاني والأهازيج التي جاء بها تعبيرا وتعميقا وتجسيدا للمناسبة التي قيلت من أجلها، سواء كانت أفراحا أو أتراحا أو موسمية أو مناسباتية تُكحل النص وتُزينه، وتُهذبه بلُغة سلسة مكثفة قشيبة مهيبة، تأخذ القارئ الى عوالم يُشارك بها بوجدانه وفؤاده وعاطفته ومبادئه ومواقفه وطاقاته المخزونة، والمعروفة على الصعيد الذهني المعرفي تارة، وعلى الصعيد الفكري الموقفي الذي يؤدّي الى التنوير والتغيير في كل الأحوال.

واذا كان الكاتب تحدث هنا عن احتلال حيفا من قبل عصابات البالماخ ،فان هذا نموذج لما حدث في احتلال باقي المدن والقرى الفلسطينية، وما قامت به عصابات الصهاينة الأرغون والشتيرن والهاغاناه من عمليات التطهير العرقي للفلسطينيين سكان البلاد الأصليين. فقد عملت هذه العصابات المذكورة آنفا مع باقي الألوية المدربة جيدا، والمسلحة بأحدث وسائل القتل على الترويع المبكر للسكان، عبر المذابح المتعددة التي ارتكبوها، كمذبحة دير ياسين مثلا، مما دفع أبناء النُخبة الفلسطينية الى المغادرة الى مساكنهم في لبنان ومصر ريثما يعود الهدوء، مع أن الأسلحة لم تكن تصل الى الثوار، والحكومات العربية لم تكن تفعل أكثر من شن حرب كلامية وحماسية عبر الأثير لاخفاء تقاعسها عن المساعدة، ولعدم رغبتها في التدخل لنجدة الفلسطينيين.

لذلك أصبح السكان بلا قيادة، وكان عدد المتطوعين قليلا،مما تركهم تحت رحمة العصابات اليهودية، مع وجود القوات البريطانية التي كانت تسهل أعمالهم في قتل وطرد الفلسطينيين،

وتشريدهم الى خارج الحدود حيث استولى اليهود على كل شيء، وحلّت النكبة بطرد الفلسطينين وجعلهم لاجئين وهدم بيوتهم واقامة مساكن لليهود الوافدين من اصقاع العالم؛ حتى يقيموا وطنا لهم لشعب بلا أرض على أرض بلا شعب، وفي وقت لاحق يجري محو السكان المطرودين من سجلات وتاريخ البلد الرسمي والشعبي واستئصالهم من الذاكرة الجماعية، واحلال اليهود مكانهم، حيث أن التطهير العرقي يُعتبر جريمة انسانية في كافة الاعراف الدولية.

أمّا **رشا السرميطي** فقد كتبت:

أميرة؛ الطِّفلة التي حملت اسمها رواية الكاتب -جميل السلحوت-، الصَّادرة عن دار الجندي في (٢٢٢) صفحة، وقد استخدم في غلافها لوحة للفنَّانة الفلسطينية: لطيفة يوسف. ما هي إلاَّ رواية ممتدة للعديد من الرِّوايات المنشورة في الأدب الفلسطيني، حول حقبة تاريخيَّة، باتت مشهورة المعالم لدى المعظم من سكان العالم. فالنَّكبة التي أصابت أرض فلسطين عام ١٩٤٨م وما قبلها وبعدها، قصص روايات وأحاديث وقصائد شعريَّة لا أجدها، حتَّى اليوم، مكتملة. ربما لأنَّ المنطقة جغرافيًا ما زالت تقع تحت النَّكبة، وربَّما لأنَّه يوجد تقصير لدى الكتَّاب الفلسطينيين في توثيق التَّاريخ من منظور ثقافي.

حمل الغلاف صورة لامرأة فلسطينية المظهر، بدت باكية والحزن يلوِّن ملامحها، معها باقة مكونة من ثلاث زهرات، وهذا النَّوع من الزُّهور يسمى "شقائق النُّعمان" وهي مشهورة جدًا في فلسطين. أما عن رمزيَّة ذلك: الكاتب ربما كان من خلال هذه الصورة يعبِّر عن بكاء النِّساء الفلسطينيات، واستشهاد رجالاتهن إبَّان الحرب، والخراب الذي عمَّ أنحاء المكان. لكن؛ هل هذه المرأة هي أميرة؟ أمَّا عن عدد الزهور، فمن المتعارف عليه في عالم الورود أن العدد (٣) منها يحمل معنى الأمل، والاستفهام عن موعد لقاء جديد، وكذا اللون الأحمر المشتعل يعني الفقد والوعد بلقاء آخر. وهنا؛ بدأت التساؤلات لديّ، منذ اللحظة التي قلَّبت بها الكتاب من الخارج: من أميرة؟ ما قصتها؟ وبمن تنتظر؟ وقد استندت بتلك الأسئلة على ما كُتب على ظهر الرِّواية:" سيسمِّيها أميرة؛ لأنَّها ستكون أميرة قلبه".

بعد قراءة الرِّواية، وجدت العديد من الشَّخصيات التي ملأت بأحداثهم أوراقها. وقد كانت البطولة لمعظمهم في أدوار طويلة وأخرى خاطفة ضمن التسلسل الزَّماني، أذكر منهم: عبَّاس طاهر المحمود، زوجته سعدية، والده الحاج طاهر ووالدته، العاملان في البيَّارة فايز وسعيد وزوجتاهما، زليحة والدة سعدية، نبيهة أخت عباس وزوجها عارف عبد الكريم، حنا وجورجيت أندراوس، مهيبة خورشيد، الشيخ ياسين، بهجت أبو غربية، عبد القادر الحسيني، سميح شتيوي، أميرة، محمد عيسى، وغيرهم الكثير. ممَّا جعلني، كقارئة، أتيه أحيانًا في ربط الأسماء، ما بين الشخصية والمكان والزمان، رغم التركيز على شخصيَّة عباس المتسائل وفايز المجيب الفاعل.

مضمون الرِّواية: الرِّواية تحكي عن وجع الشَّتات الفلسطيني، وجرم العالم العربي والغربي في رد الظُّلم عن الفلسطينيين، وتكشف بعض دلائل عن تواطؤ الفلسطينيين أنفسهم، وكذا العرب مع اليهود في السيطرة على الأرض، تحت ظل الدُّول الاستعمارية القاهرة آنذاك.

أحداث الرِّواية باتت متسلسة: بدأت تحكي عن الفترة الزمنية ما قبل حرب ١٩٤٨م وقرية بيت دجن وجمال يافا وبحرها، وقد امتدّ ذلك في أول (١٣٧) صفحة، وهو الجزء الأكبر من الرِّواية، الذي يفترض بالكاتب أن يوظفه للحديث عن مجريات الأحداث مع أميرة، من صفحة (١٣٨– ١٥٥) تابع الكاتب سرد الأحداث عن التهجير والإبعاد، وشلالات الدماء التي أريقت في فلسطين مارًا، مرور العابر، على المذابح التي حدثت، والشهداء الأبرز في تلك المرحلة. في صفحة (١٥٦) تحدث الكاتب، بشكل مقتضب، عن المخيمات التي لجأ إليها المهجرون وذكر بعض المناطق الجغرافية، كما قدَّم ومضات عن دور وكالة الغوث والعراق في تزويد الفلسطينيين بالغذاء والماء، أما صفحة (١٧٦) فبدأ السيناريو المفرح، وخطبة فايز وسميح، وأحداث ربما كانت حقيقية أو من نسج خيال الكاتب، بدت عاطفية ومألوفة، لكنَّها ليست بحرارة البداية التي كانت بها أميرة.

ملاحظات عامة حول الرِّواية:

- الزَّمان: حيث امتَّدت أحداث الرِّواية في الفترة (١٩٣٠– ١٩٤٨م) تقريبًا، وقد

مرَّت الرواية عن أحداث تاريخيَّة بها، حدثت في تلك الفترة، دون شرح مسهب عنها، إذ كان بإمكان الكاتب توظيفها لإثراء الرِّواية بأحداث عظيمة، خاصة في فترة الحرب والإبادة التي تعرض لها الشعب الفلسطيني.

- المكان: القصر الذي بني عام ١٧٧٨م في بيارة الحاج طاهر المحمود في قرية بيت دجن، انطلاقًا ليافا، حيفا، القدس، مرورًا بقلنديا، وهنا وجدت الكاتب قد قصَّر في ابراز هوية هذه الأماكن، كان بإمكانه تدعيم موقفه "الثقافي" من خلال الأدلة الإحصائية، وإبراز المعالم الباقية بعد تهويد المكان. إلا أنني وجدت الكاتب، بمروره المكاني، خاطفًا لي كقارئة؛ ولم أعثر على المكان بعمق جزئياته داخل الرِّواية نفسها، لأنَّ الوصف كان ضئيلا. وقد حدث منعطف مفاجئ في صفحة (١٣٨) عندما وجدت الحاجة خديجة صارت في ميناء صيدا؛ بشعرها المنكوش، وهلعها على مصاب الحرب عام ١٩٤٨م، فلم يمهِّد الكاتب لذلك ولو في صفحة واحدة.

- الشَّخصيات: فقد أشار الكاتب بأنَّها وهميَّة، عدا ذكر أسماء القادة، كان موفقًا بها، إلاَّ أنها كثيرة فكانت مضللة أحيانًا في الرَّبط، وربما قصد من ذلك كاتبنا تعميم الفكرة وربط ما تعرض له المسلمون والمسيحيون إبَّان فترة حرب ١٩٤٨م. وكنت أتوقع منه تسليط الضُّوء على دورهم النِّضالي بشكل أعمق مما كان في روايته.

تحليل رمزيَّة بعض الشخصيَّات في الرِّوايَّة

عباس؛ المتسائل ابن الثَّراء والعزِّ والدَّلال، يعكس صورة الفساد بتواطؤ بعض السكان مع الإنجليز وانخراطهم، فاسدين، في قضيتهم، لتمشية مصالحهم على حساب دم الشُّهداء. إلاَّ أنه، رغم الطريق العاثر الذي مشى به والده واستلذاذه بالنساء والمحرمات، وجدت الأرض كما طرحها الكاتب، من المحظورات في اللهوِّ عنده، فقد كان التحوُّل في حياة والده الحاج طاهر بعد حادثة مصنع البلاط في يافا، ورفضه لبيعه للتاجر الخواجا حاييم اليهودي..

فايز؛ المجيب، كما سميته، فقد شعرت من خلال الكاتب بأنَّه صوت الشعب، وليس الفرد. وتحليل لمجريات الأحداث في ذلك الوقت وليس شخصًا، وإنَّما مجموعة أشخاص تحت اسم فايز. كان له الدَّور الأكبر في هذه الرِّواية، وكان الحضن الذي ضمَّ المهجرين من أهل بيت دجن في ذلك الحوش القريب من المسجد الأقصى.

الحاج طاهر؛ المستهتر بماله، والغني عن أخلاقه وعرضه، فقد آثر اللهو والمحرمات على إقامة شعائر الله، رغم نعته بالحاج، وموقفه الديني الذي كان ينافق به، ومعرفة العديد من جلدة قريته بأنه فاسد أخلاقيًا، ولم يمنعه تشوه داخله عن العبث مع أرملة شهيد، واستذلالها بسلطته وماله. فجأة تحوَّل بعد سجن ٦ أشهر لرجل صالح يتقي الله في زوجته وبيته ووطنه! وهنا وجدت تناقضًا، لا أدري هل كان ضربًا من تخيل الكاتب، أم أنَّ الصحوة قد تباغت الانسان في فترة زمنية قصيرة، ليغير مجرى حياته بالكامل.

الحاجة خديجة؛ صورة للمرأة العربية السَّخيفة، التي ترى زوجها يجور بها فتسكت، ويكذب عليها فتصدقه، وثرثراتها حول كنّتها وأمُّها زليخة، وهي صورة لامرأة موجودة في القرى، وذلك الوقت تحديدًا، فقد وُفّق جميل السلحوت في استنساخ صورتها، وتبيان موقفها في الأحداث الاجتماعية في الرواية.

أميرة؛ الشخصية الأقل حظًا، رغم حملها عنوان الرِّواية، إلا أنَّني توقعت لها دورًا أكبر من رفضها الحياة مع والديها، واستبدال جورجيت وحنا، أسرة لها، كأن تكون حاملة شراع العودة ومتمكنة من قضيَّتها.

"محمد عيسى"؛ شخصية بلا دور، ربما قصد الكاتب منها توحيد الصفوف المسلمة والمسيحية في محاربة اليهود.

سعديَّة؛ توقعت لها دورًا نضاليًا، خاصة عندما مرَّر الكاتب اسم مهيبة خورشيد، فقد ظننتها ستلتحق بالثورة وتبرز دور النِّساء في تلك الفترة التاريخية.

-الدلالات القرآنية؛ لم أجد الكاتب وفِّق في ذكر تلك الدلالات القرآنية بغزارتها

ومواضعها وتنسيقها الوارد في الرِّواية.

الأهازيج الشعبية والشعرية؛ كان جميلا من الكاتب تمرير الأهازيج الفلسطينية التي تقال في محافلنا الاجتماعية، لأنَّ ذلك من موروثنا الشعبي والتراثي، لكنَّه قد تجاوز حدود اللَّباقة الثَّقافيَّة في تطرُّقه لأهازيج مخجلة، لا ضرورة من توثيقها في كتبنا ومكتباتنا، لأنَّ بناتنا وأبناءنا ليسوا بحاجة لتلك العادات القبيحة، وقد ورد منها في صفحة (٩١-٩٢)، ومما فاجأني أنَّ جميل السلحوت قد نشر تلك الأهازيج في كتب سابقة، فما جدوى إعادة نشرها في هذه الرِّواية؟

الكوفية والطربوش؛ أعجبني ما طرحه الكاتب عن هويَّتنا الفلسطينية بلبس رجالنا للكوفية، التي يخطئ الكثيرون ويظنونها خاصة بتنظيم فلسطيني، وهي موروث ثقافي وتراثي، وبالمقابل أوضح موطن الطربوش المصري الذي انتقل لنا في فترة حكم الدولة العثمانية.

بالرغم من أنَّ الكاتب جميل السلحوت له العديد من الإصدارات، الخاصة والعامة، إلا أنَّ روايته – أميرة- لم تسلم من وجود الأخطاء الإملائيَّة والنَّحويَّة، وكذا التشكيل وتقسيم فقراتها، وفي هذا مأخذ على دار الجندي للنشر، التي قامت بطباعة العمل، إذ كان حريًا بهم تحرير الكتاب قبل طباعته وإخراجه كما يليق. عدا عن غزارة استخدام الكاتب لحرف العطف (الواو) مما يؤكد عدم تحرير مادة الرِّواية وتجزئتها، فقد ورد حرف (الواو) في صفحة (٢٠) ما يقارب ٢١ مرة في صفحة واحدة! كما كانت هناك أخطاء متعددة في استخدام الحاصرتين، الأقواس، وضع الهمزات، وغيرها، وهنا أرجو من الكاتب العناية بإخراج نسخ الرِّواية محررة.

ختامًا؛ جميل السلحوت يطرق أبواب الأدب من زوايا تختلف عن غيره، لكنَّ الأسلوب يحتاج لرعاية خاصة.

ومن قطاع غزة كتب الأديب عمر حمّش:

"أميرة " السلحوت .. رواية النكبة

تأتي الرواية إضافةً جديدةً، في سلسلة إصدارات طويلة للكاتب.

كنتُ سعيدَ الحظ باطلاعي على الرواية، وكان لي – أثناء تناولها – شرفُ الانبهار .. وكذلك الفرح والفخر معا.

الفرحُ .. بالعودةِ إلى سرد الزمن الجميل، من غير استعصاءٍ، أو نتوءات تعترض الذائقة، بحجج الحداثة، و" جماليات " الرمز، والتركيب .. لقد مارس الكاتب هنا الرسم بحذقٍ، فكانت رواية المشهد السينمائيّ المتحرك باقتدار، مع تضاريس النكبة، بجغرافيتها، وتاريخها .. ومع القراءة عاد للقلب الوجعُ المتواري، والبلادُ عادت ثانية بين يديّ تبكي، والأهل أمام ناظريّ رجعوا يغادرون، مع الروايةِ تحسُّ أن النكبة اليوم حدثت .. من بعد أن شتّتت أقلام، وتاه كثيرون من الكتّاب في مسارب الحياة ومضامينها.

جميل السلحوت يعودُ إلى نبع أقلامنا الأول " تبع النكبة " يُعيد يافا وريفها، وكذلك حيفا، واللطرون، والقدس، وأريحا، مرورا بغزة، ومخيمات لبنان، في نسيجٍ درامي مترامي الأطراف بحجم ترامي أطراف زمان نكبتنا، وأمكنة نزوحنا.

الفخر...وأنا مع الرواية يراودني الابتسام، مع شخوص الروايةِ وهم يتحركون، وينطقون، حتى لكأنني رأيتهم؛ يحركون الوسطى لملوك إسرائيل، وسمعتهم؛ يخبرون حكماءهم: أنَّ حروبكم هباء، وأنّ النكبة مهما طال بها الزمان؛ لن يجديّكم فيها الوقتُ نفعا . وعار رؤوسكم أيّها السارقين لم يزل يخيم.

والفخرُ أيضا .. لأنَّ رواية " أميرة " لن تقوى على قصفها الطائرات، وأن الذاكرة ما زالت على لهب ما جرى؛ تتقد.

الفخرُ .. لأنّ أصل الصراع بين رواية المسروق في تصديه لرواية السارق .. وها نحنُ لم

نفارق .. وإن تهنا ولو إلى حين، نعاود الرويّ، بأجمل مما كان، وبألوانٍ أزهي سحرا.

لقد أمتعني جميل السلحوت .. وهو يطوفُ في ربوع البلاد المُضيّعة .. مكانا، وزمانا، وشخوصا .. رأيته ... وهو لا يترك شاردة .. من النعيم الذي كان، ولا من فجيعة حدثت في نكبة المكان، بتصويرٍ هاديء .. ماتع، وإن كان مُدميا أحيانا.

هذه رواية ما جرى .. رواية النكبة باقتدار .. هديّةٌ قلم السلحوت إلى صبياننا، وهي أيضا مبراةٌ لذاكرة الكبار.

أهنئك صديقي على روايةٍ ... تمنيتُ لو كنت أنا كاتبها.

ومن ندوة الخليل الثقافية

كتبت خولة سالم العواودة.

أميرة السلحوت رواية النكبة بامتياز

رغم متابعتي اليومية لما يكتبه الأديب جميل السلحوت على الشاشة الزرقاء ومواقع التواصل الاجتماعي، الا انني لم أحظ طوال الفترة السابقة بقراءة رواية كاملة له، وهذا تقصير مني بحق قلم أنتمي اليه فكرا وروحا ،الى أن حصلت على رواية "أميرة" من اصدارات دار الجندي لهذا العام ٢٠١٤، بواقع ٢٢٢ صفحة من القطع المتوسط وبتصميم غلاف للفنانة الفلسطينية "لطيفة يوسف".

فالرواية تجسد حكاية الفلسطيني أينما حل وارتحل ، أحداث متلاحقة لنكبة عام ثمانية واربعين وتهجير سكان يافا ،الرملة ، حيفا ، وقرى حول القدس منها بيت دجن ،عمواس ، وادي النسناس ، مرج بن عامر ، وقرى محيطة بالقدس.

يجسد الكاتب النكبة في شخصية الرواية الرئيسية "أميرة" ابنة "عباس طاهر المحمود" من عائلة عريقة تسكن بيت دجن، معروفة بجاهها وحسبها ونسبها وكيف أن الأميرة الصغيرة

منذ أن أتت للدنيا، وهي تصارع نكبات عدة يعرج فيها الشيخ على كونها مولود أنثى لعائلة تنتظر ابنا ذكرا يرث ويحمل اسم العائلة، ثم معاناتها من جراء كونها أنثى وما تسمعه من كلمات تشعرها بالدونية منذ صغر سنها ، ويحدث مرة أن تحاول-من باب غيرة الأطفال- خنق شقيقها "محمد عيسى" ويتم اكتشاف أمرها، ويتم انقاذ الطفل بآخر لحظة، يتنبه الأهل لضرورة الانتباه لها أكثر، والعناية بها كي لا تقوى مشاعر سلبية بداخلها تجاه أخيها، وتشاء الأقدار وينزح الاهل قسرا بل يهجرون ويكون نصيب الأميرة الصغيرة ان تغادر فلسطين الى بيروت مع من رُحّلوا من عائلتها عبر سفن في ميناء حيفا، أعدّت خصيصا لتهجير الفلسطينيين بعد قتل بعضهم وارهابهم ، وتحظى برعاية جدتها ، يستشهد الجد قبل مغادرة الميناء بطلقة من سلاح الانجليز ، وتبقى في رعاية عائلة مسيحية صديقة للأسرة ، ثم تشاء الأقدار ان تفارق الجدة الحياة فتبقى الطفلة تحت رعاية أسرة المحامي حنا اندراوس صديق العائلة، فرعاها هو وزوجته كابنهم "اميل". يكابد والدا "أميرة" غيابها، ولوعة وشوقا لعناقها وعودتها ، ويعيشون لوعة الفقد كونهم لا يعرفون ان كانت على قيد الحياة أم هي من ضمن من قتلوا في مجازر تكررت في أكثر من قرية ، فمجزرة دير ياسين شاهد على فقد الكثيرين جراء مجازر تقشعر لها الأبدان.

تتطور احداث الرواية فيعرج المؤلف على معاناة اللجوء والفقر والحرمان، حيث الحرب افقدت الاهل كل ما يملكون فبعد ان كانو اصحاب الارض أصبحوا يسكنون الخيام ويستجدون ماء وتمرا للبقاء على قيد الحياة ، كما يعرج على صفحات مشرقة من النضال لاسترداد الارض بشتى الوسائل المتاحة ، والجهاد المقدس ومحاولاته لاسترجاع البلاد من قبضة المحتل ، تتوالى الاحداث بوتيرة وتسارع موجعين للروح.

يعرج الكاتب على أحياء القدس ويصفها بدقة، وأسلوب مشوق جذاب، فهي القدس مهجة القلب وقبلة الروح ،وما ان تهدأ الاوضاع بعد حرب ١٩٤٨ حتى يعلم الأب بمكان وجود ابنته، وانها لا تزال على قيد الحياة فيبادر بالسفر لاحضارها من بيروت الى القدس لتقيم مع عائلتها في بيت اخر في القدس – غير بيت العائلة الذي هجرت منه – حيث تم استئجاره عبر الاوقاف الاسلامية للاقامة فيه لحين العودة لبيت دجن، وكحال أيّ

طفل يُبعد عن أسرته ويعيش مع أسرة أخرى لعائلة، يتربى في اجواء مختلفة تعاني، الأميرة الصغيرة من فراق العائلة المربية والحاضنة، والعودة لأحضان أسرتها التي فارقتها رغما عنها، وأصبحت لا تنتمي اليها الا في الاوراق الرسمية والجينات الوراثية.

يمكن اعتبار الرواية توثيقية لفترة زمنية معينة ففيها من التواريخ والمواقع واسماء القادة ما يعتبر تاريخا حقيقياً ، كما ان فيها من الاهازيج الشعبية ما تطرب له الآذان وتستحضره الذاكرة بفرح وشموخ ، وفيها من النصوص الدينية ما يربط قضية فلسطين بالسماء فتشعر وانت تقرأها انك امام واقع فلسطيني بامتياز.

وكتب **أمير الطردة**

ما زالت لم تدرك أميرة ماهية المكان الذي ولدت فيه، ولا كيف تنقّلت بين الأماكن، حيث كانت المسافات مليئة برائحة البارود، وبقايا الدموع والخوف متروكة على نوافذ المنازل العتيقة.

كانت أميرة بداية الزغاريد في حضرة وصولها النّدي، وبداية الرواية التي عادت بنا لحكاية الثوّار الذين ناموا تحت دمائهم، وودّعتهم الأمهاتُ بأصواتٍ تردد للوطن والكرامة.

الرواية فيها رجوع للتاريخ القديم، وأحداثه المضرّجة بالتعب والحسرة والوجع، وكيف نمَت الأرواح القادمة من بعيد في أرضٍ كبُرَت على أنفاس أهلها وأحاديثهم وأغنياتهم. ورغم ذلك كانت الأحداث في الرواية على مضضٍ تشيرُ إلى من كان يبني أشياءه ببيع ضميره، ودثر الكرامة والناس وكل شيء، ولباس معطف (إطعم الفم، تستحي العين)، هذا اللباس المعتّق الذي ما زال حاضرا بشراهة.

وفيها انعكاس لواقع ملطّخ بالأطماع والفساد، وأصحاب الحضور الشّرير في الحياة على اختلاف جوانبها، فكثيرون هم الذين " يقتلون القتيل ويمشون في جنازته " وليس القتل بمعناه المُجرد فقط، وإنما القتل في التصرف ودسائس الليل، وجلسات الحبكة والأفكار الشريرة.

كنتُ أقف على شاطئ يافا الذي كان صوت نوارسِه يجوب السطور، وكنتُ أسلّمُ على البحر الذي لم يشهد نمو الكثيرين الذين يعيشون بالقرب منه، ولا يستطيعون الوصول. كنت أتنفس هواء الشمال من حروف الرواية، رغم الأرض الغارقة في الوجوه الغريبة هناك، شعرتُ حينئذٍ بدفءٍ جديد، وعرفت لماذا يقال في التراث والدّلعونا، بأنَ "الهوا الشمالي غيّر اللونا"

حنينٌ كثيف لأراضي الشمال وُلدَ لدي، لذلك ازدادَ حزني عليها وعلى حيفا حينما بدأ الهجوم عليها في أحداث الرواية، وكيف تضرّجت بتلك الوجوه الغريبة، وسكتَ ضوء البُرتقال على أعتابها.

جلستُ في الشوارع الأولى للبلاد، الشوارع التي رسمَتها الرواية حجرا حجرا، وخطوة خطوة، عشت تفاصيل الحياة القديمة، شاهدت النّاس يمرّون من جانبي والذعر يملأ عيونهم من هجمات المحتلين وأصوات رصاصهم، كانوا يحملون أطفالهم وبقايا أشيائِهم ويتّجهون إلى أي مكان يكونون فيه بعيدين عن شباك الرصاص، وتكون فيه رائحة الدم أقل.

كنت أشاهد كيف تبكي الأشجار بصمت، كنت أشاهد بقايا الجثث الساكنة يعبر فوقها الهاربون جثثا متحركة، ثم تجوّلت في هدوء الليل في شوارع الرواية، وعرفت ماذا يعني أن يكونَ البيت خيمة أو يكون السّقف (زينكو)، وكيف لا تأبه بأن تُغلقَ باب البيت عليك، فلا شيء في الداخل سوى سعادة مؤجلة ودعوات للسّماء.

وهذا ما حصل مع والد أميرة، حينما عادت إليه، عادت أميرة بدموع طفولية تبكي على أم حفظت وجهها وابتسامتها، إلى دموع فقدٍ لأمّ زغردت لأول الولادة، وما زالت أميرة لا تدركُ ماهية الأماكن سوى احتياجها لكلمات الأم الدافئة في كل مساء. هل ستدرك أميرة يوما ما، بأن الأرض أمٌّ أخرى..؟ سألتُني، ثم أغلقتُ الرواية على سطرها الأخير.

وكتبت **انتصار عطية**

أميرة لغة : اسم علم مؤنث عربي مذكره أمير. وهي من ولدت في بيت الملك وأبوها ملك. ويسمون به بناتهم لتكون الآمرة الناهية في منزلها، تحببا بها.

آمره وحاكمة وملكة وذات أصل شريف...هذا الاسم يفتح أمامي تساؤلات كثيرة.

من هي أميرة ؟ وما علاقتها بأحداث الرواية؟ ومن هي تلك الحاكمة والآمرة والناهية ذات الأصل الشريف، ابنة الحسب والنسب؟

أهي المولود البكر لعبّاس طاهر المحمود لتكون أميرة قلبه؟

هذا ما تبادر لذهني عند قراءة الصفحات الأولى للرواية، فهي الطفلة الصغيرة التي أنجبتها سعدية، ذات الخصلات الذهبية التي تكاد تغازل خيوط الشمس اللامعة في جمالها وحسن محياها. هي تلك الطفلة التي نزلت على يد الداية كاترينا في ليلة من الليالي الجميلة التي عاشتها تلك العائلة الثرية، فرح الجميع بأميرة ابتداءً بوالدها وصولا إلى عمال السيد طاهر المحمود، فايز وسعيد حتى عوائلهما، ذبحت الذبائح ووزعت الهدايا، كوفئت القابلة " الداية " بليرة انجليزية ذهبية مطوقة مع سلسالها وبعض الجنيهات. عمّ الفرح جميع أرجاء هذا القصر الفاخر، باستثناء قلب خديجة جدّة الطفلة أميرة، وأمّ عباس فقد أصابتها غصة وانزوت في برندة غرفتها تداعب خرزات مسبحتها، فقد عكر عباس صفوها عندما أطلق على المولودة اسم أميرة، ولم يسمها على اسم جدتها خديجة، ظنا منها عدم محبة ابنها لها وأنَّ زوجتَه سعدية و أمها زليخة هما من حرضتاه على فعل هذا الأمر.

عمّ الفرح، أُقيمت الاحتفالات الكبيرة على شرف المولودة الجديدة، وتم دعوة الكثير من أهالي قرية بيت دجن اليافاوية، أما طاهر المحمود فقد دعا صديقه حنّا اندراوس المحامي وزوجته جورجيت، و صديقيه اسحاق مردخاي ويعقوب عوباديا تاجرا الحليب ....و إن دلَّ هذا على شيء إنما يدل على العلاقة الطيبة القائمة آنذاك بين العرب واليهود من سكان فلسطين في تلك الحقبة، اسمحو ا لي هنا ...إذن الشعب الفلسطيني تعايش مع

الديانات الأخرى وخاصة المسيحية واليهودية فلم تكن مشكلته اليهود أبدا كما يدعي أرباب الصهيونية باستمرار، فنحن كشعب له أرضه ووطنه ننبذ الصهيونية المقيتة بجميع مجالاتها ولا عداء لنا مع الديانة اليهودية، فقد عاش اليهود في كنف الدولة الإسلامية منذ عهد قديم وقد عوملوا بأحسن المعاملات دون اضطهادهم كما تدعي الصهيونية المقيتة.

إذن، من هي أميرة جميل السلحوت؟

تفتح أميرة نوافذ الماضي المشبع بشهقات وآلام هذه الأرض وما عليها من أناس وشجر وحجر حتى هوائها قد لُوِث، استجدى الخلاص ولكنه ما نالهُ، قبع يبكي ترياقه، لعله يرشده إلى قبس من نور، ولكن كف القدر كان له بالمرصاد.

هذه الرواية سلطت الضوء على أوضاع وهمّ الشعب الفلسطيني، الذي ما لبث أن تنفس من ظلم الأتراك إلى أن يقبع تحت نيْر احتلال همجي حقير مسميا نفسه " انتدابا" مخلّصا لهذا الشعب من الاضطهاد العثماني، ولا سيما المجاعة التي عاشها هذا الشعب في تلك الحقبة الزمنية العثمانية، وما عاناه من تخلف وفرض سياسة التتريك العثمانية واضطهاد مسيحيي البلاد ومسلميها، فعملت بريطانيا على فتح المدارس وإدخال التكنولوجيا إلى فلسطين بشتى أنواعها آنذاك.

ولكن هيهات ، هيهات ...فهناك مأربٌ استعماريٌّ دنيء ومؤامرة قد حيكت بليل ضد هذا الشعب المسالم، ابتداءً من معاهدة سايكس بيكو مرورا بوعد بلفور المشؤوم، وتسهيل الهجرات اليهودية إلى فلسطين، وتدريبهم على السلاح من قبل بريطانيا وتجريد أبناء الشعب الفلسطيني من أي سلاح يذكر، تسهيل بيع وشراء الأراضي و العقارات للصهاينة اليهود، تمليكهم الكثير منها عدوانا وقصرا، وذلك كله تمهيدا لإنشاء وطن قومي لليهود على أرض فلسطين، تحت شعار " إقامة وطن لشعب لا وطن له على أرض لا شعب لها " وهكذا سقطت فلسطين وهجّر أبناؤها واستشهد الكثير الكثير منهم، وذلك عند إعلان المندوب السامي البريطاني خروج بريطانيا من فلسطين في الخامس عشر من أيار سنة ألف وتسعمئةٍ وثمانٍ وأربعين ميلادية. لتدخل العصابات الصهيونية كما خطط لها وتفعل بأهل فلسطين

الأفاعيل ابتداءً من مجزرة دير ياسين وقرية الطنطورة والدوايمة وغيرها الكثير لبثِّ الرعب في قلوب سكانها كي يهربوا ويهجروها تاركين وراءهم كنزا عظيما ثمينا لبني صهيون ...و انتهاءً بنكبة ١٩٤٨ ميلادية ...وهكذا ضاعت البلاد.

لنكتشف الويلات تلوَ الويلات ، والتآمر العربي قبل الغربي على هذه البلاد وأهلها ..فما حيك قد أتمت حياكته بحنكة ودهاء ...ولازلنا نقبع تحت نير الاحتلال وهمجيته الغاشمة على أبناء هذه البلاد.

أما بالنسبة للعناصر الأدبية في هذه الرواية فنبدأ بالعنصر الأهم.

*الشخصيات: فالشخصيات تعددت وتنوعت، فطاهر المحمود وابنه عباس وزوجته خديجة وكنته سعدية، كانوا مترفي الحال يعيشون في القصور، وثراء فاحش وبيارات ومصنع للبلاط الذي كان محط أنظار اليهود الصهاينة والغنيمة التي لا تنال إلا بالغصب والعدوان، فقد رفض طاهر المحمود بيع المصنع أو شبر واحد من أرضه مع كل المغريات المادية، والاضطهاد الذي لحق به عندما رفض ذلك، فقد قبع ستة شهور إدارية دون سبب يذكر إلا أنه رفض التفريط بأرضه وعرضه.

شخصية أبي عباس من الشخصيات النامية في القصة، فقد تبدل حاله من الانتهازية والإقطاعية والقيام بالعلاقات غير الشرعية، و عدم حبه للسياسة وأهلها، و نظرته للثوار " نظرة رجعية " فإن انتصروا فالعز للجميع وإن استشهدوا فلهم الجنة ولنا الرياء والنفاق مع أصحاب المصالح من بريطانيين وغيرهم، فهو مع الواقف كما يقول. إلى شخصية مختلفة تماما بعد هول ما رأى في سجن عكا ...فقد تبدّل حاله وتاب لله وأعلن توبته لزوجته وإخلاصه لهذا البلد ...وكذلك زوجته فهي من الشخصيات النامية أيضا فمن الحب إلى الكره بسبب الخيانة والانتقام من الحياة والتنكيد والعبوس، ثم من الكره إلى الحب بعد أن أعلن طاهر المحمود توبته عن أفعاله المحرمة أمامها مخلصا لها وللوطن، حيث أصبحت العلاقة بينهما حميمة جدا ..ومن هنا يدل ذلك أن الزوجة لا ترفض زوجها إلا لذنب اقترفه بحقها.

عباس طاهر المحمود أيضا تبدل حاله ونمت شخصيته ليتعرف على الثورة وأهلها من خلال فايز العامل في البيارة، الثائر ..الذي يتحلى بكامل المروءة والرجولة، المتزوج من فاطمة وعنده عدد من الأولاد، فلم يتوانَ لحظة عن الالتحاق بمجموعة الجهاد المقدس بقيادة عبدالقادر الحسيني، ومحاربة قوات الانتداب، كما أنه رجل عصاميٌّ صامت ..يعمل بالخفاء لمساعدة الجميع دون انتظار مقابل من أحد ...تبدل حاله بعد النكبة ليصبح عاملا في وكالة الغوث الدولية ومساعدة اللاجئين في المخيمات الفلسطينية ....أما زوجته فهي مثال للزوجة العاقلة الرزينة، المرأة الفلسطينية الثائرة مع زوجها ...فقد زوجته صبحة زوجة الشهيد سعيد صديقه الذي كان يعمل معه في البيارة ليعيلها ويعيل أطفالها بعد ما فقدوا معيلهم ...ومن هنا يتبين لنا أن الهمّ الفلسطيني واحد ..وتآزر الشعب الفلسطيني مع بعضه البعض وتقديم المصلحة العامة على المصلحة الشخصية.

نعود إلى عباس الذي تشبَّع دروسا من صديقه الثائر فايز، فقد تبدل حاله ليساعد الثوار قدر المستطاع بالمال و شراء السلاح، وتحسسه لأخبار الثورة والثائرين ..ليفقد والده شهيدا في عام النكبة، ويحرم من ابنته أميرة التي هربت مع جدتها خديجة وصديق العائلة حنا اندراوس إلى لبنان بعد الهجوم البريطاني الصهيوني على حيفا وتشريد أهلها ...أما عباس فقد نزح مع زوجته سعدية وابنه محمد عيسى إلى الضفة الغربية ليستقر أخيرا في القدس بجوار المسجد الأقصى مع فايز ومجموعة من العوائل الفلسطينية المهجرة من قرية بيت دجن؛ لينتهي به الحال للعمل مدرسا للغة العربية في مدرسة تابعة للأوقاف الإسلامية.

أما زوجته سعدية فهي من الشخصيات الجامدة التي بقيت كما هي دونما تغيير يذكر.

حفلت الرواية بمجموعة كبيرة من الشخصيات الرئيسة والثانوية...كما ذكرت أسماء لشخصيات ثورية حقيقية مثل:

عبدالقادر الحسيني وأسماء الضباط البريطان أيضا، الشيخ ياسين البكري، مهيبة خورشيد، بهجت أبو غربية، احمد علي العيساوي، الشيخ عبدالفتاح المزرعاوي ...وغيرهم.

كما ذكرت بعض الأسماء اليهودية: اسحاق مردخاي..ويعقوب عوباديا وغيرهما أيضا

وشخصيات مسيحية منها: المحامي الذي يسكن وادي النسناس في حيفا حنّا اندراوس وزوجته الدكتورة جورجيت ذات الصوت الغنائي الجميل.

أما منصور حمدان فهو شخصية ثانوية في هذه الرواية، ولكن من خلاله سلط الكاتب الضوء على شريحة معينة من الشعب الفلسطيني، والعداوة الشخصية التي تؤدي إلى الانتقام بطريقة شرسة، فقد قاما ابنا عمّ منصور الحمدان بالوشاية عنه للثوار بحجة أنه عميل للبريطانيين، وذلك انتقاما منه ولسلب أرضه أيضا، حيث شكلت بهذا الخصوص محكمة ثورية للحكم عليه جزافا دون التثبت من الوشاية المتهم بها، وإطلاق الحكم مباشرة دون إعطاء فرصة حتى للتوبة والرجوع عن فعلته كما يزعمون، فحكم عليه بالرمي بالرصاص من قبل قاضي الثورة "الحاج محمد" اللامبالي من أحكامه الجائرة ...فهذه شريحة أخرى من الشعب.

اللغة: في الرواية سردية يتخللها الكثير من الحوار ...سهلة واضحة لا غموض فيها ..ذكر كثير من المصطلحات الفلسطينية الشائعة آنذاك وإلى يومنا الحاضر مثل الفاردة، الطابون، الحنتور والهودج الفلسطيني وغيرها.

تخلل الرواية تسليط الضوء على الأهازيج الشعبية الفلسطينية في مختلف المناسبات، فلكل مناسبة ترويدة وأهزوجة تناسبها ...فهناك الأغاني الشعبية للعروس وللعريس وإطلاق النساء الزغاريد تعبيرا عن فرحتهن ..وأهازيج الختان للذكور...إلى أهازيجٍ للطفل الذكر والمبالغة في تفضيل الصبيان على الإناث. .

ولكن...كان الأحرى بكاتبنا السلحوت عدم ذكر بعض المفردات والأهازيج الواردة بتفضيل الذكر على الأنثى، فلها مرادفات كثر لا تخدش الحياء من أمثالها.

وها الصبي صبوله

شو ما طلب حطوله

وإن طلب خبزة وزبدة قومي

يا أمه يا عبده

ويوم قالولي بنية انهدت الحيطة عليه

طعموني البيض بقشره يا

ميت ويل عليّه

ويوم قالولي غلام انسند قلبي وقام

وطعموني البيض امقشر مع زغاليل الحمام

فهذه المفردات أولى وأفضل مما ذكر في الرواية بخصوص هذا الموضوع، ولا سيما أنّ الموضوع يتحدث عن هم وطني ومصيبة جلل وتاريخ حافل، وإن أردت تدريسها أو إعطائها لسن مراهق حرج لا أستطيع أن أدعها في متناول الطلاب بسبب هذه المفردات ..ونحن سيدي الفاضل قد تعلمنا من رسولنا الكريم أن نتحاشى ألفاظ وعبارات تخدش حياء الفرد المسلم وهو خير معلم لنا.

الاهتمام بالأمثال الشعبية الفلسطينية ، التي تنسجم مع الوضع القائم آنذاك، مثل المكتوب على الجبين بتشوفه العين

راعي مالك من عيالك

النساء وديعة الأجاويد

اطعم الثم تستحي العين

والكثير الكثير من أمثالها

حفلت الرواية بالصور الفنية وجمال التصوير والتشخيص والحذق في تصوير المشهد المعاش

الواقعي ببراعة فائقة: على سبيل المثال لا الحصر بالنسبة لجمال التصوير

"أشعة الشمس تتهادى على سفح الجبل...الجبل يخلع رداءه الليلي من قمته... ينزلق الظلام هاربا من أشعة الشمس التي تطارده.

أما بالنسبة للحوار فقد حفلت الرواية بنوعيه

المونولوج " الحوار الداخلي للشخصية " وذلك عندما استغرقت سعدية بذكرياتها الجميلة قبل النكبة، وكذلك عباس وغيرهما من الشخصيات التي حاورت داخلها المكنون.

الديالوج " حوار الشخصيات مع بعضها البعض" وهو كثير جدا.

اتسم الحوار بالتسلسل والنمو ...واللغة الفصيحة وقليل من اللغة العامية الفلسطينية.

الأحداث متسلسلة نامية متدرجة من الأحسن إلى الأسوأ بسبب ما ألمّ بالمواطن الفلسطيني من تهجير وتشريد.

*المكان ، تعددت الأمكنة في الرواية، فمن بيت دجن إلى مدينة يافا، وادي النسناس في حيفا، حي العجمي بيافا، اللد، الرملة ...حيث ذكرت الكثير من المدن والبلدات الفلسطينية وأحياءها تقريبا...ولا سيما القدس وحاراتها و أبوابها.

ذكر مخيمات الشتات الفلسطيني

مخيم شتيلا في جنوب لبنان، مخيم الأمعري ، مخيم قلنديا في رام الله ، مخيم الوحدات في الأردن، مخيم جباليا في قطاع غزة.

*الزمن حسب ما ورد وفُهِمَ من الرواية وبالذات عند زواج سعدية وعباس، في عام ١٩٤٤ ميلادية، قبيل النكبة بأربع سنوات، وتنتهي الأحداث قبل عام النكسة ١٩٦٧ ميلادية ما بين ١٩٤٤___١٩٦٧ ميلادي

وأخيرا أستاذنا جميل السلحوت

لم أكن أعلم أنَّ أميرتك ستبكي مقل العين، وتجشم صدري ضيقا فوق ضيق، اختنق النفس في حَنجرتي، انسَّلت روحي مني، غابت وسرحت مع أميرتك هذه في دهاليز الأسى والحزن على وطن ضاع ويضيع، بسبب خنوع العرب والمسلمين ، لأننا نسينا ذواتنا ومن نحن، نسينا عراقتنا وأصالتنا وعروبتنا...غابت الروح في حكاية بلا نهاية ولا حتى بداية ..للحظات عادت الروح أدراجها لتصافح الحروفَ من جديد وتهيمُ معها عبر ماضٍ سحيق.

ولازلنا نندب حظنا ، ونبتهل أن يعود صلاح الدين وحقيقة كلنا صلاحا، إن صلح الحال، وتعاضد الكتف مع الكتف، ورصت الصفوف، عندها فقط سينهض صلاح ويتمترس في مقدمة الخيول والجيوش ليبزغ الفجر العتيق وتخرج الغزالة من وكرها وتضيء الطريق.

وكتبت **فاطمة حوامدة**

وعى الكاتب الفلسطيني الأهمية الكبيرة للمكان والزمان ودوره في العمل الروائي، وفي بناء الشخصية الروائية، وتأثيرهما في حياته، وفي حركة الأحداث. فانطلق في تعامله معهما من خصوصية الواقع الفلسطيني الحافل بالأحداث والتطورات والتحولات، فجسد ذلك برؤية فنية تتسم بالصدق والواقعية.

رواية أميرة تفتح نافذةً على الماضي الذي يتشح بالسواد والحسرة على وطن ضاعت ملامحه وأغتصبت هويته، وانتهكت حقوقه وسلبت أراضيه ومدنه وقراه وبياراته وبحره حتى تسمية شوارعه وازقته التي كانت عليها قبل نكبته ونكسته.

في هذه الرواية ثمة تركيز لا يخفى على عنصري المكان والزمان، إذ نلحظ ومنذ استهلال الرواية أن قرية بيت دجن في فلسطين المحتلة بوصفها الميدان المكاني للرواية، والمنطلق لكل شخصياتها... حيث أن المناطق التي أصبحت مهجرة الآن في فلسطين المحتلة هي مسرح الأحداث بل ان بيت دجن بالتحديد هي الحيز الذي تتحرك فيه الشخوص في الرواية.

وبما أن الزمان والمكان هي المكونات الأساسية للرواية فسأتحدث بايجاز عن البعدين التوأمين في رواية أميرة.

البعد المكاني: كان مسرح الأحداث الروائية في كثير من الأحيان يجري على أرض بيت دجن في فلسطين، وعن فلسطين عامة منذ ما قبل عام ١٩٤٨ م بمدنها وقراها وشوارعها وأحيائها وبيوتها ومينائها وبحرها. وأحيانا أخرى في مخيمات الضفة والقطاع، أو الشتات في ما بعد النكبة.

وقد حرص الروائي على تقديم شخصياته، وهي تتحرك في وسط اجتماعي معيّن، تبدو فيه خصوصية المكان والزمان. وعمل أثناء تشكيله للفضاء المكاني الذي ستجري فيه الأحداث، على أن يكون بناؤه منسجما مع مزاج وطبائع شخصياته، وأن لا يتضمن أية مفارقة، وذلك لأنّه من اللازم أنْ يكون هناك تأثير متبادل بين الشخصية والمكان الذي تعيش فيه، أو البيئة التي تحيط بها، بحيث يصبح بإمكان بنية الفضاء الروائي أن تكشف لنا عن الحالة الشعورية التي تعيشها الشخصية، بل وقد تساهم في التحولات الداخلية التي تطرأ عليها.

أما البعد الزماني للرواية فيتجلى في العناصر الروائية كاملة، وتظهر أثاره على ملامح الشخصيات وطباعها وسلوكها والاحداث الذي يسردها الكاتب والشخصيات التي جسدها في الرواية، كلها تتحرك في زمن محدد يقاس بالأيام والشهور والسنين، وقد تم عرض هذه الأحداث وفق تسلسل زمني منطقي طبيعي .. من قبل ١٩٤٨م وحتى بعد النكبة بخمسة أو ستة أعوام على الأقل.

لعب المكان دورا بارزا في الرواية التي ارتبطت بمراحل الصراع الصهيوني الفلسطيني والزمن الفلسطيني في صعوده وهبوطه ونكبته وشتاته وويلاته.

أبرز الكاتب أيضا طبيعة الحياة قبل النكبة في فلسطين من خلال حياة طاهر المحمود وترفه وبيته، والتي كانت محور الرواية التي تدور تفاصيلها في قصر طاهر وزوجته وابنه عباس وزوجته والخدم وزوجاتهم بشكل رئيسي.

حيث تناول التفاصيل بدقة متناهية، ووصف المكان بطريقة مفصلة ليتسنى للقارىء ان

يراها في مخيلته كأنها أمامه، وأنه يشاهدها بكل ماهي عليه بدءا بوصف القصر وشكله الهندسي المعماري وشرفاته المطلة على بيارات البرتقال والليمون، وحدائقه وبيوت الخدم التي لا تبعد بضع أمتار عن القصر وبواباته الرئيسية، وكل الزوايا والغرف والأثاث والأحداث التي دارت فيه من ترف وضيافة وكرم وولائم وحفلات ولقاءات وزيارات.

رواية أميرة هي رواية توثيقية أكثر منها عاطفية أو روحانية أو خيالية أو غير ذلك .. بل هي حكاية وطن بكل ماتحمله فلسطين من ويلات ومجازر وشتات وتهجير وعذاب وحسرة على ماض لن يعود.

حرص الكاتب على توثيق الأحداث بتواريخ حقيقية، ويظهر ذلك في أسماء المجاهدين وتواريخ استشهادهم، والمجازر والقرى التي قتلوا من فيها وهجروا من نجا من أهلها والمعاهدات التي تآمر على عقدها العالم أجمع تمهيدا لإقامة وطن جديد على أرض فلسطين.

كما ان الرواية تزخر بالعديد من الاشارات.. الإشارات الى بعض العادات والتقاليد والأهازيج والمهاهاة والتراويد الشعبية ومراسيم العرس الفلسطيني قبل النكبة وأشعار الفرقة والنواح على ما آلت اليه الظروف فيما بعد النكبة.

وإضافة جانب التراث الفلسطيني على بعض الشخصيات ليست بالصدفة العابرة عند الكاتب، بل هو تأكيد للطابع الشعبي لهذه الشخصيات، وترسيخ التراث الشعبي مع الجانب الثقافي الرسمي السائد في المجتمع الفلسطيني.

ومن الأمور المهمة التي يلحظها القارىء في رواية أميرة المكانة المقدسة والروحانية لمدينة القدس، حيث أخذت اهتماما بارزا في الرواية بوصف أسواقها وأزقتها وحاراتها وأسوارها، وبوابات المسجد الأقصى وساحاته، ومشهد المآذن والتحامها مع الكنائس في مشهد تهفو اليها الروح، كما وصفتها سعدية وهي تناظر المكان بعد عودتها من قلنديا الي القدس وهي تقف من أعلى سطح البيت التي سكنته في حارة الشرف.

وظهر ذلك بأهمية بالغة في أكثر من مرة في الأحداث التي تناولتها صفحات الرواية...

تحدث عن المسجد الأقصى في صفحة ٢١٣ وقال ان له رونق وبهاء قل مثيله .. القداسة ترخي أذيالها على المكان .. الفن المعماري الأصيل يشي بتاريخ مجيد .. اتساع الساحات والباحات متنفس للنساء والأطفال الذي أعياهم الحشر خلف الأبواب المغلقة... دخلوا المسجد العظيم من باب السلسلة والأطفال يتراكضون فرحين، يتهادى الندى على قبتي المسجد القبلي والصخرة المشرفة هاربا من أشعة الشمس .. النساء يمشين ببطء ودلال وكأنهن يردن التهام المكان.

صورة رائعة يجسدها الكاتب بناء على تأثره بالمكان ومدى تعلقه بالقدس التي ارتبط بها ارتباطا وثيقا، وربما كان قاصدا ان ينهي عندها مجريات الأحداث للشخوص في هذه الرواية.

رواية أميرة قد تأخذ منحنى أخر لدى القراء بعيدا عن النقد والبعد الفني وقد يُقيمها على النحو التالي .إذ نجح الناشر في اختيار لوحة الغلاف، تلك اللوحة الفنية للفنانة لطيفة يوسف بهذا الوجه العابس، الذي يعبر عن مضمون الكتاب بالكثير من البؤس والأسى لهذه السيدة التي تقطب حاجبيها تعبيرا عما تضمره في نفسها أو عما أصابها .. رغم أن الدحنون الأحمر بلغتنا العامية يعطي مسحة جمالية رغم العبوس الظاهر على ملامحها.

وإن نجح الناشر في إختيار لوحة الغلاف فان الكاتب أخفق في إختيار إسم الرواية، حيث أن إسم أميرة لم يتناسب مع ما تناولته الرواية من احداث وتطورات وتفاصيل... فهي ليست محور الحديث في الرواية حتى لو بدأت بها بالزغاريد لميلادها، وانتهت ايضا عندها بصرخاتها في هذه الرواية.

وأضيف أن الرواية افتقرت لعنصر التشويق وهو المحفز الأول للقارىء لمواصلة القراءة دون ملل .وربما اسلوب الكاتب في السرد يجعل القارىء يبتعد عن مساره في القراءة أو التركيز، فتأخذ منحنى مشتتا نوعا ما، وهو يتابع الأحداث فيجد نفسه متابعا لقصة اخرى كحكاية فرار المساجين الأربعة من سجنهم، وعودته الى تفاصيل الحكاية الأصلية بعد سرد مطول.

وتطرقه الى تفاصيل اخرى لا تقدم ولا تؤخر في مجريات الأحداث مما يزيد من عنصر الملل.

لكن بالمجمل لايمكن ان تُقَيّم الرواية على انها رواية غير جيدة، بل هي غنية بالمكونات الأساسية للرواية الفلسطينية التي تتجلى فيها مهمة التوثيق، واحياء ذاكرة الأمكنة التي يحاول الاحتلال طمسها وتهويدها.

هي قضية شعب وأرض هجر قسرا عنها أهلها، فهي تحمل قضية الوطن بأكمله، وان تبتعد كثيرا أو قليلاً\ عن المجرى الخطّي للسرد، لكنها تعود إلى الوراء لتسترجع أحداثا تكون قد حصلت في الماضي. أو على العكس من ذلك تقفز إلى الأمام لتستشرف ما هو آت، أو متوقّع من الأحداث. وفي كلتا الحالتين نكون إزاء مفارقة زمنية، توقف استرسال الحكي المتنامي، وتفسح المجال أمام نوع من الذهاب والإياب على محور السرد، انطلاقا من النقطة التي وصلتها القصّة. وهكذا فتارة نكون إزاء سرد استذكاري... وتارة أخرى نكون إزاء سرد استشرافي.

أمّا **دعاء عليان** فقد كتبت:

لدى سماعي لاسم الرواية "أميرة" للكاتب جميل السلحوت لأول مرة، أصبت بحالة من الفضول لقراءتها من أجل معرفة أميرة. أردت أن أعرف أأميرة قصر هي أم أميرة قلب؟

"أميرة" هي العمل الأول الذي أقرؤه للكاتب جميل السلحوت، وأظنه لن يكون الأخير. فلقد وجدت في الرواية من بساطة السرد ودقة الوصف إجمالا ما لفت انتباهي وجذبني إليها، جاعلا إياها رفيقتي صباح مساء، لأتم قراءتها متعمقة في تفاصيل "أميرة" ومكتشفة لماهيتها. ذلك أنني أفضل من الكلام أبسطه، ومن الأسلوب سهله الممتنع، ولقد وجدت هذا في بعض التشبيهات والصور الفنية التي استخدمها الكاتب في روايته.

افتتحت الرواية بوصف جميل لميلاد أميرة ابنة عباس ابن طاهر المحمود. أميرة، الابنة الكبرى لعباس، تخيلتها أنا، وإن لم أكن حظيت بما حظيت به من حسن الاستقبال وعظيم الاحتفال. فإن كانت أميرة أميرة قلب والديها ، فأنا - الابنة الكبرى لعائلتي- أميرتها

أيضا. ولا أخفيكم هنا أنني لم أستطع منع الدمعة من القفز من بين أهدابي أثناء قراءتي للجزء المتعلق بميلاد أميرة.

جاءت أميرة إلى الدنيا، رسمت البسمة على الشفاه، وأعطت للحياة معنى في ذلك القصر الجامد الذي احتضنها إلى جانب والديها وجدّيها. ثم مرّت الأيام، وفارقت أميرة القصر لتعيش حياة ما اعتادت عليها يوما. حيث شاء لها القدر أن تكون بعيدة عن والديها، كما الطير مكسور الجناح وإن وَجد من يحتضنه. ودارت الأيام لتعود أميرة إلى حضن والدها الذي سينقلها إلى حيث كانت، أقصد إلى حيث فُرض عليها أن تكون. وبين هذا وذاك، تدور أحداث الرواية. ولا ننسى أن أميرة غادرت طفلة وعادت طفلة، أي أن كل ما جرى وأصاب شعبها وغير حياتها وحياة أهلها، كان خلال مدة زمنية قليلة. وصدق من قال: "دوام الحال من المحال".

لقد رأيت في "أميرة" حكاية شعب ووطن، ومرآة للحياة الاجتماعية والسياسية في فلسطين خلال حقبة تاريخية مفصلية. وفيما يلي، سأتطرق بإيجاز إلى بعض الأمور المتعلقة بهذه الجوانب.

أولا: الناحية السياسية

لا يخفى على قارئ الرواية أنها حافلة بالعديد من الأحداث السياسية التي مرّت على الشعب الفلسطيني، بعضها ذُكر بشيء من التفصيل، وبعضها الاخر أشير إليه إشارة عابرة تحمل بين طياتها الأمل والألم. ولكن ما يجمع الشيئين هو إعطاء القارئ الفرصة ليتذكر أنه كان له وطن ينتقل فيه المواطن من يافا إلى القدس، ومن الشرق إلى الغرب ومن الشمال إلى الجنوب دون قيود أو حدود.

فلو أخذنا قصر أبي عباس كمثال ، نجد أن الكاتب وصفه بدقة وذكر أن مقتنياته وصخوره وأثاثه أحضرت من مناطق مختلفة، منها بيت جالا وسفوح جبل الكرمل الغربية والشام والقاهرة وبلاد فارس وغيرها. هنا تتجسد الوحدة والروح العربية في حيز مكاني صغير

مهما كبر . وينبعث في النفس شيء من الحنين لشيء لم نعشه نحن أبناء هذا الجيل، لكننا طالما وددنا لو شعرنا به. ولتخيل شعور ذاك الذي يعيش في قصر كل شيء فيه أحضر من بقعة من وطنه، تذكر نفسك عزيزي القارئ وأنت تستمتع بصدفات بحرية جئت بها من بحر يافا أو شاطئ عكا بعد رحلة من العذاب.

وتاريخ الشعب الفلسطيني وتأريخه للأحداث الشخصية بات إلى حد مات مرتبطا بالأحداث السياسية. فانظروا معي عندما سأل المأذون عن عمر سعدية يوم زفافها، قال والدها : (عندما أعدم الإنجليز الشهداء الثلاثة محمد جمجوم وعطا الزير وفؤاد حجازي، كان عمرها ثلاثة أيام." ومن الأحداث التي ذكرها الكاتب في روايته أيضا هي المواجهات التي دارت في الثاني من شهر تشرين الثاني لعام ١٩٤٥ في ذكرى وعد بلفور. وكذلك الأسلوب القذر التي كان يُتبع في التحقيق مع الفلسطينيين من أجل استفزازهم وإجبارهم على الادلاء باعترافاتهم أو التنازل عن ممتلكاتهم. إضافة إلى الإشارة إلى مذابح دير ياسين والطنطورة واستشهاد عبد القادر الحسيني وغيرها، ووصف المذابح الإسرائيلية وحال الفلسطينيين بعد التهجير من قراهم.

وكذلك تعرض الكاتب إلى دور المرأة في النضال الفلسطيني. فعلى سبيل المثال، سعدية – زوجة عباس – هي من اقترحت عليه المشاركة في النضال وشجعته على ذلك لتكون سببا من أسباب التغير المفصلي في شخصيته، وليقول لاحقا لقاسم بينما كانا في ساحات الأقصى:"لن أكون إلا شجرة زيتون في هذا الوطن".

وأشار الكاتب أيضا إلى المرأة الفلسطينية القيادية مثل السيدة مهيبة خورشيد من جمعية زهرة الأقحوان بيافا ودورها – كما غيرها– في مسيرة النضال الفلسطيني وجمع التبرعات ونحوها.

وتجسد دور المرأة المناضلة أيضا في مساعدة الجرحى والمطاردين، كما فعلت إحداهن في مساعدة مصطفى عندما خلعت غطاء رأسها وأعطته إياه لتضميد جراحه. وكذلك لا ننسى والدة مختار قرية دير الأسد وحنينها على مصطفى، حيث كانت بمثابة أمّه التي لم تلده.

ويعتبر اقتراح زوجة فايز بتزويجه لأرملة الشهيد سعيد مثالا على تضحية المرأة الفلسطينية واتساع مداركها وعمق تفكيرها. ويبقى السؤال: هل تركت لنا هذه المرأة من يشبهها بهذا التفكير؟

ويرتبط بقسوة الوضع السياسي آنذاك ، وعلى الطرف الآخر من المعادلة، ما يسمى بالحسّ الوطني والذكاء الحربي، وهما مرتبطان إلى حد كبير بالتكافل الاجتماعي والحنكة السياسية التي بموجبها يرفض الفلسطيني السماح لعدوه بالنيل منه. ذاك الحسّ الذي يوازن المعادلة ليدب الأمل في أرواح الفلسطينيين وقلوبهم. ولنأخذ إنكار معرفة الشهداء كمثال. فرغم صعوبة الموقف، أي أن يمر أحدهم على سبيل المثال بأحد أقاربه أو أصدقائه شهيدا ملطخا بدمائه وينكر معرفته له، فذلك والله شيء عظيم، وموقف ينتصر فيه العقل على العاطفة. ومن أمثلة ذلك في الرواية إنكار طاهر المحمود معرفة أي من الشهداء الذين أُحضر للتعرف عليهم رغم أن صهره كان من بينهم.

والعدو الجاهل يظن نفسه ذكيا. حيث نراه في الرواية يتعمد إلى إحضار النساء للتعرف على الجثث ظنا منه أنهن الأضعف، ولكنه ما درى أن نساء فلسطين الذكيات الصابرات الصامدات أذكى من ذلك. حيث كان من ذكائهن تعمدهن عدم النظر إلى تلك الجثث مباشرة، إضافة إلى التحلي بالصبر والإيمان، سلاحهن القوي المتوارث عبر الأجيال.

وللوحدة الوطنية أيضا حضورها القوي حيث يتطلب الأمر. فالكاتب يذكر لنا كيف أنه في إضراب ١٩٣٦، " اتفق أعيان المدن وقرروا خلع الطرابيش واعتمار الكوفيات كي لا يميز العسكر ابن القرية من ابن المدينة".

ويثير الكاتب تساؤلا منطقيا على لسان عباس حين قال: " فهل سعادتنا على حساب دماء الاخرين؟"

فلو نظرنا إلى واقعنا الذي نعيشه، للاحظنا أن التاريخ يعيد نفسه. فهناك دوما في حركات التحرر الوطنية في كل أرجاء العالم من يركنون إلى فئة معينة؛ لتولي مهمة النضال بينما

يجلسون هم – أصحاب المناصب المختلفة– يرقبون الوضع من بعيد متعطشين للحرية والثراء الذين يضمنان لهما السعادة والبقاء.

وعادة ما يكون أولئك المتكاسلون من أبناء الطبقة الثرية الذين يخشون على مصالحهم وأموالهم، فيسقطون في مستنقع الفساد بأشكاله، والذي أكثره عمقا وقذارة هو السياسي.

وللعملاء حكاية أخرى. حيث يتضح من خلال الرواية كيف ساهموا في اغتيال بعض الشخصيات، وكيف أنهم –وإن ارتدوا قناع البراءة طويلا–سيكشفون وتبان وجوههم الحقيقية، وستكون خاتمتهم سيئة. حينها سيخسرون كل شيء.

ومما ذُكر في الرواية أيضا من واقعنا السياسي، ومن القديم المتجدد، هو ظاهرة بيع الأراضي لليهود. وما عائلة سرسق في الرواية إلا مثال على ذلك. وها هو الحال يتكرر في سلوان بالقدس هذه الأيام وإن اختلف الزمان والمكان والأشخاص.

ولقد كان لنشيد الحماس الوطني الدور الكبير في بث الروح المعنوية في نفوس الفلسطينيين ومساعدتهم على التغلب على قسوة أوضاعهم التي يعيشون. ذاك النشيد الذي ما كان ليرى النور لولا ما عاشه أبناء شعبنا من ويلات وما قاسوه من نكبات. فكان هذا الشعر والنشيد سلاحا معنويا من أسلحة الروح في حربها ضد الظلم.وما" يا ظلام السجن خيّم" إلا مثال من بين عشرات الأمثلة على ذلك.

والقدس الجريحة حالها كما هو. فعندما ذهب عباس وفايز لاستكشاف القدس وأحيائها وشوارعها بعد أن هجروا إليها، وجدوها تئن وتبكي رغم شموخها اللامحدود. وما حصارها اليوم بمختلف عما كان يومها إلا قليلا.

ومما تجدر الإشارة إليه أن أحد الشخصيات الثانوية في الرواية والتي ذكرت في جزء بسيط منها، ألا وهي شخصية " أبو طارق العيساوي" لفتت انتباهي للوهلة الأولى. حيث أنني كفلسطينية شابة عاصرت اعتقال البطل سامر العيساوي ونضاله الطويل في سبيل حريته، بت أنجذب لكل ما يتعلق بعائلته من تفاصيل؛ لأن ثمة شيء حدثني أن لهذه العائلة حتما

مسيرة نضال طويلة. وبعد سؤال الكاتب عن الشخصية أجاء ذكرها محض صدفة أم أن أنه فعلا جد سامر العيساوي؟ أكد لي الكاتب الأستاذ جميل السلحوت أن المذكور هو أحمد علي العيساوي، وهو جد سامر العيساوي.

ثانيا:الناحية الاجتماعية

ربما يكون الجانب الاجتماعي في الرواية أحد أهم عوامل الجذب التي شدتني إلى الرواية. ففي "أميرة" وجدت البساطة الاجتماعية والعفوية والجمال الذي نحنّ إليه في أيامنا هذه. وفي هذا القسم، سأعرض سريعا بعضا من الجوانب الاجتماعية في الرواية.

بداية، كانت "الداية" تمثل جزءا مهما من النسيج الاجتماعي الفلسطيني باعتبارها قادرة على دخول بيوت الناس من كافة الطبقات، وعلى يديها ولد الكثيرون، الآباء وأبناؤهم أحيانا. ولأنها كذلك، لأنها بعد إذن الله ومشيئته سبب في بعث الحياة في بيوت طالما اتسمت بالهدوء، وجب تقديرها وإكرامها، كما يتضح من إكرام عائلة المحمود لكاترينا.

على يدي كاترينا جاءت أميرة لتعطي الحياة معنى مختلفا، ولتضيء ذلك القصر الذي كان فاتحا ذراعيه لمولود عباس الجديد.

ما لفت انتباهي وأثار تساؤلاتي هنا هو حجم الاحتفال الذي حظيت به أميرة لدى قدومها. ففي مجتمعنا الفلسطيني عادة ما ترغب العائلة بأن يكون أطفالها من الذكور، خاصة حين يكون المولود الأول للابن الوحيد كما هو الحال مع عباس. ولكننا في الرواية نجد أن عباس وأباه رحبّا بأميرتهما أجمل ترحيب، وأقاما لأجلها الاحتفالات والفعاليات. وكأنهما كانا يشعران بما ستعانيه. أما سعدية والتي وضعت مولودتها للتوّ، فقد تمنت لو أنّها أنجبت ذكرا، فقط لتتجنب ما ستسمعه من هنا وهناك، وكأن الأمر بيدها! وحماة سعدية "أم عباس" لم يرق لها عدم تسمية حفيدتها باسمها، وهذه عادة اجتماعية لا تزال قائمة في بعض قرانا حتى اليوم.

أبو عباس بدا رجلا عاقلا متفهما عند ولادة حفيدته. وقال " "البيوت بدون أطفال تكون

خرابا". هذه الفلسفة التي راقت لي تعكس جانبا اجتماعيا مهما، ألا وهو الحاجة الدائمة إلى وجود من يبث الحياة في أرجاء البيت، ولن يكون غير طفل أو طفلة.

ولأن أبا عباس رجل عقلاني كما يبدو، فقد تجرأ العامل سعيد ودعا له بأن يعمّر بيته بالصبايا والبنات. الجميل حقا ومجددا هو ترحيب المدعو له بالدعاء.

ومن المواقف الاجتماعية التي اتضحت لدى ميلاد أميرة نظرة الأمّ إلى حماة ابنها، حيث أن أمّ عباس ظنت ظن السوء في أم سعدية، وظنتها سبب منع عباس من تسمية ابنته باسم أمّه. وهذه المواقف المرتبطة بـ "كيد النساء" لا تزال حاضرة في حياتنا وظاهرة للعيان، وإن لم تكن تمثل الحالة السائدة.

وللاحتفالات الفلسطينية خاصة في مواسم الأعراس وطهور الصبيان طقوسها المميزة، والتي تتجلى واضحة في الأغاني الشعبية الفلسطينية و"المهاهاة" في مواسم الأفراح. وقد أورد الكاتب غير قليل منها في سياقات مختلفة.

والمهاهاة، هي ذلك الجزء الذي يتحول إلى الجزء الأبرز في الأعراس، وذلك حين تهاهي أمّ العروس لابنتها يوم زفافها، فترد أمّ العريس بمهاهاة لابنها مستبدلة اسم زوجته باسمه، أو العكس. وأنا من الأشخاص الذين يحبون هذه الفقرة لأنني أستطيع من خلالها قراءة الكثير عن الطرفين من ناحية، وأستمتع بكلماتها من ناحية أخرى.

ومن العادات الاجتماعية التي أشار إليها الكاتب في روايته هي طلب العروس لعريسها عند ميلادها، كما حصل مع أميرة. صحيح أننا لا ندري هل زفت أميرة أم لا؟ هل وصلت بلدها بسلام أم لا؟ وإن زفت فإلى أيّ الرجال زفت ومتى، ولكننا ندرك جيدا أن هذه العادة الاجتماعية ظلت قائمة إلى زمن غير بعيد في بلادنا.

وكذلك أشار الكاتب إلى عادة طلب يد الأرملة إلى شقيق زوجها. فنبيهة مرت بهذه التجربة، حيث ألقى حموها عباءته عليها في إشارة بأنه يطلب يدها لشقيق زوجها الشهيد بعد انتهاء فترة العدة الشرعية.

ولسحر الأطفال وتأثيرهم على آبائهم حضوره في الرواية. حيث استطاعت أميرة أن تعيد البسمة لوجه أبيها لحظة انفعال وغضب بعد أن سمع من فايز كلام أهل القرية عن أبيه. فيا ربّ لا تحرم أحدا نعمة الأطفال.

وأورد الكاتب كذلك تفاصيل تتعلق بالتغير الذي يحدث في الأسرة عند قدوم المولود الثاني واصفا "العدائية" التي يحملها الطفل الأول للثاني. فغيرة أميرة من شقيقها "محمد عيسى" كادت أن تودي بحياته عندما حاولت خنقه.

أمّا بعد الهجرة القسرية لشعبنا، وبعد أن تفرق أبناء الأسرة الواحدة في بلدان مختلفة، فقد اتخذ التواصل بينهم شكلا آخر يتمثل في استخدام المذياع لإيصال رسائل تسمعها أذن الآلاف لتنقلها إلى أصحابها. ما أصعبه من موقف! وما أجمله حين يخترق أذنيك صوت من تحبهم وتشتاقه!

ثالثا:الأمثال الشعبية الفلسطينية

استخدم الكاتب في روايته غير قليل من الأمثال الشعبية الفلسطينية التي ساهمت في تعميق الفكرة أحيانا، وتوضيحها أحيانا أخرى. وفيما يلي أذكر ما ورد من أمثال، آملة بأن لا يكون قد فاتني منها شيء، فلكل منها دلالته وأهميته في السياق الذي قيلت فيه. وما ذكرها هنا إلا لتبقى حاضرة في أدمغتنا التي أثقلتها التكنولوجيا و"الأمثال" المرافقة لها.

طب الجرة على ثمها بتطلع البنت لأمها

ما أغلى من الإبن إلا ابن الإبن

فلانة ما بتخلي مركب ساير

ولاد الحرام ما خلوا لاولاد الحلال مطرح

الموت مع الجماعة فرج

السكوت علامة الرضا

اللي ايده في النار مش مثل اللي يتدفا عليها

الكف ما بناطح المخرز

لكل بيت مزبلة

ذنب الكلب أعوج

ابعد تحلى

العين بصيرة واليد قصيرة

عشان عين تكرم مرج عيون

اللي استحوا ماتوا

نومي غُزلاني

قطعت جهيزة قول كل خطيب

اطعم الفم تستحي العين

خذ فالها من أطفالها

اللي يتزوج أمي هو عمي

موت الفقير وتعريس الغني ما حدا يتكلم فيهن

أجت الحزينة تفرح ما لقت لها مطرح

المكتوب على الجبين تشوفه العين

بيت السبع لا يخلو من العظام

كالذي يقتل القتيل ويمشي في جنازته

الدم ما بصير ميه

ياما تحت السواهي دواهي

إذا راحت الدار فلا أسف على الخبايا

رابعا: لحظات مؤثرة

لا تخلو الرواية بطبيعة الحال من بعض اللحظات والتشبيهات والأسماء المؤثرة إنسانيا وعاطفيا واجتماعيا. ومنها على سبيل المثال لا الحصر:

- "لفحته رائحة البرتقال فانتعش قليلا"

لقد أثر فيّ هذا الوصف أشد التأثير. فلقد خلت برتقال يافا متدليا أمامي ورائحته تعطر المكان، فانتعشت روحي حد الإدمان.

"تبخترت السحوب على رمال الشاطئ كما العروس"

هنا تمشي العراقة بثقة وكبرياء. ما أجمله من وصف!

لا تستغربوا! محلات أبو العافية في يافا

فلقد كنت في زيارة إلى يافا في منتصف أيار الماضي. وتناولت وجبة غدائي في محلات أبو العافية. حينها قال لي بعضهم: "السمك لذيذ. ليتك تناولته بدلا من تلك الوجبة السريعة." فقلت : "لا أحب السمك".

ولمن لا يعرف محلات أبو العافية، فهي ذات بناء قديم تفوح منه رائحة الأصالة. تعمل فيه عائلة عربية تتكلم العبرية حيث يقتضي الأمر. وإنني أؤكد أن تناول وجبة هناك أمر لا

ينسى.

"يمّة يا أميرة"

دمعة أخرى انهالت على خدي عندما قرأت هذه العبارة. فسعدية تسمع أخبار ابنتها من ذاك المذياع، وبينهما مسافات. ما أصعبه من موقف! وما أدقه من وصف!

ومما أثر في أيضا هو لقاء سعدية بأمّها في ساحات الأقصى من بعد طول غياب..

وددت للحظة لو أن لـ "أميرة" نهاية أخرى أراها فيها، لكنني بعد قليل من التفكير وجدت أن هذه النهاية المفتوحة هي الأفضل. ولنرسم ما شئنا من نهايات لما بعد عودتها.

وفي لقاء مكتبة بلدية طولكرم الثقافي الذي تشرف عليه الناشطة أسمهان عزوني، يوم ٢٩-١٢-٢٠١٤، جرى نقاش حول رواية "أميرة"، شارك فيه عدد من الحضور، وبدأ النقاش:

الطالبة **شهد محمد** فقالت:

الرواية مزيج من تراكيب الحياة المختلفة بما فيها الفرح، الترف، الخذلان، التوبة، الوجع، التشرد، الألم، الحسرة.

بدأ الكاتب استخدام لغة بسيطةلا تعقيد فيها، ومعاني سهلة، وكانت قادرة على التعبير بطريقة استثنائية في وصف الأحداث، وطغى على الرواية عنصر التشويق، من مطلع صفحتها الأولى حتى الاخيرة.. تم وصف الأحداث بدقة متناهية، جعلت القارئ يتعرف على شخصيات الرواية، ويتخيلها بل ويعايشها، وعنصر المفاجأة وجد في كل صفحة -تقريبا- كما وجد عنصر المصادفة المعقولة، شخصيات الرواية واقعية بعيدة عن أي مبالغة.

ما لفت انتباهي حقا في الرواية هي الأهازيج والأغاني الشعبية، التي هي جزء أصيل من موروثنا الشعبي، وما يمثله في حفظ وبناء وترسيخ هويتنا الوطنية.

وكذلك اختيار اسم "محمد عيسى" بن عباس والذي يرمز الى التآخي بين مسلمي ومسيحيي

بلادنا، وهذه قضية مهمة في بناء نسيجنا الاجتماعي والحضاري.

وقد أوجعتني فقرة النهاية حيث لم تصدق الطفلة أميرة أن لها والدين غير حنا وجورجيت،

وفي النهاية أقول للكاتب: شكرا لانك فلسطيني، وأجدت العزف على أوجاعنا بدقة.

وقالت **سوسن نجيب عبد الحليم**:

جميل السلحوت جوهرة وطنية ثمينة... وفكر خصب مستنير

شاء لي ان أحضر مناقشة رواية "أميرة" الصادرة ام ٢٠١٤ عن دار الجندي للنشر والتوزيع في القدس، لشيخ الكتاب الفلسطينيين جميل السلحوت في مكتبة بلدية طولكرم بتنسيق من المربية الفاضلة اسمهان عزوني .. كم كان كاتبنا رائعا ومتواضعا حين تحدث بإسهاب عن تجربته الناجحة بالكتابة، رغم ظروفه الصعبة التي عاشها منذ ولادته في القدس في عصر مضطرب أشد الاضطراب، سياسيا واجتماعيا واقتصاديا وعقائديا. فقد تشربت روحه بجمال ذاك المكان الساحر، وتفتحت مشاعره ونمت ملكات الأدب لديه، وتهيأت له عوامل التفوق بسبب حبه للعلم والأدب.

روايته "أميرة" التي تحكي قصة شعب لاقت اعجاب واستحسان كثير من القراء الكرميين. وأثار فينا حب الوطن، وأعاد الى أذهاننا حب الفداء ليستجيب لها نبض الدماء. رواية تحكي قصة واقع أليم عشناه ونعيشه، ولا زالت أحداثة تتوالى، وكأنه مسلسل وجع وألم شعب سرقت منه أرضه بعد ان بنوا مجدا... ليمنحوها لشعب بلا أرض، وقد كانت فلسطين ملجأً على مر السنين لكل من ظُلم.

قرأنا تاريخ القضية الفلسطينية فكنا شاهدين على الأصالة التي تمتع بها شعبنا على مرّ السنين، عاداتنا وتقاليدنا، تراثنا، فرحنا وألمنا والظلم الذي وقع علينا . فقد تقطعت أواصرنا في الشتات، لململمنا وجررنا خيباتنا وقلوبنا تعزف لحن الفداء. بعد ان كانت لنا قصور هنا، أبدلوها " بالمخيّمات الفلسطينيّة للاجئين " هناك !. شعرنا في القلب جرح يريد العتاب بعد

أن دُنست أرضي بخمر الأغراب... تحدث عن وجع الشتات والتغريب و الحياة الاجتماعية في قرية بيت دجن وفي يافا والقدس قبل عام ١٩٤٨، حياة الأغنياء وكذلك الفقراء، وتقطع أواصر الدّم والنّسب خلال النكبة، وما بعد النكبة، وما تركته طبيعة العلاقات بين الإنسان الفلسطيني والصهيوني... تنقل الكاتب بنا في جولة في ربوع الوطن، تجولنا معه في شوارع القدس العتيقة نتصفح قصص أجدادنا التي باتت منسية، ثم نشمّ رائحة السنين وعبق البيارات في بيت دجن، وقصص العشق الأزلية في أزقة يافا. وسمعنا صرخات الثوار من داخل سجون الإنتداب البريطاني، ورفض الشعب لقرار التقسيم (١٨١) الذي اعطى الصهاينة أرض بلا شعب-حسب زعمهم-

نساء فلسطين كان لهن نصيب في رواية الكاتب، حيث أبرز دورهن القوي رغم ما يعانيه مجتمعنا الذكوري من تمييز ضدّ المرأة . فقد كانت ولا زالت المرأة الفلسطينية تواصل مسيرتها النضالية عبر جميع اشكال العمل الوطني. فباعت ما تمتلكه من مصاغ لتأمين البندقية، وقامت بدورها في تأمين المعدات والسلاح والغذاء والمعلومات. واحتلت الأهازيج التراثية مساحة في القلوب، حيث اضفت للرواية مزيدا من الثراء والعمق التاريخي.

أحداث الرواية واقعية، تتجدد كلما مرّت السنون؛ لأن الإحتلال ما زال جاثما على ارض الوط، ولا زال يسيطر على اجزاء من الأرض ويوسّع احتلالاته في كل مكان. رواية " اميرة " كانت عبارة عن صور حية عشناها ونعيشها، وهي واقعية وان كتبها وصاغها الكاتب بأسلوبه الأدبي الرائع فهي واقعنا، شعرنا بكل حرف كتب بالرواية فلامست قلوبنا ونبضت بالعاطفة لأرض حرمنا منها، ومزقها الحقد والتطهير العرقي..

حلمنا بالعودة ، وتمنينا أن نعود الى أرض الوطن، كما عادت أميرة لوالديها، ولسان حالنا يقول متى سنتجاوز الصمت لنُسكت الحنين؟ ومتى نكتب إنا وجدنا وطنا في زحمة تشتتنا واغترابنا؟

وكتبت **وفاء بياري:**

رواية (أميرة) والاستفادة من التاريخ

رواية أميرة...أميرة القلب فلسطين الحبيبة التي تحدث الكاتب فيها بابداع وتميز ..عن قضية شعب بأكمله ...له تاريخه وحضارته المتميزة....وعراقة وأصالة تراثه...عاداته وتقاليده... طموحاته وأحلامه...حيث لم يترك جانب إلا وتحدث عنه بأسلوب أدبي مشوّق..بجذب القارئ لقراءة متواصلة...وأكثر ما لفت انتباهي في الروايه هو ابداع الكاتب في تمريره للمعلومات التاريخية من خلال قالب روائي ممتع، بعيدا كلّ البعد عن الشعور بالملل.

ركز الكاتب في روايته على مواضيع عديدة تمحورت (حول جانب من تاريخ نكبة فلسطين عام ١٩٤٨) مستعرضا جوانب من تاريخ بلادنا من أيام حكم الدولة العثمانية..مرورا باتفاقية سايكس بيكو ١٩١٦ومرحلة الانتد اب البريطاني الذي مهد لاقامة وطن قومي لليهود، من خلال قراره الغاشم (وعد بلفور ١٩١٧)وقيامه بتسهيل وتشجيع الهجرات اليهودية عبر البحر الى بلادنا...وبدعم من دول الغرب الاستعمارية...وامريكا...وما نتج عن ذلك من ردة فعل من قبل شعبنا وخصوصا رجال الثورة....حيث أظهرت الرواية صورة مشرقة ومشرَفة لمرحلة جديدة من النضال الفلسطيني ضد الوجودين البريطاني واليهودي...والذي أسفر عنه وقوع العديد من الثورات الوطنية الشعبية..ومن ثم معارك ومجازر وحشية تعرض لها شعبنا الفلسطيني...أدّت نتائجها الى قرار التقسيم الصادر عن الجمعية العامة للأمم المتحدة...ومن بعدها وقوع الكارثة الكبرى...النكبة التي نتج عنها انتهاك الأرض وتشرّد الشعب، وما ألمّ به من تيه وضياع..فقر وجوع..وجع وهم.. لوعة وفقدان..غربة وتشتت.

تتحدث الرواية أيضا عن شخصيات تمثل شرائح اجتماعية متفاوتة متأثرة برواسب الحكم العثماني في ذلك الوقت...تمثلت بطبقة الاقطاعيين...والفلاحين والعمال..والمثقفين.

برز في الرواية(دور مهم للمرأة في النضال)...من خلال تشجيع (سعدية) لزوجها (

عباس) لشراء الأسلحة ... ودور (مهيبة خورشيد) رئيسة جمعية الأقحوان في نشر الوعي بين النساء للمشاركة في الثورة، كما ورد في الرواية أسماء شخصيات حقيقية من أمثال الشيخ عز الدين القسام، عبد القادر الحسيني، بهجت أبو غربية، الشيخ ياسين البكري، الشيخ عبد الفتاح المزرعاوي، أحمد علي العيساوي و غيرهم من ابطال فلسطين.
تحدث الكاتب في روايته عن موضوع التمييز بين حب الأهل للذكور وتفضيلهم على الأناث مثل تفضيل (محمد عيسى ابن عباس) على شقسقته الصغيرة "أميرة" التي شعرت بدونيتها محاولة ببراءة وغيرة طفولية قتل أخيها المولود حديثا، كما تحدث عن عادات اكرام الضيف ... وعادات طلب يد بنت العم الطفلة الى ابن العم المولود حديثا.

في بداية الرواية عاد بنا الكاتب الى ذلك الزمن الجميل... والأيام الخوالي متمثلة ببساطة الحياة و العلاقات الطيبة وترابط الأسر، ومتانة النسيج الأجتماعي في ذلك الوقت.

أمتعنا الكاتب في ابداعه في جمال وروعة وصفه لمنزل (طاهر المحمود) وسط البيارات والحدائق الغناء، ووصفه المبدع للبلدة القديمة للقدس حيث باب العامود وسوق باب خان الزيت وسوق العطارين وغيرها... والمسجد الأقصى وكنيسة القيامة كما امتعنا بتلك الأهازيج التراثية ... والحكم والأمثال الشعبية والقصائد الوطنية... كما ان الرواية أيضا لم تخلُ من النصوص الدينية التي تؤكد دائما على قدسية أرض بيت المقدس وأكنافها.

في آخر الرواية يظهر مدى اصرار الشعب الفلسطيني على الأستمرار في الحياة و حبه و تشبثه بها... بالرغم من عمق الجراح والآلام التي حلّت ولا تزال تحل به .. إلا أنه بقوة ارادته يلملم جراحه دائما، ليعود مرة اخرى ليقوى على الحياة بقوّة وعزم وارادة،

وكتب **الدكتور عادل الأسطة:**

الكاتب جميل السلحوت و... فن الرواية

وأنا أشرف على رسالة ماجستير عن رواية القدس في القرن الحادي والعشرين لفت عدد الروايات التي كتبها الكاتب جميل السلحوت نظري، وما لفت نظري أكثر هو كثرة أبناء

المدينة الذين كتبوا عنها في بداية هذا القرن، من ديمة السمان إلى عزام أبو السعود صاحب ثلاثية "صبري" و"سوق العطارين" و"حمام العين"، وليس انتهاء بمحمود شقير وجميل السلحوت. وللأخير، كما ورد في كتبه في آخر صفحات روايته "أميرة" (دار الجندي، ٢٠١٥) روايات عديدة صدرت في السنوات الأخيرة، وهي "ظلام النهار" (٢٠١٠) و"جنة الجحيم" (٢٠١١) و"هوان النعيم" (٢٠١٢) و"برد الصيف" (٢٠١٣) و"العسف" (٢٠١٤). وهذا يعني أحد أمرين: إما أن الكاتب كان، من قبل، كتب هذه الروايات، ولكنه لم يجد ناشراً لها، أو أنه تحول إلى فن الرواية بعد أربعين عاماً من الكتابة في التراث والمقالة و.. و.. وأدب الأطفال، فأخذ يكتب كل عام رواية، ربما لأنه أدرك متأخراً أن زمننا حقاً هو زمن الرواية.

وليس الكاتب جميل السلحوت أول كاتب يقدم على كتابة الرواية، بعد أن جرّب أشكالاً أخرى، وتعود الجذور إلى ٤٠ ق٢٠، حين جرب ذلك بعض الشعراء، مثل محمد العدناني وبرهان الدين العبوشي، ومن قبلهما كان خليل بيدس كتب الرواية أولاً والقصة القصيرة ثانياً، وهو ما سيقوم به جبرا الذي انحاز كلياً للرواية، بعد مجموعته القصصية الوحيدة "عرق وقصص أخرى" (١٩٥٦)، بل إنه نصح الكتاب بالتحول عن فن القصة القصيرة إلى الرواية علناً، غير مكتف بتجربته الشخصية.

ستظهر الظاهرة هذه على استحياء في ٥٠ و٦٠ و٧٠ ق٢٠، وسنلحظ أن الشاعر يوسف الخطيب يكتب روايته "عناصر هدامة"، وان الشاعر هارون هاشم رشيد سيكتب، لاحقاً، روايته "سنوات العذاب"، حتى إذا ما انتهت ٨٠ ق٢٠ وبدأت ٩٠ ق٢٠ لاحظنا الظاهرة تتكاثر، وعلينا ألاّ ننسى ما قام به سميح القاسم في ٧٠ ق٢٠ حيث أصدر قصة طويلة هي "الصورة الأخيرة في الألبوم" (١٩٧٩) ومن قبل حكاية أوتوبيوغرافية هي "إلى الجحيم أيها الليلك" (١٩٧٧.

وإن قصرت الأمر على مناطق السلطة الوطنية فسنلحظ ظاهرة تحول الشعراء إلى كتابة الرواية ظاهرة لافتة، ما جعلني أقترحها موضوعاً لرسالة ماجستير أنجزها أحد طلابي في

جامعة النجاح الوطنية، وهو عمر القزق، وقد درس في رسالته الظاهرة وروايات الشعراء الروائيين: سميح القاسم وعلي الخليلي وزكريا محمد وغسان زقطان وخضر محجز وخالد درويش، وأعتقد أنها رسالة يجدر أن تصدر في كتاب، وبعد إنجازها كتب المتوكل طه روايته الأولى.

عرفت الكاتب جميل السلحوت مهتماً بالتراث وكاتب مقالة ساخرة في جريدة الطليعة، وهذا ما يقوله أيضاً ثبت قائمة كتبه في نهاية رواية "أميرة"، فأول كتبه تمحورت حول الأدب الشعبي، وصدرت في الأعوام العشرين الأولى من مباشرته الكتابة (٧٨، ٨٢، ١٩٨٨)، وفي هذه الفترة أصدر مجموعة قصصية للأطفال (١٩٨٩)، ثم جمع ما كتبه في الطليعة في كتابين هما "حمار الشيخ" (٢٠٠٠) و"أنا وحماري" (٢٠٠٣) ومنذ (٢٠٠٧) شرع يكتب وينشر روايات للأطفال، ومجموعات قصصية لهم أيضاً، حتى إذا ما جاء العام ٢٠١٠ أصدر روايته الأولى. فهل أخذ الكاتب بمقولة ناقد روائي تقول إن الكاتب الروائي يكتب روايته الأولى بعد الأربعين، والطريف أن الكاتب لم ينشر أية رواية للكبار قبل بلوغه الستين.

من مهتم بالتراث، إلى كاتب قصص للأطفال وكاتب مقالة أسبوعية إلى... إلى فن الرواية، ويا لغزارة الإنتاج: ست روايات في ستة أعوام، وللأسف فإنني لم أقرأ له قبل أن أقرأ روايته الأخيرة "أميرة" (٢٠١٥) أية رواية، لأضعها في سياق مسيرته الروائية، كما افعل غالباً مع الأدباء الذين أدرسهم، متكئاً على منهج (برونتير) التاريخي، ولو جزئياً.

يعود الزمن الروائي لرواية "أميرة" إلى السنوات الثلاث التي سبقت النكبة ـ أي إلى العام ١٩٤٥، وينتهي بعد حدوثها بثلاث سنوات تقريباً، ويقف عند نهايات العام ١٩٥٠ وبدايات العام ١٩٥١، إن أحسنت التقدير. وتروي الرواية، أو الأصح راويها، قصة أميرة الطفلة التي ولدت في قرية بيت دجن قرب يافا لأسرة ثرية، فجدها يملك بيارة في بيت دجن ومصنعاً للبلاط في يافا، ووالدها متعلم، ويقيم مع أبيه في قصره، وهو لا يرضخ دائماً للعادات والتقاليد، ولهذا لم يسم ابنته باسم أمه، ولم يسم ابنه أيضاً باسم أبيه. بل إنه لا

يخضع لأبيه خضوعاً تاماً، وإذا ما ارتاب في سلوك أبيه بحث عن الحقيقة، فمثلاً دفعه عدم انسجام العلاقة الزوجية بين أبيه وأمه إلى البحث عن السبب، وعرف أن لأبيه علاقة مع زوجة شهيد، وأن سر النفور بين والديه يعود إلى أن أمه ألقت القبض على أبيه وهو يضاجع غيرها. ومع كل ما سبق فإن أباه لم يكن شراً كله، فقد كان يساعد الفقراء، ويعطف على عامليه في البيارة، بل إنه سجن من الانتداب، لأنه رفض أن يبيع أرضه لليهود، وكانت الحجة أنه يحرض على عدم التعايش بين العرب واليهود بسلوكه هذا، أي عدم بيع أرضه لليهود. وسيقتل الأب في العام ١٩٤٨، حين يحاول اللجوء، من ميناء حيفا، إلى خارج المدينة، هرباً من قوات العصابات اليهودية التي عملت على إخلاء المدينة من سكانها العرب.

وسيكون موضوع شتات العائلة الفلسطينية لافتاً في الرواية، وهو موضوع تطرقت له الأدبيات الفلسطينية منذ قصص سميرة عزام "عام آخر" وإميل حبيبي "بوابة مندلباوم" ورواية غسان كنفاني "ما تبقى لكم" (١٩٦٦)، وليس انتهاء بمسلسل وليد سيف "الدرب الطويل" أولاً والتغريبة الفلسطينية لاحقاً. في قصة سميرة تأتي الأم التي وجدت نفسها في بيروت إلى القدس لتلتقي بابنتها على بوابة مندلباوم، وفي رواية كنفاني تهاجر الأم إلى الأردن، فيما يهرب حامد وأخته مريم إلى غزة، وستجتمع العائلة الفلسطينية في قصة اميل حبيبي "حين سعد مسعود بابن عمه" بعد هزيمة حزيران.

في أثناء اقتراب النكبة، وفي أثناء حصار العصابات الصهيونية للقرى والمدن الفلسطينية، سيغادر جد أميرة مع زوجته وحفيدته بيت دجن للإقامة في حيفا في بيت صديقه المحامي حنا اندراوس وزوجته جورجيت، ولكن حيفا لم تكن بمأمن أيضاً، وما تعرضت له بيت دجن تعرضت له حيفا، وهكذا وجدت أميرة نفسها في بيروت ترعاها العائلة الفلسطينية المهاجرة أيضاً، وجد عباس والد أميرة نفسه وزوجته وابنه في قلندية والقدس - هنا نتذكر أيضاً رواية غسان كنفاني "عائد إلى حيفا" (.(١٩٦٩

الافكار هي الافكار تقريباً: شتات العائلة واليهودي الصهيوني المستوطن والصراع

على الأرض وضياع الوطن وبؤس المنفى، وأحياناً أكثر من هذا وهو التركيز على بعض الشخصيات الوطنية التي اسهمت في النضال الفلسطيني. هنا ذكر لعبد القادر الحسيني، وتركيز على دور بهجت أبو غربية - هنا نتذكر رواية سحر خليفة "حبي الأول" التي ركزت بالدرجة الأولى، وبطريقة لافتة، على شخصية المرحوم الشهيد عبد القادر الحسيني.

وربما يتساءل المرء: هل كانت الأعمال الروائية والقصصية المذكورة، وفكرة الموضوعات التي كتب فيها السابقون، حاضرة في ذهن الكاتب وهو يكتب روايته؟ واذا كانت حاضرة فما الذي دفعه لأن يكتب روايته؟ وهل رأى أن النكبة لم تستوف حقها في الأدبيات الفلسطينية؟ وهل رأى أن ما يكتبه يشكل اضافة نوعية في الشكل؟ أم أنه اراد تثبيت افكار وآراء واحداث من خلال تكرارها؟ والشيخ جميل قارئ جيد للأدب العبري، وربما لاحظ ان الفلسطينيين لم يفعلوا ما فعله الاسرائيليون، بخاصة أدباؤهم الذين ركزوا، وما زالوا، على الهولوكست، فكتبوا وكتبوا وكتبوا وما زالوا يكتبون؟

في أثناء قراءة الرواية، في ضوء ما يعرفه قارئها عن كاتبها يلحظ القارئ هذا أن الكاتب أفاد من تاريخه الكتابي ومن موقفه من الأدب في جانبين: الأول التراث، فقد وظفه في روايته كما لا يوظفه من لا صلة له به، والثاني كتابة نصوص أدبية فيها أبعاد معرفية وأيديولوجية، فالكاتب يريد ان يعلم وأن يعمم معلومات تاريخية ايضا، هذا اذا غضضنا الطرف عن تمييزه بين يهود البلاد واليهود الصهيونيين المستوطنين. و.... و... يهود البلاد واليهود الغربيين الصهيونيين المستوطنين.

من الافكار اللافتة في الرواية، لمن يهتم بالبحث عن صورة اليهود في الأدب العربي بعامة، والأدب الفلسطيني بخاصة، الكتابة عن اليهود، وقد كان لهؤلاء حضورهم، ولم يكونوا قراء كلهم ولم يكونوا خيرا كلهم، فهناك اليهودي الذي يقيم علاقة مع الفلسطينيين، ويفرح لافراحهم ويحزن لاحزانهم، وهناك اليهودي المستوطن القادم من بلاد بعيدة ليشتري الأرض وليقيم عليها المستوطنات اولاً، وليطرد الفلسطينيين منها ثانياً.

في "أميرة" كتابة عن يهوديين فلسطينيين شاركا والد عباس في افراحه، لكننا لم نعرف

عنهما الكثير بعد ذلك، فلم يعن الكاتب بهما ولم يخبرنا، فيما اذكر، عن موقفهما اللاحق من الاحداث الجارية: هل وقفا ضد الصهيونية وقاتلا الى جانب أهل البلاد ضد الغرباء، أم انهما غدوا صهيونيين وتخليا عن فلسطينيتهما وانحازا الى المشروع الصهيوني؟

فكرة الكتابة عن اليهود العرب واليهود الفلسطينيين فكرة لها حضورها في الأدب الفلسطيني، صحيح أن اول رواية فلسطينية "الوارث" (١٩٢٠) لخليل بيدس لم تناقشها، ولا حتى رواية العدناني "في السرير" (١٩٤٧) او مسرحية العبوشي "وطن الشهيد" (١٩٤٦)، ولكننا سنجد في ٦٠ ق ٢٠ من يكتب عن يهود عرب، مثل كنفاني في بعض قصصه، وكان هؤلاء عربا في كل شيء، ثم تصهينوا، ومثل ناصر الدين النشاشيبي في روايته "حفنة رمال" فبطلة القصة عربية الأب ويهودية الأم، تقف الى جانب ثابت، وتصر على أن الدماء العربية تجري في عروقها، وفي ٧٠ ق ٢٠ ستتخذ الكتابة منحى آخر، بخاصة مع تطور الوعي الوطني والنزوع نحو المشروع الذي تبنته م.ت.ف التي نشدت القرار الفلسطيني المستقل ودافعت عنه.

في ٧٠ ق ٢٠ سنقرأ لروائيين فلسطينيين روايات تأتي على يهود البلاد قبل الاستيطان اليهودي لفلسطين ١٨٧٨ - ١٩٨٢، وهؤلاء، كما في رواية أفنان القاسم "الباشا" كانوا يقيمون في القرى العربية ولم يكونوا يشعرون بالاختلاف عن بقية سكانها، وستبدو الصورة اوضح في رواية محمود شاهين "الهجرة الى الجحيم" ورواية أخرى له، هنا اليهودي يكون فلسطينيا حقا، وحين يتزوج من امرأة فلسطينية ينصحها، بل يطلب منها قبل موته، ان تربي اولادهما تربية فلسطينية حقيقية، أهو تأثير الزمن الكتابي وما شاع فيه من افكار واطروحات وبرامج سياسية على الكاتب والزمن الروائي المغاير؟

أعتقد ذلك، ورواية "أميرة" في هذا الجانب، لا تشذ عن الروايات المذكورة.

"صحيفة الأيام ٣٠-١٢-٢٠١٤"

رواية عازفة الناي للأديب المقدسي عيسى القواسمي

القدس: ٤-١٢-٢٠١٤ في مركز يبوس الثقافي وبحضور عدد كبير من كتاب ومثقفي القدس، ورواد ندوة اليوم السابع تمت مناقشة رواية "عازفة الناي" للأديب المقدسي عيسى القواسمي عن دار الشروق في رام الله وعمّان، وتقع في ٣٨٤ صفحة من الحجم المتوسط.

بدأ النقاش **ابراهيم جوهر** حيث أشاد بالرواية شكلا ومضمونا ولغة.

وقال **عبد الله دعيس:**

هل محكوم على من يتخلى عن القدس بالشقاء والضياع؟ وهل من أحب القدس عاشت روحه فيها واندمجت مع جدرانها ولو هلك ومرت عليه الدهور والعصور؟

تحكي "عازفة الناي" حكاية القدس، حكاية من أحب القدس فأصبح جزءا منها، غالب الزمن وانتصر على الموت ليعيش في أكنافها، وحكاية من تخلى عن القدس وتنكر لها، فلفظته بعيدا، وتحولت حياته إلى حيرة وشقاء.

عازفة الناي فتاة عاشت في الزمن الغابر، لكن روحها أبت أن تغادر المدينة التي أحبتها، فسكنت أحد جدرانها، وما فتأت تظهر لأولئك الذين يتخلون عنها، تعزف بنايها، تدعوهم إليها، تدعوهم ليعودوا. لكن أولئك يظنون أنها تنازعهم رغباتهم وأهواءهم التي باعوا القدس من أجلها.

تخلى ربحي عن القدس، وباع بيت والده الذي يربض في قلب المدينة قريبا من مسجدها الأقصى لأولئك الغرباء، مقابل أن يشبع نزواته، باع القداسة على طاولة القمار، فكان قدره أن يموت مشنوقا في الصحراء. تبعته عازفة الناي بنايها المشروخ تدعوه لأن يعود. خرجت

من جدارها الذي أقامت فيه لمّا أدركت أن الجدار سيصبح بيد الأعداء، لكنه تمادى في ضلاله، واسترسل في غيه، وتزوج من يهودية ولم ينتبه إلى عِظَم خطيئته إلا عندما قرر أن يترك الحياة منتحرا. فالقدس لا تغفر لمن يخونها.

عادت عازفة الناي إلى كوَتها، تناجي بهاء، عندما أحست فيه نزعة إلى هجر مدينته. طُرد بهاء من بيته، واستباحه المستوطنون. لم يخرج بهاء من مدينته وإنما سكن أحد فنادقها، رافقته عازفة الناي، التي هي روح المدينة، تؤجج في نفسه مشاعر الغضب، وتثير فيه القدرة على الصمود والنضال من أجل استرجاع بيته ومدينته. لكن بهاء، أو الفتى كما يلقبه الكاتب، سقط عند أول نزوة، انشغل عن صوت الناي بصوت الجيتار الذي كانت تعزفه غانية ألمانية في الغرفة المجاورة. تخلى عن حلم العودة إلى بيته ليصبح همه في الحياة حب هذه الغريبة، وبدل أن تكون عازفة الناي هي الروح التي تقوده إلى الانعتاق من أصفاد الاحتلال، وتقوده كي يعود إلى بيته الذي اغتصبه المستوطنون، أصبح نايها، في نظره، هو الذي يحول بينه وبين الاستمتاع بجيتار هيلينا الألمانية، وأصبح طيفها هو الذي يمنعه أن يتلذذ بجسد هيلينا. أصبح عشق هيلينا هو ما يؤرقه، وانساق وراءها لكي يبعد عازفة الناي عن روحه وقلبه. فكان مصيره شبيها بمصير عمّه ربحي، تنتهي الرواية وهو ثمل وملقى في صقيع جبال الألب. هذا قدر من يتخلى عن القدس.

رواية "عازفة الناي" هي مزيج بين الحقيقة والخيال. مزيج بين العالم المادي المحسوس وبين الأخيلة والأحلام والوساوس وهذيان السكارى. يظن القارئ في البداية أن الكاتب سيتناول موضوع القدس، سيقود صراعا من أجل أن تستعاد بيوتها من أيدي المستوطنين، لكنه سرعان ما يدرك أن الكاتب يقوده بعيدا عن القدس وصراعها مع الاستيطان، إلى قصة عشق عادية بين شاب من هذه المدينة وفتاة غريبة عنها، وتصبح أحداث الرواية تدور حول هذا العشق والصراع مع ذلك الطيف الذي جاء من أعماق التاريخ ليفسد هذا العشق. لكن القارئ لا يستطيع أن يتعاطف مع بطل الرواية، بهاء، الذي ما عاد يذكر بيته الذي اغتصبه المستوطنون، والذي بدأ مشواره يبحث عن الحقيقة، حقيقة تسرب بيته للأعداء واختفاء جده واستشهاد والده، ثم أصبح بحثه لأجل أن يستطيع أن يستمر في حب هيلينا. ثم يهجر

القدس ليعيش في ألمانيا بالقرب من عشيقته.

يبدع الكاتب في وصف الأماكن بلغة جميلة أنيقة، فيرسم صورة جميلة لمدينة القدس، يأخذك في أحيائها وأزقتها، فتزور كنائسها وتجوب أسواقها وكأنها صورة ماثلة أمامك، ثم يقودك في رحلة صحراوية إلى وادي القلط، يصف طرقها ومغرها وأديرتها بدقة بالغة، ويرسمها بريشة فنان مبدع. ثم يصطحبنا في نهاية الرواية في رحلة عبر ألمانيا إلى الغابة السوداء التي تحتضنها جبال الألب بقممها البيضاء في رحلة جميلة مشوقة.

ويدير الكاتب حوارا بين الشخصيات بأسلوب جميل، لكنه أحيانا يعمد إلى شرح حقائق تاريخية وجغرافية أثناء الحوار، فيتحول الحوار إلى ما يشبه درسا يلقيه معلم حاذق. أعتقد أن هذا الاستطراد في وصف الأماكن والحكايات التاريخية قد أضعف الحوار وأخرجه عن سياقه، وربما كان من الأفضل أن يذكر الكاتب هذه المعلومات المهمة، والتي تنم عن سعة اطلاعه وثقافته، خلال السرد لا ضمن الحوار.

هل القدس هي مدينة الفضيلة والصلاة والجهاد والصبر والرباط أم هي مدينة السكر والقمار والعشق الحرام؟ عندما تبحر في رواية "عازفة الناي" وتعيش أحداثها، تعيش بين مجموعة من السكارى والواهمين. تنتقل من نوح السكير وأوهامه وتنبؤاته، إلى هيلينا التي تعاقر الخمر وبهاء الذي يتمنع عنها في البداية، لكن الرواية لا تنتهي حتى يعاقرها. ولا نلمح خلالها طهر عازفة الناي وعفة أبناء القدس وتضحياتهم. يبعدنا الكاتب عن جوّ القدس الروحاني المتصل بالسماء ليجعلنا نعيش في لحظات الخطيئة التي يقترفها بعض أبنائها.

وأتساءل، لِمَ يصرَ الكاتب على تلقيب بهاء بالفتى، أليست الفتوة تحمل معاني القوة والأنفة والتضحية والحماس؟ لكن بهاء لم يكن كذلك أبدا، بل كان عنوانا للضياع والانكسار والهزيمة والضعف؛ كان ضعيفا أمام أعدائه ثم كان ضعيفا أمام نزواته وعشقه. ولا أعلم لماذا جعل الكاتب بهاء يزور بيته وهو في يد المستوطنين، ويرى تلك الفتاة اليهودية المذعورة التي تسكن غرفته. هل يريدنا الكاتب أن نتعاطف مع المغتصب؟ أنا لا أعتقد أن هذه الزيارة

واقعية أو يمكن أن تحدث في الحقيقة؟ ولا أعتقد أنها أضافت شيئا إلى الرواية.

ربما تاه بهاء في صقيع الغربة في ألمانيا، وربما ينجح الغجر في سلخ عازفة الناي من روحه ليعيش في نعيم عشق هيلينا، أو ربما يموت سكرانا هناك على شاطئ تلك البحيرة البعيدة. إلا أن عازفة الناي ستعود حتما لتسكن في كوّتها هناك في ذاك الجدار في مدينة القدس، تؤرق ليل المغتصبين وتعزف بنايها لحنا رقراقا يلهب مشاعر الصامدين، ويدغدغ شعورا روحانيا شفيفا في أنفسهم، بعيدا عن هذرات السكارى والخائنين.

وقال راتب حمد:

عيسى القواسمي يحلق عالياً بعد همسٍ للقدس بكلمات المحبة والوفاء في خطواته الاولى عام ٢٠٠٨م. ما يلبث أن يعلن شغفه بالقدس باصرار وتأكيد في العام ٢٠٠٩م؛ ليكتب الى أي درجة يتعلق بالقدس، ثم ينزح نحو القمر عام ٢٠١٠م؛ ليرسم لنا لوحة جريئة مليئة بالأحداث لما يدور في أروقة السلطة في رام الله، يسافر بعيدا مهاجرا ولكنه يبقى مصرا على العودة؛ لأن الخروج كان من الشاطئ البعيد ٢٠١٢م بلغة وخطوات واثقة؛ ليضيف الى رصيده إبداعا آخر بعزف على الناي ٢٠١٤م. يتغنى بروعة القدس وقداسة المكان والزمان، كلمات يرسم فيها خريطة القدس، يأخذنا من حيّ إلى حيّ، يرسم الحيّ بريشة كاتب مبدع مطورا أدواته الكتابية، يخرج ويحلق في الروحانيات في "عازفة الناي" حكاية القدس الحب والانتماء، أو التعاسة والضياع، ندم و جفاء للنفس ليهرب الإنسان من ذاته.

دعوة للبقاء والتمسك بكل ذرة تراب من تراب القدس وأسوارها وأحجارها، وهنا تكمن حقيقة أسرارها، فالقدس لن تغفر لمن لا يعطيها حقها، وإلا فإن مصيره أن يطعن نفسه أو يقتل نفسه لا أن يقتله الناس، فالناي وأشجانها صوت الضمير الصادق المنتمي الذي لا ولن يموت،

وسيبقى هذا الصوت يلاحق بأشجانه أولئك الذين يبيعون أنفسهم لشهوات آنية، ثم لا يلبثون أن يستيقظوا من غفلتهم.

بهاء المتعلق بالقدس وحبها يتبعه عزف الناي ليجسدها الحب ويصدح بأعذب الألحان حبا ووفاء وعشقا للقدس – بل لكل ذرة تراب تراب، هذا العشق هو ما سيبقى يورق مضاجع الأعداء والطامعين بالقدس.

بهاء وهو يعيش الحيرة والألم بفقد وأمه و بيته، وهو يسكن مع نفسه لحظة تأمل لليل القدس من خلال شرفة أحد الفنادق بباب الخليل، يترك لحن الوفاء وعزف الصدق والحب والإنتماء الى عزف الضياع، والهروب مع غيتار مستورد ليتعلق به وبصاحبته "هيلينا" التي تأخذه الى سبيل آخر بعيدا عن الأصالة الى الضياع، ومن الانتماء الى الضلال، من بيت سكنت فيه

أرواح الأجداد المتمسكين بالدين والذي يعبق برائحة السماء والتاريخ المقدسي من هؤلاء الذين سكنوه، وتركوا رائحة التصوف والعبادة بالمكان الى هناك، حيث تعيش مجموعة من الغجر بلا انتماء لأرض ووطن، سحر وشعوذة، فهل أراد كاتبنا أن يقول ذلك بغض النظر عن المكان والزمان، وقد أبدع بلغته الرائعة جمال لا بعده جمال، بوصف يأخذنا الى سحر المكان ليسحر عقل الفتى، ربما ولكن البعد عن القدس وترابها وحبها وقداستها أعاد عليه عازفة الناي هناك تلاحقه تصدح بلحن الوفاء، والانتماء للقدس ولمن يعيش بها لتقول له كن وفيا، فالقدس تستحق الكثير وأن هناك ما زالت وردة تنتظر، ونجوى بحاجتك وحجارة البيت ما زالت مكانها، وإلا فبن المصير مرهون بأن يعيش الخائن مقتولا ومقهورا بذاته، فلا تبتعدوا عن القدس وكم هي الطيور المهاجرة كثيرة ما انفكت تتغنى بموال العودة والعيش هنا، فكيف إذا كان عيسى القواسمي يحفظ القدس ويرسمها بريشة الابداع من خلال رواياته، والتي بقيت حاضرة لا تفارقه أبدا، كيف لا والقدس عند عيسى صاحبة الفكرة الاولى لا يغادرها، ولا تغادره فالقدس تستحق ذلك، وعيسى كان عند حسن الظن.

وقال **عماد الزغل**:

هي رواية مكانية بامتياز، فالمكان يحتل الحيز الأكبر في الرواية، وهو الذي يوجه أحداثها، ولا عجب في ذلك، فإذا كانت القدس هي مكان الرواية فلا شك أنها هي التي ستوجه الأبطال وتتحكم في مصائرهم.

فالمكان، وهو بيت في البلدة القديمة في القدس، قد سكن قلب بهاء وهو بطل القصة قبل أن يسكنه بهاء، واحتلال المستوطنين للمكان هو الذي تحكم في مصير بهاء، وتفريط ربحي في المكان وندمه على ذلك هو الذي دفعه للانتحار.

والمكان المقدس في وادي القلط هو الذي دفع الراهب فرانك إلى الاعتزال في حياته هناك. والمكان هو الذي أتى بالفتاة الألمانية هيلينا إلى القدس فأسرها المكان، ولولا أنها المانية لبقيت في القدس.

كم منزل في الأرض يألفه الفتى   وحنينه دوما لأول منزل

ولذلك فالصراع في الرواية هو صراع أمكنة، حتى إن روح البشر قد حلت في المكان ورفضت التخلي عنه، مما أرق حياة المستوطنين فيه. ومما يحسب لكاتب الرواية أنه أحسن وصف المكان بكل دقائقه وتفاصيله، وجعل الأمكنة في الرواية تتحدث وتفصح عن نفسها. بل إن الكاتب قد تمتع بقدرة فائقة على استنطاق ثقافة المكان، وبوحه بكل أسرار من سكنوه، ولا أدلّ على ذلك من وصفه لكنيسة القديسة حنة التي غدت مدرسة للفقه الإسلامي قبل أن تعود كنيسة كما كانت.

بل إنك تذهل من قدرة الكاتب على وصف فرانكفورت، وهي المكان الثاني في الرواية، وخط سير هيلينا وبهاء حتى وصلا إلى ذلك البيت على شاطئ بحيرة في الريف الألماني، وكأن الكاتب ألماني من سكان تلك البلاد. والمكان هو الذي احتل غلاف الرواية حيث صورة أحد أزقة البلدة القديمة، إن كل زاوية في أزقة البلدة القديمة تحكي قصة مجاهد أو زاهد أو عابد، وبعضها الآن يحكي قصة خائن أو سمسار أو متآمر مع الاحتلال، فالعقارات المسربة للمستوطنين أصبحت تحمل اسم من باعوها، فهذه الدار التي باعها فلان وهذه الأرض التي سرّبها فلان.

إن وفاة والدة بهاء بعد أن ألقيت خارج بيتها تحكي قصة نزع روح المقدسي عندما ينتزع عقاره، وهذا ما يحدث بالضبط، فأبو كامل الكرد رحمه الله توفي بعد يوم أو يومين من انتزاع

عقاره في الشيخ جراح، وهي الرسالة التي أراد الكاتب أن يوصلها إلى القارئ، فالمقدسي مسكون بعقاره وبيته ودكانه، وهو حريص على أن يموت قبل أن يلحقه أي عار ببيع عقاره كما حدث في بعض البيوت في الآونة الأخيرة.

إنها حكاية القدس المسكونة بأرواح الشهداء والنساك والزهاد والمجبولة بدماء المجاهدين، والتي تأبى دائما أن يسكنها غيرهم، وليت الكاتب ألقى الأحداث في القدس ونحى بنهاية الرواية منحى آخر، فأعاد البطل إلى القدس وإلى روح عازفة الناي التي تجسدت في وردة وهي الأمل الفلسطيني القادم.

وقال **جميل السلحوت**:

وهذه هي الرواية الخامسة للكاتب القواسمي، فقد صدر له قبلها

همس الظلال عام ٢٠٠٨، الشغف عام ٢٠٠٩، النزوح نحو القمر عام ٢٠١٠ و"من الشاطئ البعيد" عام ٢٠١٢

و"عازفة النّاي" جاءت بأسلوب ومضمون مخالفين لسابقاتها، ويسجّل لصالح الرّواية أنّ حملت في طيّاتها معلومات وتاريخا لبعض كنائس ومساجد وأسواق والزوايا الصوفية في القدس القديمة وسورها التاريخي، وكان السّرد الروائي متناسقا وعاليا في الرواية، لكن الذي لفت انتباهي هو اعتماد شخوص الرواية على الأحلام والخرافات والروحانيات، وبدلا من أن يتركهم الكاتب يتحركون دون تدخّل منه، ظهروا وكأنّهم مسيّرون ومحكومون لخرافات غيبيّة، ويعلمون مصائرهم وما سيجري معهم لاحقا من خلال هذه الغيبيات، مع أنّهم في غالبيّة "نبوءاتهم" كانوا سكارى، فالعم "نوح" كان متسوّلا وسكّيرا، لم يرتدع عن ذلك إلّا في أواخر حياته التي قضاها في ملجأ بقرية العيزرية القريبة من القدس القديمة، وهيلينا تلك السائحة الألمانية المتعاطفة مع القضية الفلسطينية، والعازفة الموسيقية التي عشقت الفتى المقدسي بهاء الدّين وعشقها كانت لا تتجلى إلّا وهي في حالة سكر، بل إنّها قادته هو أيضا إلى السّكر حتى الثمالة خصوصا بعد أن رافقها إلى المانيا. والغجري الألماني

خوسيكا وابنته تويلا أيضا كانوا سكارى.

فهل كانت عازفة النّاي التي يظهر طيفها لهم وليدة خيال لا منطقيّ أم ماذا؟ لكن أحداث الرّواية تنبئ بأن بهاء الدّين وعشيقته هيلينا كانا يتحركان بناء على نبوءات هؤلاء السّكارى، كما أنّ البيت "الصّوفيّ" الذي تملكه عائلة بهاء الدّين تبيّن أن عمّه ربحي قد باعه للمستوطنين، وهرب للعيش في بئر السبع حيث تزوّج يهوديّة، وقد قتل والد بهاء الدّين وجدّه في ظروف غامضة وهم يحاولون استرجاع البيت! ومع ذلك فإنّ العمّ بعد وفاة زوجته اليهودية ووفاة ابنه الوحيد منها"شمعون" قد قام بتربية حفيدته "وردة" تربية عربية اسلامية، وكان حلمه أن يزوجها لبهاء الدّين ابن أخيه "الشهيد"، حتى أنه انتحر تاركا وصيّة لبهاء الدين كي يتزوج وردة.

وتحريك شخوص الرواية بناء على "الرّوحانيات" والغيبيات" لم يقتصر على "نوح" والغجري الألماني وابنته، بل شاركهم فيه أيضا الكاهن الألماني "فرانك" الذي يعيش في دير في واد القلط ما بين القدس وأريحا، وهو عشيق سابق لهلينا.

فما الذي هدف إليه الكاتب بهذه "الغيبيات والخرافات"؟ وهل تاريخ القدس مبنيّ على خرافة؟ أم أنّ من يصنعون تاريخ القدس الحديث يعتمدون على الغيبيّات؟

وقالت **نسب أدسب حسين**:

كمتابعة لكتابات عيسى قواسمي منذ روايته الأولى "همس الظلال" الصادرة عام ٢٠٠٨ وحتى اليوم، ألحظ التقدم القوي والملموس الذي شهده قلم هذا الكاتب.

قبل أن أبدأ الكتابة عن هذه الرواية عاودتُ قراءة ما كتبت عن روايته السابقة "من الشاطئ البعيد"، فرأيت أنّ عيسى يصغي الى ما يُوجه اليه من نقد بنّاء ويعمل على تطوير لغته وأدواته الأدبية، وهذا ما رأيته فيه خلال السنوات الماضية ضمن لقاءاتنا في ندوة اليوم السابع في المسرح الوطني الفلسطيني في القدس. عيسى أصغى للملاحظات التي وُجهت اليه، وشهدنا بعد كل عمل تقدم وتطور قلمه، واليوم أشعر بفرح وفخر بزميلي عيسى

الذي أراه قد وصل الى قمة مرتفعة، وعلامة فارقة في مشواره الأدبي بإصداره الجديد "عازفة الناي."

العنوان: عنوان الرواية "عازفة الناي" عنوان شاعري جميل، يبعث الفضول في نفس القارئ لقراءة الرواية، والمفاجأة الكبرى تقع عندما تنكشف هوية صاحبة العنوان، فهي ليس فتاة عادية بل طيف أو روح، عالقة في ذلك الموقع الصوفي من البلدة القديمة في القدس. موسيقى العازفة الشرقية تبعث النشوة في روحها، وتأمل أن تفعل المثل في حبيبها، تمثل الارتباط بالقدس وبالصحراء والشرق.

هي وجود له مذاق وصبغة خاصة في الرواية، بعثها الكاتب في مواقع صحيحة ومهمة، منحت الرواية قوة في الطرح، وشكلت موسيقاها خلفية صوتية تتناغم مع التصوير المكاني الجميل الذي قدمه الكاتب وصفيًا، بذا جاء هذا العنوان قويًا ومناسبًا جدًا للرواية.

الفكر وطرح الرواية:

أحد أهم العوامل التي جاءت لصالح الرواية هو أسلوب طرح رسالة الرواية وهي مدينة القدس وابنها المرابط بها محاولا بكل ما أوتي من قوة التمسك ببيته وبطابع حياته فيها، لقد كُتب مؤخرًا الكثير عن مدينة القدس من قبل أدبائنا الفلسطينيين، لكن تميز هذه الرواية يعود لخروج الكاتب عن المألوف في الأسلوب.

يدمج الكاتب ما بين الواقع والخيال معتمدًا على بعض المعتقدات الدينية لبعض الطوائف، كالمعتقدات حول الجن وحول التقمص، في بعث روح من رقادها لتتبع البطل بهاء الدين، وتحاول جهدها أن لا تدعه يقع في الخطيئة، فتظهر له كلما يكاد يقع فريسة انتشاء حبه لفتاة ألمانية، أو حبه لموسيقاها الغربية.. فتظهر الروح وتذكره أنّه لها، ليطغى عزف الناي وينتصر في كل مرّة على عزف الجيتار أو الدف أو أي صوت آخر. مع هذا الطيف لعازفة الناي يستهل الكاتب روايته بحوارية رومانسية ما بين البطل وبينها، وسط تساؤلات القارئ. لتنكشف علاقة غريبة من نوعها في قصة حب تستمر من حياة سابقة للبطل مع عازفة

الناي، افتدته فيها بحياتها ذات يوم، وها هي تعود لتحيي قصة الحب. هذا الحب الذي يحمل رمزًا للارتباط بالمدينة والبيت، فترفض عازفة الناي سيطرة المستوطن الاسرائيلي عليه، وتحرض بهاء الدين على استرجاعه. يبحث الفتى على مدى الرواية عن سرّ عازفة الناي وتتبعها لخطواته محاولا تحريرها والتخلص من طيفها، لكنه لا يتمكن من ذلك حتى عند سفره الى ألمانيا، فتستمر الملاحقة والنداء المطالب بالعودة. وهنا لم يمنح الكاتب نهاية يتوقعها القارئ، ولم يحاول استرضاءه، بل استمر الفتى منساقًا في محاولته الابتعاد عن مدينته وقضيته، ليكون مصيره نهاية سوداء، غير واضحة تمامًا، أهي الموت أم اغماءة، لكنها بالتأكيد صفعة قوية من الأرواح من الذاكرة والواجب، اتجاه الفتى الذي حاول الهروب من قدره، ولم يلبّ نداء المدينة، فأتت الأرواح لاستعادته.

تطرح الرواية قضية سيطرة المستوطنين على البيوت في البلدة القديمة وتأثيرها على أصحاب البيت، وقيام بعض الفاسدين من أبناء المدينة ببيع بيوتهم، والاشتراط على استلامها بعد مرور عقود من بيعها، لئلا تظهر هويتهم جلية.

وتهتم الرواية في طرحها بالتأكيد على هوية المكان.

المكان: مسرح أحداث الرواية الرئيسي هو مدينة القدس، بطل الرواية "بهاء الدين" أو الملقب بالفتى، هو ابن البلدة القديمة يقع بيته في درب الآلام فوق المرحلة الخامس. القارئ يتابع بهاء في تنقلاته في طرقات وأزقة البلدة القديمة، والكاتب قدم المكان بالتفصيل، ولم يبخل بالمعلومات التاريخية عن بعض الزوايا وعن السور، ومن يعرف طرقات البلدة القديمة، فسيستمتع كثيرًا بمرافقة بهاء حيث مضى، ففي جعبة الرواية زيارة سياحية والكثير من الافادة، للإطلالة على المدينة لمن لم تتسنّ له زيارة القدس من قبل.

المأخذ الوحيد لي على جولات البطل في البلدة القديمة هو خطأ ورد في أحد المسارات التي ولجها في صفحة ٨٣، بحيث أفتقد التسلسل الواقعي المنطقي لمسار على السور في المدينة. فهذا المسار يقع منذ أكثر من ست سنوات تحت سيطرة وزارة السياحة الاسرائيلية، ولا يمكن ولوجه الا عبر البوابات من باب الخليل فقط، باختيار مسار نحو المقطع الشمالي من

باب الخليل وحتى باب اسباط، أو الجنوبي من باب الخليل أو القلعة وحتى باب المغاربة. كما أنّه لا يمكن السير على السور التابع لمنطقة الحرم القدسي، بذا لا يمكن القيام بمسار متكامل حول الأسوار كما نستشف من الرواية، أو المرور بباب النبي داود بعد باب إسباط وإلقاء نظرة على حائط البراق، ومنه نحو قلعة القدس كما جاء. فباب النبي داود بعيد عن باب الإسباط، وهناك مسافة بينه وبين حائط البراق، فكان الأصح حسب مسار السير المرور بباب المغاربة لإلقاء نظرة على حائط البراق، ومن هناك نحو باب النبي داود ثم القلعة.

كذلك يصحبنا الكاتب عبر أحداث روايته في جولة الى وادي القلط. الى معتكف الرهبان في الكهوف الحجرية، مقدمًا معلومات قيّمة عن حياة الرهبنة والاعتكاف في تلك المنطقة.

تنتقل الأحداث في ثلث الرواية الأخير الى ألمانيا، ويتنقل البطل ومحبوبته بين مناطق عديدة (هايد لبرج، شتوتغارت، لندوا)، المكان في ألمانيا كذلك تمّ تقديمه بشكل مفصل، فالكاتب يذكر أسماء الشوارع والمطاعم والمناطق ويفصلها، مما يضفي الكثير من الواقعية على أحداث الرواية.

مما يجدر ذكره في هذا الباب بأنّ المكان له حيزه المهم في الرواية، ولعب دوره وخدم النص الروائي بالصور المتعددة المفصلة التي تنمي خلفية جميلة للأحداث في ذهن القارئ.

اللغة والأسلوب:

لغة الرواية قوية متينة، ساعدت الكاتب في تقديم أفكار فلسفية ورسم صور خيالية إبداعية، ونسج حوارات جميلة.

وردت في الرواية الكثير من المعلومات الثقافية والجغرافية عن القدس وأريحا، عن الصوفية والمسيحية وغيرها، طرح المعلومات جاء بشكل مناسب بعيد عن السردية، وهذه نقطة لصالح الرواية، وساهمت في المحافظة على البنيوية الروائية وعامل التشويق.

الرواية التي بدأت بخطوات وئيدة في صفحاتها العشرين الأولى، ودفعت القارئ الى السير متردّدًا خلف الكلام الجميل، والحوارية التي تفتقد لعلامات الحوار، والتي عادة ما يُشار اليه بعلامة (–) عند كل قول، ببطء يحاول القارئ أن يستنبط خبايا الكاتب وشخصيتين مجهولتين. إلا أنّ الأحداث تبدأ بالتسارع شيئًا فشيئا، وتزداد سرعة تيارها ليغلب عامل التشويق، وبقوة تنجرف حتى النهاية بعد ٣٨٤ صفحة. وهنا جاءت قوة الرواية والكاتب، بأنّه تمكن من الإمساك بخيوط الرواية، وشدّ القارئ حتى الصفحة الأخيرة.

لم يغفل الكاتب عن تقسيم الرواية الى فصول قصيرة، بحيث ينظم الأحداث وتدرج تسلسها ويرتبها في فكر القارئ.

اتسمت شخصيات وأحداث الرواية بالواقعية حتى في التعامل مع الجانب الخيالي، وهو الطيف أو الروح، فيشعر القارئ أنّ هذا الطيف حقيقة. قد يكون الحدث البعيد عن الواقعية بعض الشيء هو اتجاه البطل لحجز غرفة والاقامة في الفندق لعدة شهور بعد الاستيلاء على منزله.

أقدم مثالا على أحد شخصيات الرواية الواقعية شخصية المتسول نوح، وهي برأيي شخصية مميزة جدًا، قدمها الكاتب بطابع وملامح خاصة، تجلس عند عقبة الخانقة فاتحة يدها للريح، تخفي قنينة عرق في جيب داخلي. وأعلم أنّ الكاتب كان قد راقب لمدة ما متسولا في البلدة القديمة، بل وتنكر برفقة المتسول ذات يوم ليعيش الحالة النفسية التي يعيشها المتسول، ويقدمها بشكل حقيقي.. لقد وُفق عيسى كثيرًا في تقديم هذه الشخصية التي لم تخلُ من الغموض، ولعبت دورًا مهمًا في الرواية وتحقيق عامل التشويق فيها.

ختامًا أعتقد أنّ هذه الرواية هي إضافة مهمة لأدبنا الفلسطيني، وخاصة ما تخصص في مدينة القدس، تحمل الكثير من جوانب الإبداع الروائي في طياتها، ولا بدّ لمن يحظى بقراءتها أن يخرج بمذاق وشعور خاص، ويشتاق للعودة مرّة أخرى للتمعن والغوص في أوراقها.

وقالت **سوسن عابدين الحشيم**

تحكي الرواية قصة بهاء الدين المقدسي والمعروف بكنيته ابن الشهيد، والذي يعيش مع والدته في احدى زقاق البلدة القديمة بالقدس، يبدأ الكاتب روايته بحديث يدور في عقل بطل الرواية بهاء حيث يذكر بطريقة فلسفية الخيال والحلم الذي كان يسكنه، ولا يستطيع نسيانه، ثم يدور حوار بينه وبين هذا الحلم وهو فتاة الناي التي كانت تعزف على اوتار عقله وقلبه، فتجعله شارد الذهن يفكر فيها دائما...كان بهاء طيلة المدة التي عاشها بالقدس مشغولا بهذا الحلم، يريد ان يعرف ماهيته وتفسيره، لكن دون جدوى، فيستيقظ من حلمه؛ لنرى انه يعيش في بيت ورثه من أبيه وجدّه مع والدته، وله اخت متزوجة تعيش بقربهم...لكن تتوالى الظروف لنرى بهاء قد تعرض لصدمة جعلته عاجزا عن فعل أي شيء، وهي محاولة الاحتلال الاستيلاء على بيته، وأمر من المحكمة باخلائه، يحاول جاهدا طلب استئناف من المحامين، لكن يد الاحتلال تبطش به وبأمه، فتداهم البيت وتطرد أمّه وترمي بكل ما في البيت الى الخارج أمام أعين الناس المقهورة، والمستسلمة لما يحصل؛ لأنها تعجز ان تمنع بطش الاحتلال وجبروته وظلمه لهم، يسرد الكاتب الوقائع التي يمر بها بهاء بعد خسرانه للبيت، حيث تبين أن عمّه باع البيت لليهود قبل خمسين عاما، ويوجد أوراق تثبت ذلك...كان عليه ان يفكر كيف يعيش...ذهبت أمّه لبيت أخته، ولكنه رفض مرافقتها، وذهب لفندق امبريال في باب الخليل، وحجز له غرفة فيه...هذه حال الناس التي شردت وطردت من بيوتها من قبل المحتلين وألاعيبهم في الاستيلاء على بيوت القدس، لقد أدخل الكاتب شخصية نوح العجوز السكير المتسول، والذي كان صديقا للعائله ولعمّ بهاء بالذات، ذهب اليه بهاء ليستوضح منه كيفية بيع البيت، ولكن نوح لمح له بان الموت يحوم حوله، عاد بهاء مسرعا الى بيت أخته ليجد أمّه المريضة قد توفيت، بكى عليها بكاء المنكسر؛ لأنه شعر بقسوة الحياة واليتم، موتها يختلف عن موت أبيه، أمّه قتلت قهرا ومهانة وانكسارا، لقد قذفوها خارج جدران بيتها وكأنها قطعة من الأثاث، لا قيمة للروح المعذبة الممزقة عندهم، لم يمهلوها لتعيش سنوات مرضها الاخيرة.

ما يميز الرواية ذكر أسماء الأزقة والحواري والشوارع في مدينة القدس، وبعض المعلومات التاريخية، فيخلدها في روايته لتبقى ذكرى عالقة للاجيال القادمة، بالرغم من محاولة الاحتلال تغييرها أو محوها، لانهم دائما يسعون لطمس معالم القدس والبلدة العتيقة.

يأخذ الكاتب بسرد الاحداث التي تلي خسران بهاء للبيت وأمّه، فنراه في الفندق يتعرف على فتاة ألمانية، وتبدأ من هنا روايته معها، فهو مترجم ويتقن اللغات الاجنبية، تقوم بينهما صداقة قوية تتحول الى حب، ولكن فتاة الناي التي يراود طيفها له ويمنعه من التمتع بصداقته مع الفتاة الالمانية التى تدعى هيلينا، كان يزوره الطيف اينما يكون لتعزف له على الناي، فيصدح صوت الناي بكل مكان يكون فيه مع صديقته، كان هذا الطيف يشغله جدا، وهنا يذكرنا الكاتب بطيف هملت في مسرحية شكسبير، حيث كان طيف ابيه يزوره دائما ويحثه على معرفة الحقيقة والانتقام من عمه، شعر بهاء ان وراء هذا الطيف قصة يجب معرفتها، وهي تحاول ان تسحبه الى الصحراء؛ يذهب الى نوح ليجده قد توقف عن شرب الخمر والتسول، وانه سيعيش بقية حياته في ملجأ، قابله وعرف أن عمّه يريد مقابلته، وأنّه نادم على فعلته المشينة في بيع البيت، وانتهت بتشريد العائلة، افصح له نوح أنّ عمه يقطن في صحراء النقب في بيت اشتراه هناك، وقد توفيت زوجته اليهودية، وله منها ابن تربى في بيئة يهودية، ولكن لم يمهله القدر ليعيش طويلا، فقد خسر العم ابنه وزوجته وتوفيا، ولكن تركا ابنة لهما، اخذ العم حفيدته ورباها كما يريد واسماها وردة، اراد العم ان يقابل بهاء ويوصيه على حفيدته، لم يلبّ بهاء رغبة عمه في مقابلته، فلا يوجد أيّ عذر يسمح له ببيع البيت، ولا يستطيع ان يكفر عن خطيئته بأي ثمن كان. تتوالى الاحداث في الرواية ويصل خبر لبهاء ان عمه قد انتحر، وان حفيدته عند نوح وعليه مقابلتها، ترك عمه وصية بمناصفة تركته بينه وبين حفيدته، ويعرض عليه الزواج من حفيدته ليطمئن عليها، يذهب بهاء ليقابل الحفيدة عند بيت نوح فينبهر بجمالها الساحر، وتحدث معها ووعدها بانه سيصبح مسؤولا عنها، وسوف يرعاها، وأخذها عند أخته ولكن رفض عرض عمه بالزواج منها، أو أخذ أيّ شيء من أملاكه أو ماله، كان رد وردة ان الطيف سيرجعه اليها يوما ما .... يعرض الكاتب موقف هيلينا من الشعب الفلسطيني، فهي أتت الى القدس بطلب من أبيها الذي يدعم المؤسسات اليهودية، ويدعم المتضررين من حادث الهولوكست، لكن هيلينا عارضت أباها بعد ما اكتشفت أكذوبة هذه المعتقدات الخاطئة بالكارثة ... ورأت كيف تتعامل اسرائيل مع الشعب الفلسطيني .... هيلينا أحبت بهاء وحاولت ان تنقذه من الطيف الذي يحول بينها وبينه، حيث كان يظهر لهم دائما كلما يكونان معا، وأرادت

يوما ان تتحدى طيف فتاة الناي، وبدأت بالعزف على قيتارها، وعلت أصوات الناي والقيتار كلتاهما تعزف لتتحدى بعضهما امام دهشة بهاء وانبهاره، اختفى صوت الناي وابتعد الناي وتراءى لهيلينا انها هزمت الطيف، كما استعانت بصديق لها الراهب فرانك؛ للتخلص من الطيف، لكنه لم يجد نفعا، اقترب موعد سفر هيلينا ورجوعها الى فرانكفورت بلدها، ولكنها أصرت ان تصطحب معها بهاء، لتنقذه من الطيف الذي يؤرق حياتهما، يوافق على السفر معها مع بعض التردد، حيث يتجلى له وجه وردة الوافر الجمال فيتخيلها دائما، يسهب الكاتب في روايته فيقص علينا سفر بهاء وهيلينا ووصولهما الى المانيا، واستقبال والديها لصديقها الفلسطيني والذي أبدى أبوها بعض التوتر من اعتبار ضيافته له تعارض مصالحه الشخصية مع اليهود، ووصف المدن هناك، ورسم لوحات فنية لمناظر الطبيعة الخلابة، التي أبهرت بهاء الى حد كبير، وجعلته يعيش أسعد أيامه بصحبة هيلينا، لكن الطيف يعود للظهور، وهيلينا مصرة على التخلص من الطيف، ووردة شعرت بالغيرة منهما لاستحواذهما على تفكير بهاء، كانت الطريقة في الخلاص هي الاستعانة بأصدقائها الغجر،، فتأخذ بهاء اليهما وهناك يختم الكاتب روايته بعرض طريقة انتزاع الطيف من جسد بهاء، يبدو ان الكاتب لديه قدر من الثقافة في علم الارواح، حيث شرح بدقة ما يجري عند استقطاب الاطياف، ومحاولة استفزازها لتخرج من الجسد التي تتمثل فيه، يسرد الكاتب سلسلة الاحداث التي يمر بها بهاء اثناء محاولة الغجر، وهما خوسييكا وابنته تويلا انقاذ بهاء من الطيف، يستخدمون علم الطاقة والنجوم لاجل معرفة حقيقة هذا الطيف، فيتبين لهما ان الطيف يعود لفتى من الزمن القديم تعرض لهجوم من لصوص، وهو مع فتاته فتفديه الفتاة بنفسها وتموت، لتحميه وتتجسد روحا في وردة تطالب الفتى بتعويضها لما خسرته من حياتها لأجله، كما ان الكاتب لديه ثقافة في الأساطير اليونانية حيث قص في روايته اسطورة يونانية للآلهة أبولو الذي تحدى احد الاشخاص بالعزف وقد تفوق عليه، لا شك ان الكاتب في روايته اتجه الي الأسلوب السلس في سرد الاحداث بلغة سهلة، والتي تواكب أسلوب الجيل الحالي، وجعل النهاية مفتوحة، لا نعرف ماذا حصل لبطلب الرواية بهاء وهيلينا، فقد ختم الكاتب بصورة كليهما ممدا على الشاطئ مغشيا عليهما بعد رؤية الاطياف متجهة نحوهما، وهنا يدعنا الكاتب نتساءل هل سيعيد الطيف بهاء الى القدس أم لا؟

وكتبت **ديانا أبو عياش**:

هذا العمل الروائي الرائع الذي يرمز في مضمونه بشكل عام إلى قضيتنا الفلسطينية، والوجع، والمقاومة، والمعاناة التي يعانيها الشعب الفلسطيني عبر أجياله المتعددة في ماضيه وحاضره ومستقبله.

يحتضن الغلاف ما بين دفتيه حياة شعبنا ما بين الواقع المرير الذي تمثله صورة الغلاف الأولى، وهي صورة لبيت من القدس استولى المستوطنون عليه، وما بين الصورة الأخرى وهي صورة لطيف فتاة تعزف على الناي. والتي تمثل الحلم الذي يرمز إلى الدولة الفلسطينية المستقلة وعاصمتها القدس الشريف، والذي لا يتحقق إلا من خلال المقاومة.؟

تقع الرواية في ٣٨٤ صفحة من الحجم المتوسط...حين نظرت إلى الكتاب من الوهلة الأولى خيل إلي انه كبير الحجم وسيستغرق مدة طويلة لقراءته، لكن عندما فتحت دفتيه وتصفحته سريعا تغير موقفي في الحال، فالخط جلي وواضح، والصفحات غير مكتظة؛ مما شجعني على الاسترسال في قراءته، هذا من جهة، ومن جهة أخرى استطاع الكاتب من خلال أسلوبه من حيث روعة التعبير، والرمزية التي تقمصت الشخصيات والأماكن، وراحت تشع من خلالها، والكلمات السلسة القوية التي لا لبس فيها ولا تعقيد، بالإضافة إلى التشويق الذي يلف بها، ويتنامى مع الاستمرار بالغور في سبرها. كل ذلك شجعني على متابعة قراءتها فتم ذلك على مرحلتين خلال يومين.

المكان: تنقل الكاتب بشخصياته العديدة خصوصا البطل بهاء الدين، ما بين القدس، صحراء القدس حيث وادي القلط القريب من أريحا، بئر السبع، وأخيرا ألمانيا. ولكل مكان منها رمزيته التي سأذكرها خلال تحليل النص.

الزمان: زمن الاحتلال الإسرائيلي من ١٩٤٨ حيث استولى المستوطنون على فلسطين حتى اليوم، رجوعا الى زمن الدولة العثمانية.

الشخوص الرئيسية ورمزيتها:

تمثل شخوص الرواية الماضي والحاضر والمستقبل، من خلال الأجيال العديدة التي لعبت دورها ما بين نوح الذي يرمز إلى العالم العربي بتاريخه وماضيه الحافل بالتقاعس عن الاعتراف بالحقيقة التي يحملها بين طياته، ألا وهي حقيقة ضياع البيت، بدليل انه كان يراقب الوضع من بعيد، ولم يكن بيده حيلة، وبهاء الدين الذي يمثل الحاضر ويرمز إلى الشعب الفلسطيني الفتي المناضل والباحث عن الحقيقة، وفتاة الناي التي تمثل حلم المستقبل بالحرية والاستقلال، طبعا هنا تمثلها منظمة التحرير الفلسطينية التي تسكنها روح المقاومة. العمّ ربحي الذي يمثل الدولة العثمانية الإسلامية التي أضاعت فلسطين، بالإضافة إلى هيلينا التي ترمز إلى المؤسسات والهيئات الأوروبية والغربية، ووردة التي ترمز للعالم الإسلامي، وأخيرا الراهب فرانك الذي يرمز إلى الوسيط الدولي لعمليات السلام في الشرق الأوسط.

تحليل المضمون:

استهل كاتبنا روايته بوقوع الفتى أو الشاب بهاء الدين ٢٦ عاما تحت تأثير الحلم الذي يتمثل بطيف عازفة الناي، والحقيقة المرة التي يعيشها والمتمثلة بخسارته للقضية التي رفعها ضد المستوطنين، في محاولة منه لإثبات ان البيت ملك له ومن قبله لأبيه الشهيد وجده حتى لا يطرد منه. وترمز قضية البيت هنا طبعا إلى القضية الفلسطينية.

في البداية أسهب الكاتب بوصف المدينة المقدسة (القدس القديمة) وصفا دقيقا مكثفا، كأني به يرسم خريطة للمكان أو لوحة فنية فريدة، من خلال بيوتها الصغيرة، حاراتها، أزقتها الضيقة، محلاتها التجارية وأسواقها، كنائسها، مساجدها، مقاماتها، مقابرها، أبواب الحرم، أبواب السور، والسور نفسه، دخوله إلى المسجد الأقصى وصلاته فيه بخشوع.

شعرت من خلال ذلك ان المدينة المقدسة تعيش في قلب ووجدان الكاتب، وأن هناك عشقا من نوع خاص يجمعه بها، كما يسكن هو فيها بروحه وجسده.

خيل إليّ أنني أقف أمام مؤرخ مقدسي وليس كاتب رواية، يشد القارئ إلى قراءة القدس

ومعرفتها عن قرب، وقد أجاد هذا الأمر بعمق، فأوصل المعلومات إلى القاري بشكل مشوق، واعتقد ان ذكره للمؤرخ عارف العارف، ومروره من أمام البيت الذي كان يسكن فيه لم يكن عرضيا، وإنما ليبين أنه اخذ عنه بعض المعلومات التاريخية؛ أي كنوع من التوثيق، كما ان عمله كمرشد سياحي في المدينة بعد تدريبه وقراءته لبعض الكتب الخاصة بهذا العمل، أوحى بذلك، بل أكده. وهذا أيضا يؤكد على مثابرة شعبنا في تثقيف نفسه بنفسه، وحبه للعلم الذي سينير له طريق المستقبل.

أما ذكره لأصحاب المحال المسيحيين ليس إلا ليبين أننا كمسلمين ومسيحيين ما نحن إلا شعب واحد بغض النظر عن معتقداتنا، والطريقة الصوفية التي كان بيت بهاء في القدس زاوية دينية لها في الماضي، فهو تعبير عن قدسية المكان ووقفه، وأن لا حق لأحد ببيعه أو التصرف فيه.

حين اتصل جار بهاء الدين به وأخبره ان الجيش يقومون بإخلاء البيت تمهيدا لتسليمه للمستوطنين، شعر بالعجز أمام جبروت المستعمر الذي أخرج أمه وأثاثه إلى الشارع، ورماه بشكل فوضوي، عرض عليه الناس المساعدة بداية من أخته وزوجها إلى جاره الذي عرض عليه غرفة ليضع الأثاث فيها، والناس الذين رجموا الجيش بالحجارة، فأشعلوا الموقف ليعيدوا بهاء إلى بيته بالقوة ، لكن دون فائدة، وطرد بهاء وأمه من البيت كان سببا مباشرا في موت أمّه، وأصبح مشردا يعيش مؤقتا في فندق امبريال الجديد في منطقة باب الخليل الذي يعج بالسياح، حيث تعرف على الفتاة الألمانية هيلينا.

موت الأم هنا يعني أنّ هذا الشعب قد فقد الأمن والأمان بفقده لوطنه... يذكرنا الكاتب هنا بحرب ١٩٤٨م التي اشتركت فيها بعض الدول العربية الحديثة التي لم تسلم بالأمر، وكانت النتيجة هي (النكبة) بإخراج الفلسطينيين من أرضهم؛ ليعيشوا لاجئين معذبين في مخيمات الشتات، حيث بدأت المؤسسات والهيئات الأوروبية بعرض المساعدات عليهم.

في البداية كان بهاء الدين يرجع إلى المتسول والسكير نوح صديق جدّه ووالده كلما تراءى له شيء من الحلم، وبعض الإشارات التي تثبت له ان هذا الحلم هو جزء من الواقع الذي

يعيشه... رجوعه إلى نوح يرمز إلى العودة للماضي والتاريخ الذي عاشه العالم العربي لمعرفة حقيقة ضياع البيت، فمن خلال موت زوجة نوح الأولى بانفجار قنبلة من مخلفات الجيش الانجليزي، مرورا بفترة الحكم الأردني على المنطقة والذي كان يعمل فيها بتفكيك القنابل وتركيبها، ثم موت زوجته الثانية وولديه زمن الاحتلال الإسرائيلي، يدل على ان المدينة والمقصود بها هنا العالم العربي تموت وتحيا من جديد، أي تقع تحت الاستعمار وتتحرر، لكنها تبقى حتى في حياتها معذبة؛ تعيش وجعا وألما وسكرا أي تبقى معلقة ما بين الموت والحياة، وما تحذير نوح لبهاء الدين من الناي والصحراء إلا ليأخذ العبر من الماضي ليجيد التصرف في المستقبل.

يقول الكاتب ص ٨٥ "الحقيقة تبقى حقيقة، لكنها أحيانا تكون مؤلمة، رغم أننا نسعى جاهدين لمعرفتها، إلا أنها متى كشفت نحاول تجاهلها، أو حتى يصل بنا التمادي حد إنكارها".

وهذا ما فعله بهاء الدين بعد تعرفه بهيلينا، إذ لم يعد يرغب بالرجوع إلى نوح؛ لأنه أصبح يخشى ان يعيده إلى الواقع المرير؛ فهو يود الاستمرار مع واقع هيلينا الجميل، أو الحلم الجديد الذي يتمثل بهذه الحبيبة التي تحمل في مظهرها الجمال الأنثوي المكتمل في نظره، رغم معرفته بحقيقة أنها ابنة غني يدعم المؤسسات اليهودية؛ لتثبت وجودها في فلسطين، ورغم معرفته ان هناك حقائق أخرى يطويها نوح في داخله.

والد هيلينا يمثل الشعوب الأوروبية التي أهدت أرض فلسطين لليهود؛ ليكفروا عن ذنوبهم التي ارتكبوها بحق هؤلاء اليهود من خلال ما يسمى بمحرقة الهلوكوست على يد هتلر وأتباعه في ألمانيا، فكانت الهدية ممن لا يملك إلى من لا يستحق، والتكفير عن ذنوبهم بهذا الشكل أدى إلى تشريد شعب كامل من أرضه فأصبحوا لاجئين.

وقد أخبرت هيلينا بهاء الدين بأنها قلبت موقفها رأسا على عقب من التعاطف مع اليهود إلى التعاطف مع الشعب الفلسطيني، عندما رأت كيف يتعامل اليهود الصهاينة مع هذا الشعب.

هي أوحت له بهذه الأكذوبة التي صدقها، وراح يجري وراء وهمها، فيما كانت تحاول بدورها ان تخرجه من وطنه تدريجيا لتنسيه قضيته، وطيف عازفة الناي الذي يمثل المقاومة بداخله، بدءا باستدراجه إلى صحراء القدس (الدول العربية المجاورة) حيث وادي القلط باتجاه أريحا والذي يتواجد فيه الدير الذي يتعبد فيه صديقها الراهب، الذي وعدها بمساعدتها ومساعدة بهاء على إخراج الطيف من داخله.

هناك قال لهما القديس أو الراهب بأن الروح عالقة في بهاء الدين، كما كانت عالقة في أبيه وفي البيت، وهذا الأمر ان دل على شيء فإنما يدل على معرفة الغرب الأكيدة بحقيقة أن روح المقاومة خالدة، لا تموت ولا تنتهي أينما تواجد الشعب في الوطن وفي الخارج.

نوح قال الحقيقة لبهاء الدين عن أن عمّه ربحي خسر البيت تحت الضغط الذي مارسه عليه الدائنين جراء لعبه للقمار، فاضطر للتوقيع على بيعه للمستوطنين، على ان يسكنوا فيه بعد خمسين سنة، وأن ثمن البيت الذي دفع لربحي لم يكن المبلغ النقدي الكبير فقط، إنما جرّ وراءه دم جد بهاء ووالده اللذين قتلا على يد الغرباء؛ لأنهما أرادا اللحاق بربحي والاقتصاص منه، ليس خوفا على حياة ربحي طبعا بل خوفا من اكتشاف حقيقة ان البيت سلب منهم بطريقة ملتوية.

هنا يمثل العمّ ربحي الدولة العثمانية بشخص السلطان العثماني عبد المجيد الذي منح فلسطين سنة ١٨٥٦ م للإمبراطور الفرنسي نابليون بونابرت، كهدية لفرنسا كتقدير وعرفان من موقف فرنسا منها إبان حرب القرم(كسداد دين) على أن تستلمها بعد خمسين سنة، ومن ١٨٨١ حتى ١٩٠٣ كانت موجات من الهجرات اليهودية تتجه إلى فلسطين، وفي ١٩٠٦ م أي بعد مرور ٥٠ سنة أعلن المؤتمر الصهيوني قراره إنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين، ومرورا بوعد بلفور ١٩١٧ م وخروج العثمانيين، والانتداب البريطاني سنة ١٩٢١م ، وصولا إلى سنة ١٩٤٨ م حيث أنهت بريطانيا انتدابها على فلسطين، وسلمتها لليهود ليعلنوا في نفس الليلة التي خرجوا منها دولة إسرائيل المستقلة، تمّ هذا الأمر بعد مساعدة بريطانيا وأمريكا والدول الغربية لليهود بإرساء قواعد ثابتة لدولتهم، من حيث

الجيش النظامي والعصابات الصهيونية التي كانت تعيث خرابا، وارتكبت المذابح بحق الشعب الفلسطيني الأعزل، والذي لم يسمح له بالدفاع عن نفسه، فوقفت بعض الدول العربية إلى جانبه، ودخلت مع اليهود في حرب لم تكسبها بسبب وقوف الدول الغربية ومؤامراتها على هذا الشعب.

ذهاب نوح بعد قول الحقيقة إلى السوق، وشراؤه بدلة جميلة، وحلاقة ذقته، يوحي بأنه أراح ضميره، وأزاح حملا ثقيلا عن كاهله، ويؤكد هذا تركه للخمر بعد ذلك.

يوضح الكاتب الحياة التي عاشها العمّ ربحي حيث احتمى بقبيلة بدوية من بئر السبع، ولما عرفوا حقيقته طردوه، أي خروج الدولة العثمانية من الدول العربية. فانخرط بالمجتمع اليهودي حيث تزوج من يهودية ورزق منها بولد، هذا الولد توفي في حادث سير مع زوجته ليقوم الجدّ ربحي بتربية ابنتهما وردة على الطريقة العربية؛ لتنشأ عربية الجسد والقلب، حتى أصبح عمرها عشرين عاما.

نوح كان على علم بهذه الأمور، وكان قد اتفق مع ربحي على قول الحقيقة لبهاء، وأن عمه نادم على ما قام به، ولا ذنب لحفيدته وردة بكل هذا الأمر على أمل ان يتزوج بهاء منها.

زاره الراهب فرانك في فندق امبريال، وأخبره ان البيت والطيف هما نفس الشيء، وعرض عليه ان يتوسط بينه، وبين المستوطن في بيته؛ ليريح كليهما من طيف عازفة الناي، وذهبا برفقة هيلينا إلى هناك، فابنة المستوطن ترى طيف الفتاة العالقة في الغرفة وتخاف منها.

فرانك هنا هو الوسيط الدولي ويمثل أمريكا التي تحتل جزءا من العالم العربي اقتصاديا وثقافيا وعسكريا من خلال مشاريعها وقواعدها في الشرق الأوسط.، وقوله ان البيت والطيف نفس الشيء، يعني اعتراف أمريكا ان منظمة التحرير الفلسطينية هي الممثل الشرعي والوحيد للشعب الفلسطيني، طبعا المقصود هنا عملية السلام التي كان الهدف منها القضاء على المقاومة والمتمثلة آنذاك بالانتفاضة، وخوف ابنة المستوطن من الطيف إذا دل على شيء فإنما يدل على ان الخوف يقض مضاجعه،م ما دامت روح المقاومة موجودة،

والتي لولاها لما تسنى للمنظمة العودة إلى ارض الوطن.

ص ٢٠٢ يصف الكاتب الطريق بين القدس ورام الله والتي يفصلهما الحاجز العسكري، ومعاناة الناس عند المرور منه، حيث يقول ان الحياة عالقة بين دفتي الوهم والحقيقة" أي حقيقة الاحتلال الذي ما زال موجوداً ووهم الاستقلال بالدولة الفلسطينية التي مثلتها هنا رام الله".

فكل حاجز عسكري يفصل بين مدينة وأخرى أو منطقة وأخرى في الوطن، أو بين فلسطين وبقية العالم العربي تسكن فيه هذه الروح العالقة المعذبة، التي ما زالت تتوق إلى الحرية وفك السلاسل عنها، فالفلسطيني أينما سافر يواجه العقبات على نقاط العبور، والبحث عن لقمة العيش.

عزف هيلينا على الجيتار يمثل المفاوضات التي كانت أحيانا تزداد شدتها، وأحيانا أخرى تخف شيئا فشيئا، وانسياق الطيف بالعزف على الناي خلف الهدف الذي أرادته هيلينا ما هو إلا مجاراة المقاومة للمفاوضات، لكن الطيف اتعب هيلينا، ولم يتوقف عن العزف، فالمفاوضات لم تكن نزيهة.

انتحار ربحي، وظهور وردة في حياة بهاء الدين، وانه فتح بيته الآخر وأمواله لبهاء ترمز إلى صحوة ضمير العالم الإسلامي نحو القضية الفلسطينية، وهي أي وردة الوريثة الوحيدة للدولة العثمانية التي كانت تمثل العالم الإسلامي آنذاك، وهذا ما تخشاه الدول الغربية الممثلة بهيلينا، فلم تجد بدّا من التوجه إلى وردة والتصادق معها؛ للعمل على التفريق بينهما على أساس فرّق تسد.

سفر بهاء الدين إلى فرانكفورت برفقة هيلينا وترك وردة خلفه ما هو إلا محاوله الغرب سحب القضية الفلسطينية إلى ملعبهم بعيدا عن العالم الإسلامي والعربي؛ لحلها على طريقتهم، وهنا يذكر الكاتب المعاناة التي يواجهها الشعب الفلسطيني هناك ابتداء من التحضير للسفر، مرورا بالتفتيش المضني، والانتظار لساعات طويلة في معابر الحدود،

وانتهاء بعدم السماح لهم بالعمل، أو التمتع بالحرية في تلك البلدان.

خروج بهاء الدين من نطاق فلسطين إلى ألمانيا هو البحث عن حلّ وسط يرضي جميع الأطراف، من خلال المفاوضات في الخارج، حيث بدأ الكاتب يصف الأماكن والمدن التي يمرّ منها مثل الغابة السوداء والمناظر الجميلة، والبيت على شاطئ البحيرة، هي لم تعطه الفرصة ليستأجر غرفة في الفندق؛ ليبقى تحت ناظريها، في نفس الوقت لم يرحب به والدها، وطلب منها ان تأخذه إلى بيت الشاطئ خوفا على مصالحه مع اليهود، فكانت مسرورة بهذا القرار لتستفرد به؛ فينسجم مع أفكارها ورغباتها بعيدا عن التفكير بوردة التي أعطته رسالة قبل سفره تبلغه فيها ان فتاة الناي ستعيده إليها، مشترطة عليه ألا يفتح الرسالة إلا بعد وصوله إلى ألمانيا.

شرط وردة هذا لم يأت من فراغ، فقد أرادت له أن يعيش التجربة الجديدة؛ ليعرف أنه لن يكون مرتاحا، وسيبقى غريبا في أي بقعة من العالم بعيدا عنها. عن العالم الإسلامي والعربي.

المقصود هنا ان بعض المؤسسات الغربية أبدت استعدادها لمساعدة هذا الشعب، وبعضها رفض ذلك خوفا على مصالحها مع اليهود، فهم يتحكمون بميزانيات تلك الدول؛ لأنهم يملكون رؤوس الأموال الكبرى فيها.

اتفاق الساحر الغجري خوسيا وابنته تويلا، وهيلينا على إخراج الطيف من جسد الفتى إنما يدل على تكاتف الدول الغربية بكل ما أوتيت من وسيلة وقوة على قتل المقاومة خارج ارض الوطن، فكانت النتيجة التي لم تكن بالحسبان، وهي مولد آلاف الأطياف أي ازدياد المقاومة ومضاعفتها كلما حاولوا إخماد نارها، فإذا استشهد مقاوم واحد فسوف يولد بدلا منه آلاف المقاومين.

القدس مدينتي الأولى لمحمود شقير

القدس:١١-١٢-٢٠١٤ – ناقشت ندوة اليوم السابع الثقافية الأسبوعية الدورية في المسرح الوطني الفلسطيني في القدس كتاب "القدس مدينتي الأولى"للأديب الكبير محمود شقير الصادر عام ٢٠١٤ عن منشورات الزيزفونة لتنمية ثقافة الطفل في رام الله، ويقع الكتاب الذي صمّمه شريف سمحان، والموجّه للفتيات والفتيان في ٩٥ صفحة من الحجم المتوسط.

بدأ النقاش **ابراهيم جوهر** فقال:

لم يصرّح الكاتب النشط (محمود شقير) بأن القدس مدينته الأولى والأخيرة بل الوحيدة التي لها بثّ لها شوقه وانتماءه، لكنه بدأ من البداية فقال: الأولى. والقارئ سيستشف هذا الوله بالقدس لدى الكاتب الذي ما كانت حياته بهذه الكيفية إلا بسبب من تشويه وجه مدينته الأولى التي يحمل لها ذاكرة من براءة وجمال وبدايات تفتّح ومعرفة.فبسبب من عشقه لها أبعد عنها، وطورد، وابتعد، وامتهن العمل النضالي ليدفع عن وجهها ما يريد تشويهه.

السيرة كنوع أدبي تحمل تجربة كاتبها وتقدم لقارئها، بأسلوب قصصي فيه من التشويق واللغة وجمال الأسلوب، المعرفة والتاريخ وجغرافيا الأمكنة. إنها لون أدبي صادق وشيق يثري قارئه بالمعرفة ويضع يده على أسلوب تعبير ارتضاه الكاتب لعمله الذي هو مرآة حياته المقذوفة وراءه فيتوقف عند مفاصلها ليقول رأيه فيها وينقل تاريخ المرحلة فيتحقق بهذا فائدة التاريخ للقارئ، وتعريفه بشخصيات ذات أثر في سيرة الكاتب وفي العمل التنويري والثوري والتربوي.

اعتمد الكاتب هنا على المونتاج- التقطيع أسلوبا يقدّم به سيرته فلم يبدأ من نقطة البداية في علاقته مع الحياة والمدينة قبل النكبة الكبرى بل افتتح سيرته بنبأ السماح له بالعودة إلى مدينته التي أبعد عنها قسرا ثمانية عشر عاما، وكأنها ولادة أخرى له، ثم يعود بقارئه

بأسلوب الاسترجاع الفني إلى كيفية تعرّفه على المدينة ويغرف من ذاكرته الحية ما يمتع القارئ ويرسم في ذهنه صورة للبلاد التي كانت.

الكاتب (محمود شقير) وهو يقدم سيرته لفئة الفتيات والفتيان إنما يقدّم خلاصة تجربة أدبية نضالية تستحق التوقف عندها واستخلاص العبر منها. وهو إضافة إلى

هذه الفائدة يخدم لغة القارئ حين يقدم سيرته بلغة حية رشيقة ذات معان وبيان

يروق لفئة قرائه وينهض بلغتهم عن طريق التعلّم بالقدوة، ويلمح إلى أن الغزاة الغرباء لن يقيموا في المدينة وأنهم سيمضون كما مضى من سبقهم لتبقى

المدينة لناسها الذين يؤمنون أنها أمهم الأولى.

وقال **جميل السلحوت:**

يجدر التنبيه أن هذا الكتاب ليس الوحيد لأديبنا الكبير محمود شقير عن القدس، فقد سبق له أن كتب الكثير عن المدينة المقدسة، ومن كتاباته هذه رائعته (ظل آخر للمدينة)التي صدرت عام ١٩٩٨ عن دار القدس للنشر، وأثارت ردود فعل ايجابية واسعة، فقد عاد عام ١٩٩٣ الى القدس التي عرفها منذ طفولته المبكرة، وكيف وجدها بعد غيابه القسري عنها لمدة ثمانية عشر عاما، وقد اعتبر النقاد هذا المؤلف خلطا لجوانب من سيرة الكاتب الشخصية، ومن سيرة مدينته التي تسكنه، وتجلت روعة هذا الكتاب بلغته الأدبية التي شملت سردا روائيا وقصصيا وتأريخيا بعاطفة صادقة، وتوالت ابداعاته عن القدس فكانت مجموعة (القدس وحدها هناك) فرغم عذابات المدينة المقدسة، ومعاناتها من بطش المحتل الذي يسرق تاريخها وثقافتها، مثلما سطا على جغرافيتها، إلا أن استحضار تاريخ المدينة، وما تعرضت له من غزوات، ينبئ بأن مصير هذا الاحتلال لن يختلف عن مصير سابقيه، فهو حتما الى زوال، والقدس باقية مكانها، عزيزة بشعبها "ينشئ الكاتب نصوصه حجرا حجرا،فكأنه يبني مدينته، والجميل مراوحتها بين شكل اليوميات واستحضار التاريخ، ليوحي بأن الفرنجة مرّوا قديما بالمدينة، ولم يستطيعوا امتلاكها".(١) وهذه المجموعة يمكن قراءتها

كقصص قصيرة جدا منفصلة، وكرواية أيضا، ثم جاء كتاب(قالت لنا القدس) وهو جانب من جوانب سيرة المدينة"سيرة مقدسية تناول بها ومعها من جيل الى جيل: هي في جوهرها سيرة المكان الفلسطيني كله، في سبيل الحرية والعدل والسلام".(٢) وفي هذا الكتاب خرج الكاتب عن أسلوب القصّ الى أسلوب يوميات عن المدينة، كانت لافتة خصوصا ما كتبه عن"شبابيك" بيوت المدينة القديمة، وبعدها جاء كتابه (مدينة الخسارات والرغبة) الذي يمكن قراءته كقصص قصيرة جدا وكرواية أيضا.

ولا يعتقدنّ أحد أن الأديب شقير لم يكتب عن القدس إلا بعد عودته الى أرض الوطن من المنفى في أيار ١٩٩٣، فالقدس كانت حاضرة في قصصه منذ بداياته في القصّ، وفي مجموعته القصصية الأولى "خبز الآخرين" فقصة خبز الآخرين تدور أحداثها في القدس القديمة، وقصتاه"في الطريق الى البلدة القديمة" و"متى يعود اسماعيل" يرسم لنا أديبنا جانبا من مأساة وقوع المدينة تحت الاحتلال الاسرائيلي.

لكنه وبعد عودته من المنفى، وقد بلغت تجربته الأدبية ذروتها، أفزعه ما جرى على مدينته من تغييرات استلابية، في محاولة لطمس هويتها العربية، فخصّص لها شيئا من إبداعه السردي، وكأنه يطلق صرخة غير مباشرة لإنقاذ المدينة.

وبالتأكيد فان صدور كتاب "القدس مدينتي الأولى" في هذه الأيّام ليس عفويا، فالمدينة المقدسة تتعرض لأبشع الهجمات التهويدية، وما يصاحب ذلك من تدمير وطمس لهويتها وتاريخها وحضارتها التي تأبى أن لا تكون إلا عربية فلسطينية بامتياز.

وإذا كان كتاب"ظل آخر للمدينة" يشكل شيئا من يوميات وسيرة القدس الشريف، التي عايشها الكاتب، وكيف وجدها بعد ابعاده القسري عنها ما بين ١٩٧٥-١٩٩٣، وجاءت مجموعاته القصصية الأخرى لتتحدث عن المدينة وعبقها وجمالها وتاريخها ودور عبادتها، فان الكتاب الذي نحن بصدده" القدس مدينتي الأولى" يشكل ذكريات الكاتب منذ نعومة أظفاره مع المدينة، إنه شيء من السيرة الذاتية للكاتب مرتبط بمدينتة المقدسة، وإذا كان الكاتب قد جاب عددا من العواصم والمدن في العالم العربي، وبعض الدول الأوروبية إلا أن

روحه وفكره بقيا متعلقين بمدينته التي ولد وترعرع وعاش فيها، فهي تسكنه كما يسكنها هو نفسه، ولا غرابة في ذلك فالقدس بالنسبة للانسان الفلسطيني هي بمثابة القلب في الجسد.

وفي تقديري أن الكاتب جاءنا بكتابه هذا الموجّه للفتيات والفتيان الفلسطينيين خصوصا والعرب بشكل عام، ليلفت انتباههم الى العاصمة السياسية والدينية والاقتصادية والثقافية والعلمية والتاريخية للشعب الفلسطيني، خصوصا وأن جيل الفتيات والفتيان من الأراضي الفلسطينية المحتلة في حزيران ١٩٦٧، وبقية أرجاء العالم العربي محرومون من دخول مدينتهم المقدسة التي يغلقها المحتلون في وجوههم، ويحاصرونها ويمنعونها من التواصل مع محيطها الفلسطيني وامتدادها العربي.

وأديبنا في كتابه هذا عاد الى طفولته المبكرة، ومرحلة تعليمه المدرسي، وبداية نشره لكتاباته القصصية في الأفق الجديد وغيرها، ومعاصرته لاحتلال المدينة بحرب شكلية عام ١٩٦٧، ثمّ انخراطه في العمل السياسي المقاوم للمحتل، وتعرضه للاعتقال وما صاحبه من تعذيب جسديّ ونفسيّ، واضطراره الى الاختفاء وممارسة النضال السري، ليعتقل مرّة أخرى ويتم ابعاده الى لبنان، وتنقله للعيش في عمّان ثم براغ العاصمة التشكية، ثمّ عودته الى عمّان، حتى عودته الى القدس ضمن اتفاقات أوسلو التي أُعلن عنها وجرى توقيعها لاحقا في سبتمبر من نفس العام.

والسؤال الذي يطرح نفسه هو: لماذا ركّز الكاتب في كتابه هذا على شيء من ذكرياته وسيرته الذاتية في المدينة؟ وما هدفه من وراء ذلك؟ وطبعا فإن الاجابة عند الكاتب، وهو يملك الحرية كاملة في خياراته، لكنّني أعتقد جازما أنّ المدينة التي يجري تهويدها وطمس حضارتها وتاريخها تشكل الهمّ الأكبر للكاتب، وأنّه يرى أن الاعتداء على المدينة اعتداء شخصي عليه. فالمدينة لا تشكل للكاتب مدينته الأولى كما جاء اسم الكتاب، بل هي مدينته الأولى والأخيرة، فلا يمكن لمدينة أخرى أن تحتل مكانة القدس في ثقافة ووجدان كاتبنا.

الهوامش:

٢. مي باسيل: عن القدس وحدها هناك-الحياة اللندنية-الاثنين:٢٥ يناير ٢٠١٠
٣. علي الخليلي: ما قالته لنا القدس-جريدة الأيام١٣-٤-.٢٠١٠

وقال **عبد الله دعيس:**

"القدس مدينتي الأولى" كتاب يضم مقتطفات من السيرة الذاتية للكاتب محمود شقير موجهة للفتيان والفتيات.

إن كان الهدف من الأدب الموجه للأطفال والفتيان والفتيات هو بناء روح حب المعرفة لديهم، وتوجيههم نحو السلوك الحسن، والتأثير الإيجابي بهم، وتهيئتهم ليكونوا رجال ونساء المستقبل؛ يحملون هموم أمتهم وينافحون عن قضاياها، فالقدس هي العنوان الأوحد الذي يجمع ذلك كله. فقد أحسن الكاتب عندما اختار القدس لتكون مادة لكتابته وعنوانا لسيرته.

حبّ القدس مغروس في نفوسنا وأرواحنا، ومن حق أبنائنا علينا أن ننشئهم على عشقها وحبها، خاصة وأن الكثير من الأطفال في فلسطين وكذلك في العالم العربي محرومون من زيارتها ومشاهدتها، ومناهج التعليم لا تعطي لهذه المدينة العظيمة حقها. فمن واجبنا أن نربط قلوبهم وعقولهم بالقدس، وأن نجعلهم يعيشوا القدس بأسواقها وحواريها، وأن يشتمّوا عبق التاريخ فيها وأن يتخيلوها ويتعرفوا على شوارعها ومقدساتها وإن لم يستطيعوا زيارتها.

يحاول الكاتب المبدع محمود شقير أن يفعل كل هذا عن طريق كتابة سيرته الذاتية بطريقة مختصرة ومبسطة للفتيان والفتيات. وخلال سيرته يحكي تاريخ القدس، ويسرد الأحداث التي مرت بها منذ عهد الانتداب البريطاني إلى الآن. ولا يكتفي بسرد الأحداث التاريخية، بل يجعل القارئ يعيش الحياة الاجتماعية اليومية لأهل المدينة في الحقب الزمنية المختلفة في الرخاء وأثناء الملمات. وكذلك يتحدث عن الحياة الدراسية في مدارس القدس في الماضي.

استطاع الكاتب أن يوصل رسالة لأطفال القدس عن أهمية العمل الوطني والتضحية من أجل هذه المدينة الغالية، وكذلك أن يعرض أوجه المعاناة التي يقاسيها أبناؤها منذ عقود طويلة، ونقل صورة عن السجون ومراكز الاعتقال الإسرائيلية بطريقة موضوعية، دون أن يؤثر بصورة سلبية على نفسية الطفل وعلى سلوكه.

كانت السيرة دوما مادة خصبة للكتابة الموجهة للأطفال والفتيان والفتيات. وقد استغلّ الكتّاب سير العظماء في التاريخ للكتابة، فجعلوهم قدوة يُحتذى بها، واستغلوا سيرهم لتنمية النزعة الإيجابية لدى الأطفال ورفع مستوى إيمانهم بحضارة أمتهم وثقافتها. أما ما فعله الكاتب محمود شقير فهو كتابة سيرته الذاتية للأطفال، فجعل نفسه محور القصة والأحداث التي مرت في حياته مادتها، وجعل قصته هي قصة المدينة التي عاش فيها، ومعاناته تعكس معاناة أبناء المدينة. وهذا يجعل الأطفال يشعرون أن بطل القصة شخصية حقيقية تعيش بينهم، وأحداثها واقعية وليست ضربا من ضروب الخيال، أو أمرا خارقا كان يحدث في الماضي ولا يمكن أن يتكرر.

حاول الكاتب أن ينمي قدرة الطفل على الإبداع، عن طريق التركيز على أهمية القراءة والمطالعة حتى في سن مبكرة من أجل أن يكون لدى الشاب الثقافة المطلوبة، وكذلك من أجل أن يكون لديه القدرة ليكون مبدعا في المستقبل.

وقد اختصر الكاتب سيرته الذاتية في صفحات قليلة، وبلغة بسيطة تتسم بالوضوح والسهولة حتى تكون مناسبة للفتيان والفتيات، لكن هذا الاختصار جعل السيرة وكأنها مقتطفات من هنا وهناك وأفقدها عنصر الترابط. وأفقدها الاختصار عنصر التشويق والمفاجأة والإثارة الضروري جدا للكتب الموجهة لهذه الفئة العمرية وذلك لدفعهم لمواصلة القراءة والوصول إلى الأهداف المرتجاة من الكتاب.

وقد أدى الاختصار أيضا إلى أن الكاتب لم يركز على الإنجازات الكبيرة التي حققها خلال حياته المليئة بالعطاء، فلم يوضح للقارئ طبيعة عمله السياسي وأهميته، واكتفى بإشارات سريعة تدل عليه، وكذلك لم يركز على نجاحه الباهر في مجال الأدب، وأشار فقط إلى أنه

كان يكتب القصص القصيرة بين الحين والآخر، وبذلك لم يجعل الكاتب نفسه، ربما من باب التواضع، قدوة يحتذى بها.

وقد ذكر الكاتب أيضا كثيرا من الأحداث، مثل النكبة الفلسطينية وحرب عام ١٩٦٧ وحرب الخليج، دون أن يوضحها، مفترضا معرفة القارئ المسبقة لها. وبما أنه يكتب هنا لفئة الفتيان، كان عليه أن يعطي معلومات شافية عن هذه الأحداث المهمة التي قد لا يكون الفتى ملما بها.

وعندما تحدث الكاتب عن تجربة الإبعاد، ذكر المعاناة بسبب فراق الوطن، لكنه لم يمعن في وصف مشاعر الألم والحسرة التي ألّمت به بسبب غيابه القسري عن وطنه، بل تحدث عن أسفاره خارج البلاد، فأظهر الإبعاد كأنه سفر وسياحة قد تستهوي الشباب بدل من أن تبين لهم عظم جريمة الإبعاد عن الوطن.

القدس نبع للابداع لا ينضب، ومصدر إلهام لا ينتهي، وقد أبدع الكاتب عندما جعل القدس محور كتابه ووجه أنظار الشباب إليها، فالقدس تَصنَعُ الرجال والرجال يُصنَعون من أجل القدس. والقدس عنوان للشهادة، والشهداء عنوانهم القدس.

وكتبت **نسب أديب حسين:**

محمود شقير والمدينة

من يُحرم من مكانٍ يعشقه يُصاب بعلة الشوق المزمن إليه، هذا الشوق الذي لا يشفي غليله العودة الى المكان والاطلالة عليه كل يوم، فيبقى المرء يسعى ويطوف في المكان غير مصدق حقيقة وجوده فيه، فهو يخشى لوعة فراق جديد قد يلوح مصادفة. هذا الشوق الذي أصاب الكاتب محمود شقير وهذه اللوعة بفراق القدس طيلة ثمانية عشرة عامًا بعد الحكم عليه بالنفي من قبل سلطات الاحتلال، يدفعانه للبحث عن المدينة والكتابة عنها أكثر فأكثر.

يطلّ علينا محمود شقير في إصداره الجديد "القدس مدينتي الأولى" ليحدثنا عن قصته مع

المدينة، مقدمًا سيرته الذاتية موجها إياها الى فئة الفتيان والفتيات، بعد أن كتب سيرته أو قسما منها تحت عنوان "ظل آخر للمدينة" وصدرت عام ١٩٩٨. هنا في هذا الاصدار نرى القدس تعود وتتربع على عرش كتابات محمود شقير الصادرة مؤخرا، فقد صدرت يومياته بعنوان "مرايا البلاد"، وكتاب "قالت لنا القدس"، "فرس العائلة" رواية، وجميعها تدور أحداثها أو تتحدث عن القدس. وها نحن نقف اليوم أمام كتاب السيرة لهذا الكاتب الفلسطيني الكبير صاحب السيرة الغنية، الصادرة عن منشورات الزيزفونة ٢٠١٤.

نلحظ في هذه السيرة أنّ الكاتب منح مساحة كبيرة لطفولته ومرحلة شبابه وبداية تفتح مداركه ومعارفه الثقافية، فهو يحدثنا عن دراسته في المدرسة الرشيدية وبداية لقائه بالمدينة، وتعرفه على مراكزها الثقافية، يذكر السينما في فصل "أنا والسينما" ومتابعاته لأفلام كثيرة واهتمامه بها، وتحت فصل "أنا والكتب" يُطلعنا على الفترة التي بدأ فيها يهتم بالمطالعة، وهي في مرحلة الثانوية، ويحدثنا عن ادّخاره وشرائه للكتب، وكتابته للقصص الأولى، والنشر في مجلة الأفق الجديد، والنفس الطويل الذي تمتع به، والصبر حتى نشرت له المجلة القصة الأولى. والكاتب يرمي من خلال هذه الأحداث دفع القارئ الشاب للاهتمام بالأجواء الثقافية حوله، وتطوير مواهبه، وعدم الرضوخ أو اليأس، ونرى انّه بنى نفسه وتقدم باستحقاقه الذاتي دون مساعدة أحد.

حاول الكاتب من خلال هذه المرحلة وذكر مشاكساته أيضا التقرب من نفسية الناشئ، وأخذه الى جانبه وهذا توجه مهم وذكي من قبله.

لكن بتوجيه محمود شقير سيرته الى فئة معينة اختصر الكثير، ورأينا قفزات مهمة ما بين مرحلة وأخرى، فأمر زواجه وأطفاله لم نعرفه الا صدفة بعد نفيه من فلسطين.. كذلك نشهد قفزة زمنية عند مرحلة النفي بذكر مشاركته في مؤتمر في هلسنكي ص ٧٢، ليترك ١٨ عاما من المنفى معلقة ضبابية في ذاكرة القارئ... يعود محمود الى فلسطين الى القدس.. يصرّ على اصطحاب القارئ واستعادة ذاكرته في المكان برفقته من خلال جولة في المدينة. ويعود ليبعث بعض النور على مرحلة المنفى والتي تشكل ربع عمره تقريبا عبر الذكريات،

وتعاوده ذكريات أخرى ما قبل النفي.

الفصل الذي جعلني أقف مستغربة جدا أمام شخصية محمود شقير التي أعرفها منذ سنوات عديدة، هو فصل "أختي أمينة" ص٢٨، فقد رأيتُ شخصيته في الفصل تختلف كثيرا عن شخصية محمود شقير التي أعرف. تفاجأت من رفضه بأن تتلقى شقيقته الدراسة الثانوية، خاصة أنّه هو الشاب الذي توسعت آفاقه ومداركه، ولم يعد عالمه محصور بعالم قريته أو قبيلته، فها هو يطالع روايات عربية وعالمية، ويشاهد السينما، ويستمع للمذياع ويختلط بالمجتمع المدني، إلا أنّه ورغم ذلك جاء رافضا لاستكمال شقيقته الدراسة واستعد جيدا ليخيب أمل مدرساتها.

في الواقع كانت ردة فعلي على هذا الفصل كتابة علامة تعجب على صفحته. إذ حتى لو كان رأي الكاتب بهذا الشكل آنذاك إلا أنّه يوجه سيرته لفئة معينة، وهذه الرواية يقف من خلفها هدف تربوي، ولم يحاول الكاتب في هذا الفصل أن يقدم تبريرا لسبب رفضه لدراسة شقيقته، على الأقل لأجل القارئ الناشئ، ولكي لا يدفعه لتبني هذا الرأي، بل ختمه بعبارة جافة "قلنا لها: تكفيك مدرسة القرية الابتدائية". ربما وبسبب تأنيب الضمير الذي داخل محمود بعد سنوات حين وافت شقيقته المنية بعد الإنجاب، أراد ان يذكر حقيقة ما جرى دون تغيير أو تبرير ما، ربما سيرضى بغضب القارئ عليه واستغرابه كجزء من التأنيب الذاتي، وربما لم يصل الى مصالحة داخلية بعد، فاختار أن يذكر الحقيقة دون اضافات.

أثار انتباهي أيضا محاولة الكاتب عدم التشديد أو الذكر التام لوسائل التعذيب، وما لاقاه في السجن من معاناة، حماية لنفسية الناشئ. باستثناء فصل "أختي أمينة" أرى أنّ هذا الكتاب يحمل هدفا تربويا ويلائم الفئة التي وُجه اليها.

لغة السيرة قوية وسلسة ومفهومة للفئة الموجهة اليها، تمَ تقسيمها الى فصول، وجاء هذا التقسيم صائبا في الانتقال ما بين المراحل والمشاهد.

أخيرا استمتعتُ كثيرا بقراءة سيرة هذا الكاتب الفلسطيني الكبير، صاحب القلب الكبير

الطيب والذي لا يمكن لمن يعرفه إلا أن يشعر اتجاهه بالحب والاحترام الشديدين، سيرته التي سمعتُ بعض أجزائها منه، خلال لقاءات وأمسيات جمعتنا، جعلتني بعد قراءتها أشعر بقرب أكبر من عالمه، ولكنني أنتظر أن أراها مقدمة الى القارئ بتفاصيل أغنى موجهة الى الفئة العمرية البالغة، لننهل أكثر من تجربة محمود شقير الغنية.

وكتبت **رفيقة عثمان**:

حضور، ودلالات المكان في سيرة الأديب، أم السيرة الذاتيَّة في حضرة المكان

علاقة المكان بشخصيَّة الأديب محمود شقير

في هذه القراءَة اخترت ان اقدِّم تحليلا أدبيًّا، حول انعكاس شخصيَّة الأديب، من خلال تناوله أسماء للاماكن بأبعادها المختلفة، ضمن مراحل العمر المتسلسلة، وعلاقتها الوثيقة بسيرة حياة الاديب شقير.

ليس غريبًا علينا ان نجد إيليا أقدس الأماكن، وأجملها متربِّعةً في قلب، وعقل أديبنا المقدسي، محمود شقير، كيف لا وهي مسقط رأسه؟

جعل الأديب شقير من مدينة القدس، مكانًا فسيحًا للتعبير عن معاناته التي لاقاها في ظل الظلام، وفي منفاه خارج وطنه، تلك المدينة الزاخرة بالأسرار، والذكريات التاريخيَّة، ألهمت، وحرَّكت ذكريات، ومشاعر أديبنا، المرتبطة في الواقع الذي عايشه، وما زال يعيشه حتَّى الآن، ما بين ماضٍ، ورؤية شموليّة نحو المستقبل.

تسطِّر القدس اليوم صفحات جديدة لسيرة ذاتيَّة، لشخصيَّة من اعلامها البارزة، وفتحت مصراعيها؛ لتستقبل فارسًا غاب عنها سنين طويلة قسرًا. كما ذكر صفحة ٤ "ها أنا ذا عائد إلى مدينتي الأولى بعد غياب قسري دام ثمانية عشر عاماً."

لا بدَّ من ذكر أهميَّة المكان في النوع الادبي، تبعًا للمصادر حول اهميَّة المكان في الأدب " للمكان ملامحه النفسيَّة التي يجسِّدها لنا تاريخه، وطبيعة ما تعتريه من أحداث وتغيُّرات،

وعلاقة مع الآخر تشير دلالة المكان إلى المكانة الاجتماعيَّة، والنفسيَّة للشخصيَّة التي يتحلَّى بها الكاتب، أو الأديب، حيث يصوِّر مشاعره، وحالات الشخصيَّة، المكان يمنح الشخصيَّة هويّتها، ويتحكم في سلوك ونفسيَّة الشخصيَّة. ". (عزام، ٢٠١٠: ٢٢٢)،

الناقد محمد الصفراني، يعرِّف أهميَّة المكان في الرواية: "الفضاء الروائي يضم المكان والزمان، وهما قطباه، ولا يتصور عمل روائي من غيرهما، والرواية هي فن توصيف الزمكان الذي هو في وجه من وجوهه مكان الراوي وزمانه وفي وجوهه الأخرى يحمل ملامح الشخصيات". خلود الفلاح، (٢٠١٢).

لم يبخل علينا أديبنا، في ذكر اسماء، وتفاصيل للمعالم الهامَّة في مدينة الزهراء، بكل ما فيها من أمكنتها، وأزقَّتها، وشوارعها، وحاراتها، وأحيائها، ووصفها كجزءٍ من كيانه: كما ذكر صفحة ٩٥: "رحت أبحث عن مكان هادئ، في مدينتي الأولى التي تفتَّحت عليها عيناي، فبقيت مشدودًا، إليها كأنها أمي التي ولدتني."

اختار أديبنا شقير، عنوانًا لكتاب سيرته الذاتيَّة، وصورة القدس على غلاف الكتاب: "القدس مدينتي الأولى"، ان هذا الاختيار لم يكن اختيارًا عبثيًّا، فاختار الفضاء الفسيح، كحيِّز واسع، وخطَّ سيرته الذاتيَّة، زمنيًّا ومكانيًّا، (زمكنة)، والجدير بالذكر بان هنالك أدباء، وكتَّاب اطلقوا عناوين على إبداعاتهم، لأسماء الأماكن مثل: قصر الشوق – وبين القصرين، والسكَّريَّة، زقاق المدق، القاهرة الجديدة، ثرثرة فوق النيل، خان الخليلي، للكاتب نجيب محفوظ، وايضًا ثلاثيّة غرناطة، للكاتبة رضوى عاشور، وغير ذلك.

اتخذ الأديب شقير من مدينة القدس مسرحًا فسيحًا، للتعبير عن مشاعره الجيَّاشة، وللتعبير عن ذكرياته، وأشجانه، وحنينه للوطن بعد غياب طويل، كما ذكر صفحة ٥١: من وحي المكان، الذي تعمَّق فيها اديبنا بوصف المكان، ونسج ذكرياته الغنيَّة، والمرتبطة بالمكان، وتفاعله مع الشخصيَّات، والزمن؛ باستخدام اسلوب المونولج- الحوار الذاتي، كما ذكر: "الآن أجلس في هذا المقهى الواقع في أول عقبة السرايا، استشعر وقع سنوات خلت، وأناس كُثر مرُّوا من هنا، ثم ما لبثوا أن مضوا."

تُعتبر الأماكن المذكورة والمهندسة، والبيئات التي يعيشها الإنسان، دلالة على شخصيّة الأديب، أو الكاتب، أو الشاعر، فالأماكن المفتوحة، مثل البيت، والساحة، والمقهى، والشارع، كلها اماكن تعبِّرعن الانطلاق والحريَّة، والاستقرار التي استطاع اديبنا أن يصف مشاعره، وخلفيَّة الأحداث من خلالها، وفق حالته النفسيَّة في ذلك المكان والزمان.

اهم ما ذكر من اماكن مفتوحة في سيرة أديبنا شقير: في صفحات الكتاب، من معالم، وشوارع القدس مثل: قصر المندوب السامي- شارع الخليل- بركة السلطان سليمان- المسجد الأقصى-ابو طور- بئر أيوب- فندق الملك داود- الصخرة والحرم- جبل المكبِّر-جبل ابي مغيرة- الشياح- وادي الديماس- وادي ذياب- باب الساهرة- المدرسة الرشيديَّة- حي المصرارة - باب العامود – باب خان الزيت- سينما النزهة- سينما الحمراء- سينما القدس- شارع بور سعيد- باب خان الزيت- عقبة السرايا- – طريق الواد – سوق الدبَّاغة –سوق العطَّارين – كنيسة القيامة – باب السلسلة – سوق القطانين –المسجد الأقصى وقبَّة الصخرة – حي الشيخ جرَّاح – مدرسة خليل السكاكيني - شارع نابلس - الشيخ سعد – ابو عبيدة الجرَّاح – المسرح الوطني الفلسطيني- شارع صلاح الدين- سينما الحمراء.

على خلاف ذلك تطرَّق الأديب شقير ايضًا للأماكن المغلقة أيضًا، كالسجن، والمنفى، والإبعاد خارج الوطن، والتي عبَّر من خلالها عن حالته النفسيَّة المتألِّمة، والتي تعرَّض لها الأديب اثناء منفاه، واعتقاله، وكذلك ما تعرَّض له شعبه من نكبات، ومعاناة في مراحل زمنيّة مختلفة، كما ظهر في صفحات الكتاب من امكنة مغلقة مثل: السجن: سجن صرفند- المسكوبيَّة – سجن الدامون – سجن الرملة – المنفى : صفحة: ٨٦ "كان غيابًا طويلا، وكان عليَّ أن أعيش المنفى بكل تفاصيله المؤلمة والسارَّة."

حضور الأماكن في نصوص سيرة الأديب شقير، كان لها دور هام جدًّا في استثارة الحنين، ونبش الذاكرة الفلسطينيَّة، واستخدام اسلوب - النوستالجيا – العودة بالذاكرة الى الوراء، واستعراض الاحداث التاريخيَّة من خلال وصف المكان الموحى له بالأحداث؛ كما ذكر: " تعود بي الذاكرة إلى الوراء، وأتذكّر أننا لم نعد قادرين على الذهاب إلى القدس من جهة

قصر المندوب."

تميَّزت سيرة أديبنا شقير بذكر الأماكن بشكل حراك دائم بين بلدان عِدَّة: ما بين القدس وعمان، والجزائر، وتشيكوسلوفاكيا (براغ)؛ وغيرها، حيث نجح أديبنا في تصوير مشاعره، وارتباطه بالأشياء، والأغراض المتعلِّقة في تلك الأماكن، وخاصّة في المنفى، لِما لها من دلالة على عدم الاستقرار، والحيرة، والشعور بفقدان الراحة، وهدوء البال، وفقدان الاغراض الثمينة والغالية التي اقتناها أثناء وجوده بالمنفى. كما ذكر: " اين أذهب بهذه الأشياء الحميمة التي يراكمها الزمن في البيت، البيت المتحرِّك على الدوام، لأنه قائم في المنفى، هش، غير مستقر على حال."

مهما تعدّدت الأمكنة في المنافي، ظلَّت القدس حاضرة امام ناظريه دائمًا، حيث خصّص لها أديبنا مكانة هامة في كتاب سيرته، وترتيبها في نهاية الكتاب، لما لها دلالة على استقرار الأديب اخيرًا بعد العودة في مدينة القدس، السيرة بعنوان: "جولة في المدينة". ما زالت المدينة الساحرة تُبهر ناظري أديبنا، وتشدُّه لاستعادة ذكريات المكان، والزمان المفقودين بين حجارة، وأسوار مدينة القدس؛ كما ذكر صفحة ٩٥: "واصلت هبوط الدرجات المؤديَّة إلى باب العامود، اجتزت البوابة التي ما زالت تحتفظ في بهائها، رغم ما شاب حجارتها من شحوب، وقفْت لحظة تحت قوس البوابة، ورحت استذكر من مرُّوا من هنا عبر تاريخ المدينة الطويل."

كما لاحظنا آنفًا، بأنَّ الأمكنة والأشياء التي وصفها أديبنا، أعطت انطباعًا عن الفضاء الفكري، والاجتماعي، والسياسي الذي تحلَّى بها الاديب، وعن نشوء علاقة حميمة ما بين شخصيَّة الأديب المقدسي شقير، وبين الأماكن، والأزمنة، طوال فترة حياته، كما عبَّر عن مشاعره، ومناجاته، ومعاناته، بل استذكر التاريخ المتسلسل لسيرته الذاتيّة من خلال وصفه للأمكنة، وخاصَّة مدينة القدس التي حظيت بحصّة الأسد من مكانة عالية، وحيِز كبيرين.

لا بد أن السرد الاستذكاري لسيرة أدينا شقير، حافلة في سيرته الذاتيَّة، وتمَّ انعكاسها من خلال الامكنة المذكورة أعلاه،

وتُعتبر تلك السيرة قدوةً حسنة تُحتذى بها الأجيال القادمة، وتأريخًا لحياة اجتماعيَّة وسياسيَّة واقتصاديَّة، للقدس وساكنيها، واماكنها، التي تستحق الأرشفة ضمن الذاكرة الفلسطينيّة. أطال الله في عمر الأديب شقير، وجعله من الذين يصونون القدس بكلماتهم الراقية.

خلاصة القول، من القراءة والتحليل للسيرة الذاتيَّة، وجدنا بأنَّ هنالك علاقة تبادليَّة ما بين دلالات المكان، وشخصيَّة الاديب، وما بين شخصيَّة الاديب والمكان.

١. عزَّام فؤاد، ٢٠١٠، المجمع، كليّة القاسمي: ٢٢٢-٢٢٤

٢. عودة، علي، الزمان والمكان في الرواية الفلسطينية"١٩٥٢ -١٩٨٢ ".

٣. بحراوي، حسن، بنية الشكل الروائي: الفضاء – الزمن – الشخصية، المركز الثقافي العربي(الدار البيضاء، ١٩٩٠)، ط.١

.4الفلاح خلود، ٢٠١٢، جريدة الزمان الدولية العدد . ٤٢٩٦

وقالت **سوسن عابدين الحشيم**:

كما هو واضح من قراءة الكتاب ان القدس تعيش في قلب الكاتب ووجدانه، فقد نشأ في شوارعها وأزقتها وحواريها، وتعلم في مدارسها، فكانت نشأته مقدسية الأصول لا يمكن لأي شيء أن ينتزعه منها، غرس طفولته وشبابه في جذورها، فأنبتت فيه روح التشبث والعشق لها. كان صادقا في حبه وعشقه لمدينة القدس، وقد أسماها "مدينتي الأولى، يصف هذه المدينة المقدسة بكل شارع وزقاق، أو مكان يمرّ به، يراجع ذكرياته الطفولية والشبابية بها ويجعل القارئ يتخيل هذه الأمكنة التاريخية العريقة بأسمائها الأصلية، فيرسخها في ذهن الفتيات والفتية الذين يجهلون معالمها الأثرية، نرى الكاتب يتنقل في شوارع وحواري القدس حاملا حقيبته المدرسية كطالب تارة، وتارة اخرى كأستاذ، فهو يسلسل الأحداث التي عاشها في القدس بطريقة شيقة وسهلة، مستخدما لغة السرد القصصي؛ ليوجه رسالة الى القارئ يبين فيها مدى تأثره وولعه بمدينته، والتى أبعده المحتل الغاصب عنها، وكان نفيه حقبة زمنية صعبة من حياة الكاتب، والتي حاول أن لا يذكر تفاصيل هذه المدة في

كتابه، فقد أبعد عن القدس بمساجدها وكنائسها وآثارها وسيناماتها ومقاهيها وشوارعها وناسها، كانت الصدمة قاسية عليه في قرار الابعاد المجحف في حقه لمدة ١٨ عاما؛ ليقضي هذه السنين بعيدا عن مدينته، فقد ترك روحه فيها ويعود ليرى القدس مرة ثانية وتعود له الحياة، حياة تختلف عن الحياة الأولى المليئة بالحركة والنشاط، والتي كانت قبل النكسة وقبل الابعاد، الحياة الجديدة حياة كلها استسلام للواقع المرير، كلها حزن يخيم على البشر والأمكنة، كما ختم الكاتب سيرته بتجواله عند سور باب العامود، يستذكر كل من مرّ من هناك من غزاة وقادة وجيوش وعلماء ومفكرين وأناس عاديين، فيدرك انه في مكان هادئ حزين بلا حركة، في ساعات المساء يجلس في المقهى وحيد....يلخص الكاتب سيرته بتوضيح علاقته بالقدس...فعلاقة الكاتب بالقدس كعلاقة الابن بأمه التي ولدته حيث يقول في آخر صفحة ... مشيت رحت أبحث عن مكان هادئ في مدينتي الأولى التي تفتحت عيناي فيها، فبقيت مشدودا اليها كأنها أمّي التي ولدتني.

وقال **راتب حمد**:

سأبدأ من هناك منتصف الكتاب رغم ما جاء به من ملاحظات سابقة من أحداث في حياة محمود شقير، وكأني أريد أن أبدا الكتابة بصورة أعتز بها بحيث يأخذني أستاذي القدير للغة العربية في المعهد العربي الأردني في أبو ديس؛ لأكتب وأرسم صورة أدخل بها الى باب الذكريات، عندما كان أستاذي محمود شقير يعلمني في ذلك الزمن الجميل، أحضر حصة صفية أكثر ما فيها نشر الوعي والتركيز على ما يدور حولنا، من خلال ربط ما نتعلم بالواقع، وكأن المعلم اليوم خلق ليعطي من خلال صفحات الكتاب بهذا المنهاج العقيم، وأقول إن اكثر ما يستذكر الطلاب بمعلميهم قدرتهم على التعامل الجيد وفتح الآفاق لهم، لا ما يعلمونهم من صفحات الكتاب، فالاستاذ محمود كان يعلمنا من قلبه وحبه الكبير للوطن، وإلا لكان شأنه اليوم شأن الكثير من المعلمين الذين لا يخرجون عن النصّ، أو عن سطور الكتاب بشيء، ويكون مصيرهم الهجر والنسيان، ويحل عليهم ضرورة التغيير كما المنهاج، نعم قد أعدتني أستاذي لأيام رائعة، وأسماء كثيرة لطالما أجهدنا أنفسنا باستذكارها سواء للمكان، وهنا أقصد القدس بأحيائها وحواريها وأزقتها ورسمت أجمل اللوحات

وسجلت ذلك في سجل الشرف للمدينة الخالدة الأبية.

نعم فالقدس ومع ما تصنعه اليوم و تضحي بالغالي والنفيس من أبنائها الأبطال تسير نحو طريق النور الذي طالما سارت فيه كل حركات التحرر العالمية؛ لنيل حقها بالاستقلال والحرية، والأستاذ محمود خير من سار هذا الطريق؛ ليسهل المهمة والمهمات على من يأتي بعده، بلغةٍ بسيطة سهلة جزلة وإن كانت في بعض الأحيان بعيدة عن التشويق، وهذا شأن أي كتابة عن السيرة الذاتية.

وكتبت **رشا السرميطي**:

يعود بنا الأديب محمود شقير في كتابه " القدس مدينتي الأولى " إلى حيث الأحلام العزيزة. العودة التي ندم عليها الكثيرون وفرح بها القلَّة، الذين ما إن لبثوا واعتاشوا مع الواقع الصَّعب حتَّى غادروا من جديد، أو ربَّما باغتهم القضاء ورحلوا للأبد.

في سيرته الموجَّهة للفئة الشبابيَّة، يركِّز الكاتب على بساطة اللغة وأصالة المعنى، متماشيًا مع النَّهج الفكري الرَّائج عند تلك الفئة القارئة، ويتحدَّث عن التفاصيل التي يتداولها هؤلاء الشباب فيما بينهم، الأماكن، توصيفها، الزَّمن وقصر البوح. ويحكي عن دخوله القدس قبل النَّكبة وبعد ابعاده عنها سنوات طوال، ويروي للقارئ، صورة مشاهدته للقدس، عندما كان طفلا، وبعدما شبّ، ووعى القضية، قضية الوطن المكبل بجراح زمان قاس، ربما ستبرأ آلامه يومًا.

جبل المكبر الذي كان حاضرًا في وقت الشتات وتشتّت العائلة في كتابات " محمود شقير" ووصفه للبيوت وخرابها، حياته عندما كان طفلا، وعلاقته بنظَّارته، المدرسة الرَّشيديَّة، المذياع، زياراته للسينما ووالده الذي حضر في غالبيَّة نصوصه، " تلك الأمكنة " كما كتب في صفحة (٢١)، وكلّ تلك الآلام التي عاشها، قام الكاتب بتجسيدها من خلال نصوص جميلة، قصيرة وبسيطة في معانيها، لكنها تحمل رسالة عميقة.

بدايات الكاتب في القراءة وتصفحه لكتب بلا أغلفه، وكأنَّ الطريق المجهول يأخذ الكاتب

دومًا نحو خوض غمار المعرفة وحب الكشف عمَّا هو غير واضح للعلن، أسماء كبيرة بدأ بها محمود شقير، حتى وصل لاكتشاف ذاته الكبيرة، وتعلقه بالكتاب والقلم، بعدما بدأ عمله في قرية قرب رام الله، ومجلة " الأفق الجديد " برئاسة – أمين شنّار، كانت أول بدايات " شقير " للنشر، فقد كانت نصوصه قصصية، لكنَّه سرعان ما تلقى الرَّفض بعدم قبولها للنشر، لكنَّ الكاتب أشاد بدعم رئيس التحرير، إذ شجعه على الاستمرار وتطوير هذه القصص؛ لتكون منشورة يوما ما. وهنا الجلد الذي يقدمه " محمود شقير " لتلاميذه، فلا يوجد كاتب يولد بين ليلة وضحاها، وإن وجد هلاميًا مزيَّفا سرعان ما يزول ويفنى..

هزيمة حزيران ١٩٦٧، وما تبعها من هزيمة للواقع في المدينة، ودخول السجن تجربة أغنت الكاتب، وأضافت على حياته الكثير، يتطرّق في سيرته للفتيان والفتيات على ذكرها بتفاصيل قصيرة جدًا، ربما لملائمة ذوق هذا الجيل قصير البال على القراءة. وما بعد السجن وكوابيس الواقع، تفاصيل المشهد، أسواق المدينة باب خان الزيت والأقواس، طرقات عابرة وذكريات منتظرة للتدوين، قهوة وتأمل عاثر، شكل حربًا داخلية لدى الكاتب في معايشة هذا الواقع، بعد اقتحام منزله من قبل الشرطة، وما كان بذلك الموقف من مهانة وإذلال، انتهى بالكاتب لما أورده لاحقًا- المنفى. المنفى الذي تحدَّث عنه شقير، بعد مكاني، لكنه خلود روحي رجع بالكاتب بعد سجنه من معتقل للآخر، حتى وصل أوروبا مبعدًا عن وطنه، وما بعد الابعاد كانت العودة. وتبقى القدس حاضرة في خاصرة الوجع الفلسطيني وآلام القلم.

وكتب **فراس عمر**:

القدس في نظر الكاتب الفلسطيني محمود شقير مدينة أبدية تسكن في وجدان الكاتب وخياله وأفكاره. يواصل الكاتب الفلسطيني محمود شقير الكتابة للفتيان والفتيات من خلال تعاون وطيد وعميق مع جمعية الزيزفونة لتنمية ثقافة الطفل برام الله، والتي أخرجت للنور العديد من إبداعات شقير القصصية والروائية لطلاب المدارس من فتيات وفتيان أو أطفال دون سن العاشرة، وها هو يكتب شيئا من ''سيرة'' ذاتية، في ''القدس مدينتي

الأولى'' التي عاش بعض تفاصيلها في المدينة المقدسة، مدينته الأولى، القدس.

''القدس مدينتي الأولى''، الصادرة عن ''منشورات الزيزفونة''، برام الله، هكذا يعنون شقير هذه السيرة، فهل كان يقصد شقير بالأولى تلك المدينة العريقة من وجه القدس الذي عرفه قبل الاحتلال؟ ربما أراد أن ينفي تعلقه الوجداني بأيّة مدينة أخرى، فأصرّ على إضافة المدينة إلى الذات لتصبح ''مدينتي''، يا الله! ألهذا الحد يستولي الحنين على الأشخاص ليذوبوا في المكان ويتّحدوا معه؟

سيرة ذاتية: يتناول شقير في هذه السيرة، عبر ٩٥ صفحة من القطع الصغير، جوانب من حياته التي عاشها في المدينة المقدسة؛ طفولته وشبابه وكهولته بعد أن تركها مجبرا على الرحيل عنها، ويسجل فيها بعض ظواهر المدينة في الأربعينات من القرن العشرين وحتى إبعاده عنها، والعودة إليها مرة أخرى لتكتمل الدائرة في القدس، فيتحدّث شقير عن تعلمه في مدارس المدينة، وعمله معلما في بعض مدارسها، وتجواله في شوارعها، وتأمله لبناياتها وملامحها، ليعيش واقعها الحالي بصورتها القديمة المختزنة في الذاكرة!

كما يتحدث شقير عن اشتغاله بالسياسة، وتفرغه لها تفرغا كاملا، ليصبح ناشطا سياسيا، يعرّضه ذلك للملاحقة والاعتقال الإداري، ويضطرّ أحيانا للتخفي بعيدا عن عيون الاحتلال، حتى يقع أخيرا بين أيديهم ليتمّ إبعاده!

الحنين إلى المدن

لا يطيل شقير في الحديث عن المنفى والمدن التي عاش فيها، على الرغم من أنه عاش ١٨ سنة في المنافي، وجرّب مدنا كثيرة من بيروت إلى عمان وهلنسكي وحتى براغ، إلا أنه لم يتحدّث عن تلك المدن بالتفصيل غير ما قدّمه من ملحوظات عامة حول الوضع النفسي الذي عاشه منفيا يعاني من عدم الاستقرار، حتى يسمح له بالعودة عام ١٩٩٣ مع مجموعة من العائدين بعد اتفاق أوسلو الموقع بين منظمة التحرير الفلسطينية وإسرائيل، ليعود إلى مدينته الأولى.

يعاود الحنين شقير من جديد، فيسير في شوارع المدينة، وكأن وجهها الحالي لم يعجبه، فسرعان ما تقفز صورة المدينة الأولى إلى الذاكرة، تلك المدينة التي تغص بالذكريات والجمال والوطن، إذ لم يصب هذا الوجه بالتشوه، فلم يبرح ذاكرته، وكأنه يريد أن يثبت وجه المدينة الأصيل الذي عرفه، قبل أن تغيّر دولة المحتلين الملامح والأبنية والوجه والطابع!

ذاكرة وأحداث

توظف السيرة اللغة البسيطة البعيدة عن تقنيات التعقيد اللغوي، فيسرد الكاتب ببساطة أحداثا وقعت له، تتناسب وأعمار هؤلاء، وتحبّب إليهم المدينة.

والقاطن فيها لم يبرحها ولم تبرحه، وتعيد إلى الأذهان حقيقة البعد الحضاري والثقافي والسياسي للمدينة.

تظهر هذه السيرة المقتضبة أن ذاكرة شقير مكتنزة بالأحداث العميقة، التي تؤهله لكتابة سيرة موسعة، يتحدث فيها بالتفصيل عن بعض ما سكت عنه أو لم يشأ أن يستفيض فيه، فهل سيكتفي شقير بهذه المقتضبات، فتضيع كثير من الأحداث التي مرّ بها ومرّت بها القضية الفلسطينية، والعمل السياسي الحزبي في فلسطين؟

عدا التوسع في بيان حقيقة الوضع الاجتماعي بشكل عام للمدينة، الذي بدا باهت الحضور في هذه السيرة بحكم أنها محددة الهدف في التعريف بالرابط الوجداني بين المكان والكاتب، وموجهة لفئة من القرّاء، لا يعنيها من الأحداث أو الأفكار أكثر مما طرح في ''القدس مدينتي الأولى''، مع العلم أن هناك كتبا للمؤلف قد تناول فيها جانبا من سيرته الذاتية ككتابه ''مرايا الغياب''، أو كتابه ''ظل آخر للمدينة''، إذ يتناول فيه الحديث عن مدينة القدس كذلك. وأخيرا، ما الذي تضيفه هذه السيرة لأدب الأطفال؟

إن ''سيرة'' الكاتب شقير هذه، تعدّ سبقا في أدب الأطفال، إذ أنها تناولت سيرة الكاتب نفسه، بعد أن كنا نقرأ لكتّاب كثيرين سيرا غيرية لأبطال تاريخيين وسياسيين، تأتي هذه السيرة بفتح جديد في التعريف بالكاتب نفسه بلغته هو، مع شيء من الارتباط بالمكان

والأحداث الكبرى، فربما كان محمود شقير هو صاحب الريادة في كتابة سيرة ذاتية للأطفال، وهو بذلك يضيف بعدا جديدا لأدب الأطفال في الأدب العربي بشكل عام، وفي فلسطين بشكل خاص.

يذكر أن محمود شقير، من مواليد جبل المكبر في القدس سنة ١٩٤١. حاصل على ليسانس فلسفة واجتماع من جامعة دمشق (١٩٦٥)، ونائب رئيس رابطة الكتاب الأردنيين وعضو الهيئة الإدارية للرابطة لمدة عشر سنوات ١٩٧٧ – ١٩٨٧. وهو عضو الأمانة العامة لاتحاد الكتاب والصحافيين الفلسطينيين ١٩٨٧ – ٢٠٠٤. نشر العديد من القصص والمقالات الأدبية والسياسية في صحف فلسطينية وأردنية وعربية.

نال عديد التكريمات من بيت الشعر الفلسطيني بالبيرة في رام الله، فلسطين (٢٠٠٧)، ورابطة الكتاب الأردنيين في ملتقى السرد الأول بعمان (٢٠٠٨) وجامعة فيلادلفيا بالأردن (٢٠٠٨) ودار الأسوار في مؤتمر أدب الأطفال الثالث بعكا (.(٢٠٠٨

صدر لشقير العشرات من الأعمال الموجهة إلى الأطفال منها ‘‘الحاجز‘‘ و‘‘الجندي واللعبة‘‘ و‘‘أغنية الحمار‘‘ و‘‘مهنة الديك‘‘ و‘‘قالت مريم – قال الفتى‘‘ و‘‘أنا وجمانة‘‘ و‘‘طيور على النافذة‘‘ و‘‘الولد الذي يكسر الزجاج‘‘ و‘‘تجربة قاسية"

ظلال قلب لصابرين فرعون

القدس: ١٨-١٢-٢٠١٤ ناقشت ندوة اليوم السابع الثقافية الأسبوعية الدورية في المسرح الوطني الفلسطيني في القدس باكورة اصدارات الكاتبة الشابة صابرين فرعون "ظلال قلب" الصادر في الأسابيع القليلة الماضية عن دار فضاءات في العاصمة الأردنية عمان. والكتاب عبارة عن مجموعة نصوص تقع في ١١٧ صفحة من الحجم الصغير، وصممت غلافه الفنانة داليا بدرية.

بدأ النقاش **ابراهيم جوهر** فقال:

هي ظلال قلب وليست قلبا!يضع العنوان قارئه في ظلال المعنى منذ البداية؛ إنها الأحلام المبتورة، والرسائل التي لم تصل، والأمواج الزائفة ، والذئاب المكشّرة.في عنوانها لمولودها البكر (ظلال قلب) تنقل الكاتبة (صابرين فرعون) وجعها ووجع وطنها في اغترابهما المتقاطع حينا والمتّسق أحيانا أخرى، وتنقل الغش والخداع والأمنيات التي تصادرها قسوة الواقع بناسه وأحزانه وإخلاف وعوده.الغربة هي سيدة الموقف في (ظلال قلب) والاغتراب هو السكين النشط وهو يحزّ المفاصل والأعصاب، والبحث عن الصدق وأهله والرغبة في الهدوء والحياة هي زبدة الكلمات ولوحات المعاناة التي استفزت الكاتبة فكانت هذه الظلال التي لفّها الغموض حينا، وأومأت إليها روح الصورة ولغة التعبير الغاضبة حينا.تنتقد (صابرين فرعون) برمزية مكثّفة النفاق البشري، والكذب، وخيانة الأصدقاء، وتورّم المدن. وهي تمتشق حرفها المحاصر المقهور في محاولة لتكوين كلمة ردّدتها وكررتها (أحبك...) للإنسان والوطن والحياة والمستقبل. الحب في ثنايا حروف الكاتبة هو المفقود، والبديل الذي يحلّ محلّه هو الكذب والخراب، وهذا ما يؤرق الكاتبة فيدفعها للصراخ المكتوم بالرمز.يلفت الاهتمام في (ظلال قلب) لغة الكاتبة التي تقترب كثيرا من

تكوين الصورة الفنية النابضة بالدهشة والجمال، لكنها لا تطيل التعبير والتكوين، وتختزل لغة التعبير مسايرة لحالة الغموض والضياع والظلم الاجتماعي القائم في مجتمعنا.ويمكن للقارئ الوقوف على حالة الاغتراب التي سيطرت على الكاتبة بعد اطلاع سريع على عناوين نصوصها التي تمحورت حول (الوجع، والخسران، والغرق، والنقص، والندم، والظلال، والماء العكر، والدموع، ونايات الغربة، والضحايا، والصراخ، والروح العاقر، والعثرات، والخيانات، والدم، والقلب العليل). وهذه المفردات شكّلت معجم الكاتبة التي استعانت به لتنقل مأساة بنات جيلها وهن يعانين من ظلم المجتمع والوطن المحتل بالاحتلال والزيف والخداع.يمكن قراءة نصوص (ظلال قلب) بلغة القهر والخيبة والأحلام الضائعة في عالم من الزيف يبحث إنسانه المعذب عن خشبة خلاص وزهرة أمل.

وقالت **رشا السرميطي**:

بدأت الكاتبة -صابرين فرعون- إهداءها لهذا الإصدار، مجيبة على سؤال قد يتبادر لذهن القارئ، الذي ملَّ من غزارة الإنتاج الأدبي الذي غزا أسواقنا المحليَّة، وكأنَّها قبل أن تدعوه كي يقرأها، فيقرأ كتابها، قالت له:" أكتب ليبرأ الجرح، ولتظمأ الأرض، ولنبقى على قيد حلم، أكتب بلسان القهر والغربة والوجع، لأشكر كل من أهداني وأسرتي وجعًا، فقد جعل مني أكثر عزمًا، وتصميمًا للوقوف في وجه الذُّل .... أكتب من أجل أنثى أوصدت الأبواب في وجهها، وقيل لها أنت ضلع أعوج، وأولاً وأخيرًا أكتب لبذرة زرعت في روحي اسمها فلسطين، ولك أنت يا هديَّة الرُّوح.." ص٥ ظلال قلب؛ الكتاب المصنف بنوع النصوص الأدبيَّة، والصَّادر عن دار فضاءات للنَّشر في (١١٥) ورقة، كتاب حمل من غلافه، وشكر كاتبته،أضواء واضحة الألوان، حول ما هية النُّصوص ومواضيعها، وكذا حالاتها الشعوريَّة، وكأيِّ كاتب فلسطيني، قامت صابرين بتوظيف وجع قلمها في نصوص عديدة، عن الحبِّ والوطن وأهله، كتبت عن حياة اجتماعيَّة قارصة، وعن مكر انساني بالغ الأسيى، ولم تنس وجع الرُّوح على أرضها، حين جثيَّت ممدّدة بلا حراك، كموتة لم ينته بعدها الأجل. وما أضاف على وضوح مدخل كاتبتنا للنصوص، ما قد رفعت أشرعته الكاتبة مرمر القاسم حول كتابها، في الغلاف الخلفي للكتاب، فبدا للقارئ أيُّ رحلة قد

يتوَّجه معها، وإلى أين هو ذاهب على بساط كلمات "عنات" وهي كنية أحبت الكاتبة أن تكون لها، وبها قد اشتهرت عدة نصوص حملت هذا الاسم.

غلاف الكتاب حمل لوحة رسمتها الفنَّانة المقدسية- داليا بدريَّة، يظهر بها حصان أصيل وعليه سيف وخنجر، وإلى جانبه عروس بالثَّوب الأبيض تماهت ملامحها، وظهرت من شدة بكائها مطأطأة الرَّأس، بين يديها باقة زهور. الألوان البارزة: أزرق يدلُّ في حلكته على الغموض والعمق، بنيٌّ بالعديد من درجاته له لون الدفء والتراب، وربما كانت دلالته الوطن الرجل الحقيقي، الأبيض نقاء لم تلطِّخه الأحداث، والزَّهر بألوانه عنوان للفرح، القمر الهلال بداية جديدة على قارعة النَّص نحو تغيير، ربما قصدت به الكاتبة أن تومئ للقارئ، بأنَّ الظروف مهما قستعلى كاتبها، يجب أن يلملم شتات تمزُّقاته، ويمضي نحو الأفق من جديد، متحديًا واقعه مهما كان غليظًا.بدأت صابرين كتابها عن الوطن الضَّائع، وتأوهات الحاضرين عبر تاريخ يتحطم على حقائق أحداثه، أتبعت تحدث الأزهار والشمس والليل والطبيعة التي رافقت رحلتها، وقد بدا الوطن عنوانًا كبيرًا ملأ نصوص كاتبتنا. قلم عاشقة حدَّثنا عن غربة الوقت ومجتمع محتلٍ ممنوع به الحب، تراق بها الدِّماء وتستباح به الحرمات. تابعت في قصص اجتماعية ومواقف حياتية يمرُّ بها الانسان بفطرته المألوفة، ذكرت تجارب قلمها بلغة عالية، مفهومة، صعبة، ذكيَّة، عاليَّة الرمزيَّة.

ملاحظات عامة:-

عمق الكاتبة وبروز الفلسفة والتحليل فيما أوردت من نصوص رغم صغر سنِّها، وقد برز ذلك في نصِّها:" من رحم حرة أتيت، من نبض امرأة الثَّورة، من بلاد يقرأ عنها العرب في الصحف، ويستمعون للشجب والاستنكار.." ص.٩

- عذوبة الكلمات وأناقة توصيف المعاني، والرِّقة الغالبة، حيث تقول: " سل سرب النورس/ وحديقة السوسن/ عن جوريَّة حمراء/ ماذا فعلت بدمي/ سل آدم يا بحر/ عن رفيقة من عرق التراب/ أسكنت جوع الولد..". ص.١٤

- الكتابات الثَّائرة المتمردة على القضايا العديدة التي طرحتها الكاتبة، أذكر منها:" لن نركع/ وخلف تلال الغيم/ ضاقت الأرض/ وخط الدم/ لسيِّدة الشريان/ على كل ذرة من ترابها/ صرخ الولد/ ثار الحجر/ رقصت ملائكة السَّماء/ ونادى الشَّهيد الأحياء/ حي على الجهاد". ص.٢٥

- وجع الوطن وتأوهات الحاضر الذي ترى به كاتبتنا الأمل ضئيلاً، تقول:" البرد والقبيلة/ تتحدى بعضها/ تعبئ أحلامها/ في كؤوس الحقد/ تجعجع/ تغتاب/ تبيع الأوطان/ مقابل ظل آخر/ .." ص.٢٧

- الغموض سمة بارزة في نصوص الكاتبة، فقد يحتاج القارئ لوقفة تأمليَّة لفهم مقصودها.

- جاء العديد من نصوصها محاكاة للذَّات، فقد حدَّثت النَّفس عن مطالبها واحتياجاتها، ندمها وألمها، عشقها وبكائها، فرحها وترحها، والأوقات كانت عندها كالمواسم.

- ارتحال الكاتبة ما بين نصوصها كان مثل محطات، تحمل القارئ مرافقًا لها، تصوغ الفكرة كمشهد يتلقاه، تتركه متفاعلاً، ثمَّ تغادر فجأة لتترك خلفها الأخيلة والظلال، ولا تتوقف بل تتابع لمحطة أخرى ومشهد ثانٍ به تبرز أفكارها.- بدت الأصالة واضحة في نصوصها، فقد ذكرت عدة مدلولات لتراثنا وهويتنا الفلسطينية، أذكر منها، القمح والمنجل، الخيمة، الثوب، الكحل، البرتقال، الضفيرة، فنجان القهوة، العقال الفلسطيني، الزَّيتون وحلمنا بالعودة.- هناك أمل، يبزغ من بين ظلال القلب المظلم بسبب بؤس حاله، تقول:" لكل أسئلة الغياب/ زهرة تخرج من النَّص/ بلا قافية/ تعري شفاه الخريف/ وتشفي القصيدة/ ويكتب القمح/ ثورة العشق/ ونتجرع قهوة الشوق على مهل/ فتتوازى الظلال.." ص٥٦.

- النُّصوص أحيانًا كانت قصصية السرد بقالبها تصلح لأن تكون أقصوصة، وربما

لو تفاعلت الكاتبة مع أحداثها لصنعت منها رواية، مثال ذلك النصوص: شريعة، عثرات، خيانات، وغيرها.

- اللغة عالية، برزت سمات الأدب على قلم الكاتبة صابرين فرعون، فجاءت التشبيهات والرمزية متينة الصياغة، وجذابة للقارئ رغم عدم سهولة فهمها إلا أنَّها كانت بليغة وراقية في نقشها.

وأخيرًا؛ الكاتبة صابرين فرعون (عنات) أظلَّت قراءها بكتابها " ظلال قلب " الذي حمل فكرًا وتجارب عميقة، بثَّها لنا بأسلوبٍ راقٍ، وصيغةٍ هادئةٍ تحتاج تأملاً عميقًا لأخذ العبرة، ومسح العَبرة، ويبقى لقارئ نصها كلمات يضمها كلما احتاج إليها، أو ربما أوجعته الفكرة فاشتاق لضمِّها، ولم يجدها في حياته. صابرين تسجل في اصدارها قلمًا قويًا يرنُّ في ساحة الأدب الفلسطيني، وهي التي رغم صغر سنها وتجربتها الحياتيَّة جاءت لنا بذلك، فغدًا نتوقَّع منها الكثير.

وقالت **نسب أديب حسين:**

قسمت صابرين نصوصها الى فصلين، الأول تحت عنوان (وطن ضائع) والثاني (آيات الغيم)، هكذا وتحت عناوين مميزة وذات بُعد أدبي وبلاغي تأتينا إطلالة نصوص صابرين. لتتعرضَ النصوصُ في القسمِ الأولِ الى قضايا الوطن وجراحِه، أمّا الثاني فهي مواضيعُ رومانسية، واجتماعية.

لغةُ صابرين قوية وهي ذات حدّين، فأثناء القراءة تمرّ على تعابير وصور جميلة، لكنّ الرموز معقدة.. تسهب في مضيها الى الرمزية، ليبقى النص غامضًا عصيًا على الوصول الى مرادِ الكاتبةِ. كذلك لاحظتُ أنّ هناك منظومة من الكلمات تعود وتتكرر هي ومشتقاتها في معظم النصوص وهي: (كلمات، لحن، حرف، كلام، أغنية، قصيد، أبجدية، غيم، غريب، فنجان قهوة، نبض، مجاز..)، بين نص وآخر تتغير التراكيب وبنيوية الجُمل، هذه التراكيب قد تفيد أحيانًا الى معانٍ مفيدة وفي أخرى تقودك الى تيه وأنت تبحثُ بين الصلات، وتعود

مع تكرر الكلمات لتتساءل عن السبب في التكرار؟ وعن الثروة اللغوية.

توقفتُ مليًا أمام نص (رؤيا) على سبيل المثال في المقطع الثاني تقول (جنون القصيد\ طفل الغيمة\ التي روض تفاحها\ وجه الرغيف) فوجدتني بعد تأمل طويل أقف أمام عبارات جميلة، لكنني فشلت في الوصول الى الهدف منها أو من النص ككل عندما رحتُ أبحث عن صلات في شطر آخر (تضاريس الليل مشبعةٌ\ بفواصل الرقص\ وهفوة النعاس الشهي..\ يستيقظ ضلع أعوج آخر\ على أعشاب المواعيد\ وفنجان قهوتها الصباحي\ ترتشفه\ من منقار الطائر\ الذي\ صنع من القش\ فتيلا\ وأضرم النار\ على حواف الخافق\ وصنع للقطار سكة\ تجوب\ عوالم الشوق\ اليتيمة(!!

تأملت هذا النص كثيرًا وحاولت خط الصلات ما بين الكلمات لكنني وجدت الكثير من الصور التي تقود أحدها الى أخرى دون الوصول الى سبب أو هدف.

وهنا أقول بأنّ كتابة الرمز الأدبي هي مهمة، وفي أحيان كثيرة الرمز عامل مهم في اثراء النص لغويًا، لكن يجب أن يكون للرمز مفتاحًا يساعد القارئ، والتوغل في كتابة رموز متلاحقة يصعب الكشف عن مرادها، سيدفع القارئ للابتعاد عن النص. في رأيي أنّ الكتابة يجب أن تكون فعلا هادفًا يحمل رسالة واللغة هي أداة لنقل الرسالة، ومن المهم أن يطور الكاتب أدواته لكنّه يجب أن يبقي طريقًا مفتوحًا للقارئ، وإلا ستغدو الكتابة فعلا ذاتيًا، وكتابة الجمال أو الأدب لأجل الأدب وهذا غير محبذ وفي رأيي الشخصي غير مجدٍ، خاصة لكاتب في إصداره الأول ويحتاج لجذب القراء إليه.

وهنا لا أقول بأنّ النصوص جميعها جاءت غامضة فشمل الكتاب نصوصًا مفهومة وذات رسائل واضحة ، ففي نص (وطن) ص ١٧ مثلا شهدنا دمجًا ما بين الرمز واللغة القوية السلسة؛ لتقودنا الى نص جميل ذي رسالة هادفة. كذلك الأمر ينطبق على النص الأول في فصل الكتاب الثاني والمعنون ب "كحل عربي".

من الجمل والعبارات التي أعجبتني في الكتاب (القدس ليست جملة اسمية تعارض رام الله

في جملة فعلية)، (قلوبنا المجعدة بالذكريات)، "بالغار والدمع توضأ الغياب".

ختامًا سارت صابرين فرعون في كتابها الأول على خيط دقيق ما بين جمالية اللغة وبلاغتها، وما بين الجمال اللغوي الرمزي الغامض، ومالت أكثر الى الطرف الثاني، هذه الرمزية الشديدة تحول أحيانًا كثيرة ما بين النص والقارئ، فآمل أن تأخذ الكاتبة هذا المعيار في أعمالها القادمة.

وكتب **رفعت زيتون:**

لا أنكر دهشتي، ولكني بالمقابل لا أستغرب هذا التطور الذي وصلت إليه أديبتنا صابرين فرعون، وذلك لأنني عرفتها مثابرة، متحدية، تأخذ بالنصيحة وتعمل بها، استعانت بالآخرين ولم تنكر عليهم ذلك، ولم تتسلق على أكتاف الآخرين كما يفعل الكثيرون من أنصاف الكُتاب.

صابرين اقتربت من ينابيع الشعر والأدب أمثال أقطاب ندوتنا الكرام، أخذت شيئا من رحيقهم، ومن هناك بدأت. واليوم أجد أن حرفها قد اشتدّ عوده، وفاح عطره، وأزهر ورده. وللأمانة لا أقول أنها قد بلغت ما تريد بهذا الكتاب، أو أنها روت ظمأ قارئ متتبع لخطوات قلمها منذ أن بدأ سيره، ولكنها أقنعتني كقارئ أنها قد وضعت قدميها على أول الطريق، بل إنها اختارت طريقها بشكل صحيح للوصول.

ما قرأت هنا من نصوص أخذ طابع الخاطرة أحيانا والقصيدة النثرية أحيانا أخرى.

الأولى لم أستغربها والثانية أدهشتني. وعند الحديث عن الوجه الحسن فإن أيّ خدش فيه سيظهر سريعا كالنقطة السوداء في سطح أبيض.

وما قرأت من نصوص في أغلبها صفحات بيضاء سأعرض دلائل عليها من أحد النصوص، وكذلك ولإتمام الفائدة وهذا أحد أهداف ندوتنا لا بدّ من التنويه إلى النقطة السوداء كي نمحوَها في قادم الأعمال.

تقودنا النصوص التي قدمتها صابرين فرعون إلى الجدل القائم على استخدام الرمز في الشعر العربي أو الخاطرة. فالرمز الأدبي سلاح ذو حدين، فإذا استخدمه الكاتب بذكاء ومهنية كان ذلك مصدر قوة للنص ودليلا على قدرة لكاتب على الكتابة الإبداعية. أما إذا كان استخدامه بطريقة خاطئة فإن ذلك يحول النص الأدبي إلى لغز لا يفهمه إلا كاتبه، وبذلك يفقد النص رسالته وهدفه الذي كتب من أجله. وهنا نضع النصوص التي قدمتها أديبتنا على هذا المحك، ونتساءل هل استطاعت صابرين أن تقدم الرمز بذلك الاسلوب المبدع أو أن الغموض قد طغى عليه؟

الجواب سيكون متفاوتا حسب قدرة القارئ على الغوص في أعماق النصوص؛ ليخرج بصيد يقوده إلى الفهم. وليس بالضرورة فهم ما تريد الكاتبة، وإنما فهم متكامل لفكرة استطاع القارئ أن يبلورها في ذهنه.

النصوص المقدمة هنا حملت من هذا وذاك، فمنها ما كان له مفاتيح لازمة للترابط الموضوعي الذي يقود إلى الفهم، ومنها ما اختفت فيه المفاتيح، فلم يفهم القارئ تلك النصوص، وهنا تأتي النصيحة بالتفكير للأعمال القادمة أن نستخدم الرمز بطريقة تقدم بعض المفاتيح اللازمة للقارئ، وأعتقد أن ذلك سيجعل العمل القادم أكثر تمييزا.

طبعا لا ننسى أن هذا هو العمل الأول للكاتبة، وعادة نرحب بفكرة الكتابة الأولى إذا كانت تستحق، واعتقد أننا أمام مادة تستحق الاهتمام وقلم يجب رعايته. فمن يأتي بهذه الجمل الشعرية الجميلة والمتقنة يستحق كل ذلك. وبعض الدلائل على ذلك:

-لا يطيب لي وداع الياسمين من – قبلات الياسمين ص١٢

-امرأة من تخاريف الوجع تنجب حبا من – قبلات الياسمين ص ١٣

-لا ظلّ في الماء من – وطن ص ١٧

-دعها لا تستأذن الوقت وتخبئ لك بين ضلوعها خطوات العشق

من – مجزرة العشق ص ٢١

-ذبحت أنوثتها وعبأ حراس المعبد دمها في محابرهم من – نداء الغريق ص٢٩

-العتمة عاقر لم تنجب يوما من – بوح الفنجان ص٣٥

-لروحي أجنحة تقذفني إليك من – حكايتي والنوم ص ٤٩

-مجنون أحصى حبات المطر فما زاده الماء الا عطشا من – دمعة ص٦٤

- أتعثر في الرماد من –صرخة الحمام ص٧٩

-من خصوبة كفك الاخضر تعيرني أغنية الحلم من ظل ص١٠٤

ومثلها كثير كثير، فالكاتبة اشتغلت بشكل جيد على الجمل الشعرية، ولكن كما أسلفت فهناك ما استعصى على فهم القارئ.

أردت التركيز على بعض مواضع الصنعة والجمال للأخذ بها ولتعزيزها فائدةً واستزادة.

وبعد هذه الجمل الجميلة تأتي قضية الربط الموضوعي ليخدم اللفظ المعنى، فإلى أي مدى وصلت الكاتبة في ضبط ذلك؟ الجواب هنا كما قلت سابقا يختلف من قارئ إلى آخر حسب قدرته على التحليل والغوص.

قضية أخرى أردت الحديث عنها والتنويه لها، وهي عكس ما ذكرت سابقا، ألا وهي المباشرة الزائدة في بعض الفقرات والنصوص وهذا ليس عيبا، ولكنه أقل إبداعا من الكتابة غير المباشرة، ولكنني أردت أن أتحدث عن الخلط بين المباشر والرمز في نص واحد ، وهذا يربك القارئ بين صعود ونزول فلو حافظت الكاتبة على نمط واحد لكان أبلغ وأجمل.

مرة أخرى أقول أن أداء الكاتبة صابرين أدهشني في كثير من النصوص وخاصة في اختيارها للقصيدة النثرية، التي تحتاج منها مزيدا من الجهد لتصل الى الكمال الذي تريد.

رواية مديح لنساء العائلة للأديب محمود شقير

القدس: ٩٢-١-٥١٠٢ ناقشت ندوة اليوم السابع الثقافية في المسرح الوطني الفلسطيني في القدس رواية "مديح لنساء العائلة" للأديب الكبير محمود شقير، الصّادرة نهاية العام ٤١٠٢ عن دار "الأهلية للنشر والتوزيع" في عمّان، وتقع في ٠٠٢ صفحة من الحجم المتوسط. وتعتبر هذه الرّواية الجزء الثاني لرواية "فرس العائلة" التي صدرت في العام ٣١٠٢.

بدأ النقاش ابراهيم جوهر:

رواية مديح لنساء العائلة هي الجزء الثاني المتمم لرواية فرس العائلة.

اتبع الكاتب محمود شقير أسلوبا مغايرا لأسلوبه في الجزء الأول. فهو يعتمد اعتمادا كليا على أن تقدم كل شخصية حياتها وسيرتها بلغتها مباشرة، وتتداخل الشخصيات وهي تروي بأسلوب التقطيع السينمائي (المونتاج) الفني، كما حضرت (الرسالة) أسلوبا مكان السرد.

هنا لا يجد القارئ راويا يروي، فالكل راو، وكأن الكاتب يتماشى مع التغير الذي حصل على العائلة الممتدة وسيرورة تاريخ التطور الحضاري – السياسي الذي بدأ فيه الفرد يأخذ دوره بعيدا عن عباءة العائلة الممتدة، التي تصادر خصوصيته ومكانته وحتى لغته وحضوره.

مما يلفت انتباه الدارس في هذا الجزء مديح لنساء العائلة:

– إيراد الكوميديا في حديث الشخصيات، وبعض المواقف مثل بداية التعرف على المذياع والتلفزيون بعده والكهرباء، ثم رسائل (عطوان) المحملة بألف حمل سلام، والحلم الليلي

باللغة الفصيحة، ومحاولات الكتابة للتلفزيون والمسرح.

– ونقل ثقافة المرأة التقليدية التي هي جزء أصيل من ثقافة المجتمع، وتثبيت لهجة خاصة محملة بثقافة إيمانية اجتماعية هي ثقافة القرية بالتحديد. فمن الإيمان المطلق بالسّحر والجنّ والحسد إلى طريقة العلاج بالبخور من (الرّدن) والشبّة، والفتّاح والحجاب.

– وسيجد المهتم باللهجة ما يرضي طموحه حين يقف عند الألفاظ التالية، وغيرها: داشر – يتفعفل – الشر بعيد – يا حسرة راسي – وجوههم لا تضحك للرغيف السخن – فشرت عينها – اطلعي يا خايبة في طرد البوم.

وقد احتلت (الأنثى)مساحة واسعة من بيئة الرواية. فالمرأة حضرت بدور الزوجة والأم والجدة والطالبة والمديرة، كما حضرت جزءا من التشبيه؛ "الشبّة أنثى طيبة – الحرب أنثى شريرة – الحكاية أنثى مسالمة – النار أنثى لا أمان لها – المرآة أنثى لا تسلم من شرّ الجن – العتمة أنثى شريرة متفرّغة لاحتضان الجن".

تضع الرواية قارئها على أعتاب مرحلة جديدة تتطلب المبادرة للعمل الجديد المعتمد على عطاء كل فرد، ودوره بعيدا عن مصادرة دوره لصالح قائد العائلة والعشيرة. إنها دعوة للحياة والتطلع للمستقبل.

وقال جميل السلحوت:

يجد القارئ لهذه الرّواية نفسه أمام سرد روائيّ مختلف عن مثيله الذي اعتدناه، واذا كان محمّد الأصغر "الكاتب في المحكمة الشّرعيّة"يأخذ دور السّارد الرّئيسيّ في الرّواية، إلّا أنّ البطولة فيها جماعيّة، وهذا ليس خروجا عن حياة العشائر لمن يعيش واقعها، أو يعلمه، وأديبنا شقير يعيش ويعلم هذا الواقع جيّدا. وبلغته السّلسة الدّافقة ركّز أديبنا على مرحلة معيّنة من حياة العشيرة التي اختار لها اسم "العبداللات"واختار لها مكانا وهميّا تسكنه هو "راس النّبع"، ليتابع تطوّر هذه العشيرة من بداياتها التي قرأناها في "فرس العائلة"، لذا فانّ زمان "مديح لنساء العائلة" يمتدّ من أواخر أربعينات القرن العشرين، وحتى الغزو الاسرائيلي للبنان

عام ٢٨٩١ وخروج منظّمة التّحرير من بيروت، وإن تطرّق الى نكبة الشعب الفلسطيني عام ٨٤٩١، وهزيمة حرب حزيران ٧٦٩١، فقد كان مروره عليهما عابرا لما يخدم موضوع الرّواية، الذي يدور فحواه حول عشيرة العبداللات التي تسكن جوار مدينة القدس. ومن هنا فقد جاءت الرّواية المختلفة شكلا ومضمونا، مليئة بالأحداث والحكايات والقصص الواقعيّة والمتخيّلة في حدود الواقع، ويخطئ من يعتقد أن الأديب شقير نحا منحى سيرة بني هلال التي جاء ذِكْرٌ عابر لشيء بسيط منها، تماما مثلما يخطئ من يعتقد الشيء نفسه لحكايات ألف ليلة وليلة لوجود بعض المشاهد الجنسيّة الحييّة. وقد يكون اسم الرّواية الشّاعريّ "مديح لنساء العائلة" خادع هو الآخر لمن ظنّوا أنّ الرّواية رواية نسويّة، بل هي رواية ذكوريّة بامتياز، وهذا هو واقع الحياة البدويّة بشكل خاصّ، بل والشّرقيّة بشكل عام، وحتّى السّراويل النّسويّة الدّاخلية القصيرة والطّويلة لها مساقها الزّمني والاجتماعيّ أيضا، فنساء البادية ورجالها ومنهم "العبداللات" لم يكونوا يعرفون الملابس الدّاخليّة بشكل عام إلّا بعد عشرينات القرن العشرين، والسّروال النّسويّ الطويل فرضه واقع المرأة في مناطق الاقطاع، عندما كانت النّساء والرّجال يعملون جماعات بالأجرة في الاقطاعيّات، فقد كانوا يرتدون الثّياب الطويلة، بل كانوا في مرحلة ما يستهزؤون بمن يرتدي السّروال، وهناك شواهد في الموروث الشّعبيّ على ذلك، وجاء السّروال القصير كتقليد لسكّان المدن.

وهذه الرّواية حملت لنا مشاهد وأحداثا واقعيّة كثيرة عن الايمان بالجنّ والعفاريت والحسد والخوف منها، العلاج عند المشعوذين وغيرها، الزّواج، تعدّد الزّوجات، زواج الخطيفة، زواج الأقارب، الهجرة الى الكويت والبرازيل، سطوة شيخ القبيلة في مرحلة ما، وانحسار هذه السّطوة لاحقا، ثرثرة النّساء، وكيف تلاشت بعض هذه المفاهيم والمعتقدات نتيجة للتعليم، وتطوّر الحياة، والثورة الاجتماعيّة التي صاحبت وصول الكهرباء إلى مناطق الرّيف، واستعمالهم للمذياع وللتلفزيون وللأدوات الكهربائية كالثّلاجة والغسّالة والفرن الكهربائي.

ولم يغفل الكاتب بعض الأحداث السّياسيّة، وإن لم يركّز عليها لأنّها ليست موضوع الرّواية، كمعاناة اللاجئين بعد النّكبة الأولى، والانتخابات البرلمانية عام ٦٥٩١ والتي أوصلت

الدّكتور يعقوب زيّادين ابن مدينة الكرك الأردنيّة إلى الفوز بمقعد في البرلمان عن دائرة القدس وبأعلى الأصوات، وكيف دخلت الأحزاب آنذاك- خصوصا بعد النّكبة- وهي: الحزب الشّيوعيّ، حزب البعث العربيّ وحركة القوميّين العرب إلى الرّيف. ولا أعرف كيف عادت بي الذّاكرة الى مذكّرات الدّكتور يعقوب زيّادين "البدايات" والتي نشرها في سبعينات القرن العشرين، وأعيد نشرها في فلسطين، فقد أبدى دهشته من وجود الأدوات الكهربائيّة بعد خروجه عام ٤٦٩١ من السّجن الذي قضى فيه ثماني سنوات، وأعتقد أنّه كان للأديب شقير دور في مراجعة تلك المذكّرات، بل ساهم في صياغتها.

ومن يعرف الواقع الذي عاشته عشيرة العبداللات المتخيّلة، وأديبنا واحد ممّن يعرفون ذلك، سيجد فيها شخصيّة الكاتب ممثّلة بمحمّد الأصغر، وإن أعطاه الكاتب وظيفة لم يعمل بها، وهي كاتب في المحكمة الشّرعية، ليبعد الأنظار عنه، لأنّه لم يكتب سيرة ذاتيّة، كما أنّه لا يحتاج إلى كثير من الذكاء ليرى شخصيّات والدي الكاتب وأعمامه وجدّه التي جاءت في الرّواية، ولا غرابة في ذلك، فأيّ كاتب يكتب شيئا من سيرته في أعماله، وإن لم يتعمّد ذلك.

وقال عبدالله دعيس:

"فهن في نهاية المطاف، نساء طيبات جديرات بالمدح لا بالذم، وما اشتغالهنّ باستغابة الناس سوى تعبير عن فراغهن وبؤس أحوالهن." ص ٠٦١

هكذا يمدح الكاتب المبدع محمود شقير نساء العائلة على لسان أحد شخصيات الرواية، لكنه يسرد كثيرا من الصفات السلبية التي كانت تلتبس كثيرات منهن، والبؤس والشقاء الذي كان يلازم غالبيتهن، في ظل مجتمع لم يجعل للمرأة قيمة تُذكر، ولم يقّدر عملها وتضحياتها، وضنّ عليها حتى بالثناء والمديح.

يكشف الكاتب، في هذه الرواية، اللثام عن حياة النساء في الحقبة الزمنية الممتدة من أربعينات القرن العشرين حتى عام ٢٨٩١، مبينا بؤس النساء، وحكاياتهن ومكائدهن

أحيانا، والتخلف والجهل الذي كانت كثيرات منهن تعاني منه. لكن هذه السلبيات كلها، كانت من صنع أيدي الرجال الذين نصّبوا أنفسهم سادة لذلك المجتمع، وكان دور النساء فيه خدمتهم دون شكر أو تقدير. فعنوَنَ الكاتب لروايته "مديح لنساء العائلة" رغم أن أبطال الرواية في كثير من الأحيان رجال، يديرون دفة ذلك المجتمع الذكوري، وتدور النساء في فلكهم راضيات بقدرهن.

يخلق الكاتب حيزا مكانيا يسمّيه "راس النبع" ويدمجه في المكان والزمان الواقعيين، ليكون خياله ابداعا واقعيا يصف مرحلة من حياة الفلسطينيين في بادية القدس، فيتعمق في نفوس أصحابها، ويقودنا داخل نفسيات مختلفة، تحكي لنا حكاياتها ومشاعرها بنفسها، فيسبر أعماقها، ويُخرج مكنونات نفوسها، راسما لوحة داخلية لمشاعرهم وهمومهم، ولوحة خارجية لتفاعلات المجتمع في مرحلة كانت تتغير فيها الأمور بسرعة، وترسم ملامح مجتمع جديد يخرج من حياة البادية إلى الاستقرار. فصراع هذا المجتمع وتردده بين الأصالة والتجديد، تزامن مع الاضرابات التي كانت تعصف في نفوس أبنائه فتنعكس على سلوكهم ومحيطهم.

يتعرض الكاتب إلى كثير من المشكلات الاجتماعية، في تلك الحقبة الزمنية، عن طريق أحداث الرواية وشخصياتها، منها:

- تعدد الزوجات وعدم العدل بينهن، بل كان الزوج يهجر إحداهن لصالح الأخرى. فنرى منّان يفضل زوجته وضحا، أما فليحان فيعيش مع زوجته الثانية رسمية، ويتلاشى بالتدريج ذكر الزوجة الأولى شيخة في الرواية حتى تنسى، ولا نرى من يذكّره بحقوقها رغم أن النساء كنّ يتدخلن بأدق تفصيلات حياة الزوجين.

- تزويج القاصرات دون موافقتهن، حتى لو كان الرجل لا يليق بهن.

- لوم المرأة على عدم الانجاب، ودفع زوجها للزواج من أخرى.

- هجرة الرجل وتركه لزوجته خلفه دون الالتفات لحاجاتها الإنسانية.

- الجهل الذي كانت تحياه العديد من النساء، حيث تعيش في عالم يحكمه الخوف من المجهول، تتقي الجن والسحر وتلجأ إلى المشعوذين.

- تفضيل الذكور على الإناث.

وليس أدلّ على التفريق في المعاملة بين الذكر والأنثى من موقف عائلة منّان، مختار عائلة العبد اللات الذي تزوج ستا من النساء، من فرار ابنته فلحة وزواجها ضد رغبة العائلة، حيث اعتُبِرت جالبة للعار للعشيرة، والموقف المختلف من أخيها فليحان، الذي حاول اغتصاب فتاة ترعى الأغنام، ثم عاشر فتاة أخرى وخطفها من خطيبها وتزوجها رغما عن أهلها، ثم اشتغل بتهريب الحشيش وبنى ثروة من ذلك، ولم تجلب تصرفاته تلك العار للعشيرة!

ويقدم الكاتب العديد من الشخصيات التي حاولت التمرد على تقاليد المجتمع، وحملت عصا التغيير، وكانت عنوانا لتلك الفترة التي بدأ فيها الانفلات من ربقة العادات المقيدة لحرية الشخص. فنجمة تخلع ثوبها وترتدي الفستان بعد مغادرتها لبلدتها، ورسمية ترافق زوجها فليحان إلى حفلات الطرب والغناء، وسناء تغادر بيتها لتعمل ثم ترتدي ملابس البحر الفاضحة ولا تخفي ذلك عن نساء العشيرة. ويتزوج محمد الأكبر من مريم التي تخالفه في الدين، أمّا محمد الأصغر وهو الشخصية الرئيسية في الرواية، فيتزوج امرأة تكبره سنا، ويرفض الزواج من أخرى رغم أنها لا تنجب، ثم يستقيل من وظيفته في المحكمة الشرعية ليعمل لدى فرقة مسرحية.

قد تكون بعض هذه التغيرات سلبية، لا تصب في طريق النهوض بالمجتمع وإخراجه من براثن الجهل والظلم، لكنها رافقت فترة لم يستطع كثير من الناس فيها تحديد أهدافهم، ولم يستطيعوا ترجمة أحلامهم إلى واقع. عبّر الكاتب عن هذا عن طريق شخصية محمد الأصغر الذي كان يحلم أن يحترف الكتابة والتمثيل، لكنه كان يفشل في كل محاولة.

وقد رافق هذا، الاختلاف الشديد في توجّهات الناس الذين تفتحوا على أفكار وليدة أو

دخيلة. فنرى عائلة منّان تتشظّى وتتنازعها تيارات مختلفة: فأحد الأخوة يكون في الحزب الشيوعي، والآخر ينجذب إلى التشبث بأحكام الدّين بعيدا عن الجهل، والثالث تدافعه أمواج القومية العربية، ورابع يختار الهجرة والابتعاد عن الوطن، وخامس ينغمس في حياة اللهو والمجون، وآخر يغلّب مصلحته الشخصية على كل فكر أو مبدأ. أمّا الأب المتسلط، الذي كان يقود العشيرة دون منازع فيما مضى، فإنه ينحني للعاصفة، ويقف حياديا حيال أبنائه الذين اختلفت بهم الطرق، ويرضخ للأمر الواقع، ويساير أبناء عشيرته، في تحول واضح عن القيم البدوية وتنازل عنها.

لم يغفل الكاتب في خضمّ ابحاره في الأحداث الاجتماعية التغيرات السياسية التي كانت تحدث في تلك الحقبة، فذكر النكبة وتشريد الشعب الفلسطيني في المخيمات، ثم فترة الحكم الأردني وما صاحبها من قمع للحريات، وحرب ٧٦٩١ والاحتلال الصهيوني لباقي فلسطين. ولم يفصل عائلة العبد اللات عن تلك الأحداث، فقد استشهد عدد من أبنائها، وقضى محمد الكبير سنوات طويلة داخل السجون، وتحول الولد الطائش أدهم، المنغمس في الشهوات، إلى ثائر يناهض العدو ويصبح أسيرا في سجونه، في لفتة جميلة إلى تشبث الفلسطيني بأرضه ودفاعه عنها مهما ابتعدت به الدروب عن جادّة الصواب.

لغة السرد في الرواية بسيطة ممتعة، تتراوح بين الفصحى والعامية؛ في المواضع التي تؤدي فيها العامية دورا في إبراز المعنى وتجلية الواقع. يتولى بطل الرواية محمد الأصغر رواية أحداثها. لكن الراوي يتغير باستمرار، وينتقل من شخص إلى آخر في التفاتات سريعة سلسة دون إحداث إرباك للقارئ، تماما مثلما تتغير المشاهد في فيلم سينمائي.

أعجبني تنوع اللغة بين الشخصيات المختلفة. فعندما يتكلم محمد الأصغر، الشخص المثقف، تكون لغته عالية، ولكن عندما ينتقل السرد إلى فليحان، راعي الأغنام الذي لم ينل قسطا كبيرا من التعليم، تتغير اللغة وتصبح أكثر بساطة، وعندما تروي وضحا الأحداث، تصبح اللغة بسيطة جدا وسطحية، فيشعر القارئ أنه يتقمّص تلك الشخصيات المختلفة. وأعجبني أيضا دمج رسائل عطوان من البرازيل ضمن أحداث الرواية، فينقلنا الكاتب إلى

البرازيل دون أن نتخلى عن أماكننا في راس النبع والقدس، وهذا ابداع يحسب للكاتب. وكما أعجبني في الرسائل، كيف أن ذكر زوجة عطوان وولده منّان بدأ يقل في كل رسالة، حتى اختفى وكأنهما ليسا موجودين، في إشارة إلى نسيان عطوان لهما، وعدم انكار العائلة لذلك، بل وتقبلها لما يقوم به عطوان وزوجته البرازيلية رغم اختلافه جذريا مع العادات والتقاليد والقيم العربية.

الصورة على غلاف الرواية جميلة ومعبرة، خاصة إذا دققنا النظر في الطريقة التي تمسك بها النساء ثيابهن بأطراف أصابعهن، معتزات بزينة تفصح عن كمائن أنفسهن. لكن الصورة لنساء بثياب وزينة هندية، ولو كانت الصورة لنساء بلباس البادية الفلسطينية وزينتها لكانت أجمل وأكثر تعبيرا عن مضمون الرواية.

يعمد الكاتب إلى ذكر أسماء شخصياته باستخدام الاسم الأول دون كنية أو لقب، حتى شخصية منان الذي كان مختار العشيرة. وأتساءل هنا، هل هذا هو الحال في البادية أم أن الناس ينادون بكناهم؟ وهل قصد الكاتب هذا ليجرد الشخصيات من جميع الصفات الخارجية التي تحجبهم عنا؟

"مديح لنساء العائلة" عمل مميز جديد، لكاتبنا المبدع محمود شقير، وإضافة مهمّة إلى الرواية الفلسطينية، ولبنة جديدة في مسيرة العطاء الأدبي الفذّ التي بدأها الكاتب منذ عقود.

وقال رفعت زيتون:

هل كان أديبنا محمود شقير كعادته لطيفا وودودا ومتعاطفا مع النساء، عندما أطلق على

روايته كلمة مديح رفقا بهن رغم أن روايته كان فيها المديح والذم على حد سواء؟

نعم لقد امتدح الكاتب صبرَهن وتحملَهن الحياة بصعوباتها، ولكنه لم يصورهن ملائكة تعيش على هذه الأرض، فأشار إلى التخلف الذي تعاني منه بعض المجتمعات وبعض

النساء، وعدم قدرتهن على التأقلم مع مظاهر الحضارة، وعدم استجابتهن للتغير في أنماط الحياة المختلفة.

أشار كذلك كثيرا إلى اقتحام الخصوصيات عند الكثير من النساء، وعادة القيل والقال والتي أصبحت صفة ملازمة للمرأة، يتوجب على المرأة ذاتِها أن تتخلص منها، وأن تمحوَها من صفحاتِ حياتها.

كذلك طبع المكر والكيد لبنات جنسهنّ، ولا أظنّ أنّ هذه صفة يمكن لهنّ التخلصَ منها

فهذه الخاصية أحد أسلحتها الفتاكة، التي تلجأ إليها إذا فقدت الوسيلة، تستخدمها كرصاصة أخيرة تطلقها فلا يكون بعدها إلا القبر.

كل ذلك كان في رواية محمود شقير، ولكنه آثر أن يذكر في العنوان كلمة المديح، وهذا أحسبه له لا عليه. هي رواية شعب وبلد خصص بها عائلة، ولكنها تنطبق على كل عائلة، وبالتالي على المجتمع عموما، وبالتالي فعند الحديث عن المجتمع، نتحدث بموضوعية وبدون تزييف للحقائق، وبكل التفاصيل حتى ما يتحرّج البعض منه. فكان الصراع والحب والجنس والتجارة والوطنية،

كان هناك كل التناقضات التي يمكن أن تكون مما جعل الرواية أقرب إلى الواقع.

في البداية وجدتني أسبح فوق بحر من الأسماء كلما توغلت أكثر زاد موجها، فعدت إلى البدايات لأعرف منْ إبن منْ، ومنْ زوج منْ، وأظنني عدت مرارا للتأكد من ذلك.

وحسبت أن الأمور ستتفلت مني كلما تعمّقت أكثر في الرواية، ولكن العكس ما كان، فقد استقرت تقريبا الأسماء على ما هي إلى حد ما.

أسلوب الأديب الكبير محمود شقير بات مألوفا للقرّاء، فهو يميل إلى بساطة اللغة والتركيب،

لا يغرق نصوصه بالصور الكثيفة، رغم حلاوة اللفظ الذي يؤكد عليه دائما.

في هذه الرواية سيطر الراوي على المايكروفون إن جاز التعبير على حساب الحوار، فكان السرد هو الظاهر.

الشخصيات كانت واضحة المعالم بالنسبة لي، حيث استطاع الكاتب أن يرسخ صورتها في

ذهني بيسر ودقة وإتقان.

بعض التفاصيل كررت أكثر من مرة، وربما كان بالإمكان اختصارها.

أتمنى لكاتبنا الكبير مزيدا من النجاح والتألق، ومزيدا من العطاء في عالم الكتابة والثقافة والجمال.

وقالت رائدة أبو صويّ:

متعة الترحال عبر التاريخ بين صفحات رواية أديبنا الكبير الراقي محمود شقير، جعلتني أشعر بالفخر والأعتزاز لأنني امرأة عربية، الحياة في مضارب البدو والعادات والتقاليد ونظرة بطل الرواية محمد بن منان العبداللات للمرأة، وتصوير مشاعره الملتهبه نحو نساء القبيلة، كنت أشاهد المسلسلات البدوية، ولكن مشاهدة المسلسلات لا تمنح المساحة الواسعة جدا التي منحها اياها الأديب محمود شقير في روايته، عشت اسبوع أتصفح الرواية، وأعيد النظر بين السطور، وفي كل مرة كنت أجد نوعا من الانجذاب الى شخص من الأشخاص في الرواية. الرواية عالم مختلف، عالم كان الستار منسدلا على خصوصياته، في رواية مديح لنساء العائلة كشف المستور بصورة ممتعة، ولا تخدش الحياء .المعتقدات والعادات والتقاليد والواسطات والثروة غير الشرعية، والبذخ في المناسبات، وعلاقة الضراير ببعضهن البعض، والخيال الفني في كثير من المواقف أعطاني رغبة في رسم صور في مخيلتي لأبطال الرواية. هذه الرواية تصلح أن تكون مسلسلا تلفزيونيا من ٠٦ حلقة، لتمتعها بأحداث ومواقف عديدة. أحداث تطرح لأول مرة في المسلسلات البدوية التي كنا نشاهدها، لم يكن التركيز فيها الا على البطل والبطلة وعين الماء، في رواية الكاتب الكبير محمود شقير شاهدنا الملابس بأدق التفاصيل، حتى أن الكاتب تعرض للباس للداخلي

لنساء العائلة، وهذا لم يجرؤ أحد في اللسابق إلى التطرق لتلك الخفايا، وعندما وصف بحر يافا وقال في ص ٩٢ كنا نذهب للشاطيء، ألعب بالرمل وأنا أتنفس هواء البحر المضمخ بروائح شتى، كانت تدهشني زرقة المياه وتموجاتها التي تخف حينا، وتهيج حينا آخر وكنت أضرب الأمواج التي تتراخى ثم تنطفيء عند الشاطيء .

كم هي رائعه هذه الصور.أريحا كانت حاضرة في الرواية ورائحة البرتقال، عمل ابداعي مدهش يستحق كل الأحترام والتقدير.

وشارك في النقاش عدد من الحضور منهم: محمد عمر يوسف القراعين، نزهة أبو غوش، رفيقة عثمان، سوسن عابدين الحشيم، راتب حمد، نعيم الأشهب وكاميليا عراف بدر.

رواية أهل الجبل لابراهيم جوهر

القدس:٥-٢-٢٠١٥ ناقشت ندوة اليوم السّابع الثقافيّة في المسرح الوطني الفلسطيني في القدس رواية"أهل الجبل" للأديب المقدسي ابراهيم جوهر الصادرة عام ٢٠١٤ عن دار فضاءات للنشر والتوزيع في عمّان، وتقع الرواية التي صمم غلافها نضال جمهور في ١٦٤ صفحة من الحجم المتوسط.

بدأ النقاش نسب أديب حسين فقالت:

ابراهيم جوهر وتقاطع الدروب الى الخليل

في الصفحة الأولى من الرواية ينسب الكاتب ما جاء فيها الى صديق غامض من رام الله، أرسلها اليه على شكل حلقات في شهر تموز من عام ٢٠١٤. وهذا أسلوب أدبي صرنا نشهده أحيانًا في بعض الروايات المحلية والعربية، كما رأينا في رواية "المسكوبية" لأسامة العيسة، و"مصابيح أورشليم" لعلي بدر العراقي.

في شخصية هذا "الصديق" الذي هو راوي الرواية، تظهر في أحيان كثيرة شخصية الكاتب ابراهيم جوهر، وسيلحظ هذا من يعرف الكاتب عن قرب، خاصة في اتباع أسلوب الأسئلة والتساؤل، هذا الأسلوب الذي تقوم عليه الرواية في بناء الحدث بصورة تراكمية، وتدرج حين يتبع كل سؤال، سؤال آخر.

كذلك مع صفحات الرواية الأولى تظهر الشخصية الملازمة للكاتب ابراهيم جوهر وهي "أم علي"، هذه المرأة التي ظهرت في كتابات جوهر قبل نحو عامين على صفحة التواصل

الاجتماعي. هي امرأة صامدة تمثل الشموخ الوطني، تتنقل بين أماكن عدة في أنحاء الوطن، خلال وقت قصير. تخبر أم علي الكاتب الذي ينتحل شخصية "الصديق من رام الله" أنّها تقيم في كهف في الخليل. وهكذا يحملنا الكاتب في رحلة لاستكشاف الخليل وجوهر أهله في تساؤلات عديدة، بعد ظهور خفيف لأم علي وغيابها نهائيًا مع الفصول الأخيرة دون أي اشارة أو تعقيب من الكاتب.

هذه الرحلة في استكشاف المكان والاطلالة عليه وتبني شخصياته تقوم باتجاهين، فنرى ابن رام الله المنفتح لأجواء تختلف عن أجواءه الماضي في زيارة آنية لاستكشاف الخليل، وابن الخليل ذو الطبيعة الطيبة المحصورة، الماضي صوب رام الله، لتحقيق أحلام عجزت مدينته عن تحقيقها.

هذا التوجه في مسارين باستجلاء المكان وطبيعة توجهه في فترة زمنية محددة وهي حزيران وتموز ٢٠١٤، وتأثيراتها من تطورات سياسية في الوطن من اختطاف ثلاثة فتيان من المستوطنين في منطقة الخليل، واغلاق المنطقة للبحث عنهم، ثم اختطاف وحرق الفتى المقدسي محمد أبو خضير، الى الحرب الاسرائيلية على غزة من جهة، واستكشاف مكامن وهواجس ابن المكان بعيدًا عن مكانه مغتربًا في مدينة لم تعد تشبه ذاتها، يشكل ركيزة مبنى الرواية.

ينتصر ابراهيم جوهر في روايته للإنسانية وللفكر النقي فبطله (سعيد الظافر) ابن الجبل المستكشف للمدينة لم يتمكن من الانعتقاء من فكره وجبليته والانصهار في عالم المدينة. ولا يغفل الكاتب عن الجانب الانساني في العدو الماضي الى غزة محاولا التمرد على انسانيته وضميره فيُصاب بالجنون، مما يدفع الطبيب حاييم مولدوفيتش الذي يشرف على علاج أحد هؤلاء الجنود، الرحيل الى وطنه روسيا، خشية من تسرب الجنون اليه.

في هذه الرواية يتم تسليط الضوء على وجه من وجوه الوطن، في استغلال البعد الزماكني، وتصوير متنقل المشاهدات للمكان في فترة شهرين حددها الراوي. عدا انزلاق خفيف صوب أسلوب التقرير الصحفي ص ٧٤-٧٦ في الاشارة لاسحاق الحروب، ظهرت

الرواية في أسلوب روائي ابداعي للكاتب ابراهيم جوهر، الذي يظهر التطور التكنولوجي وأسلوب النشر والرد على الكتابات على صفحات التواصل الاجتماعي تأثيرا وأبعادًا جديدة على نهج كتاباته.

وقال جميل السلحوت:

رواية تدعو إلى التفكير

القارئ لرواية" أهل الجبل" سيجد نفسه أمام تساؤلات كثيرة، تماما مثلما هي الرواية تطرح تساؤلات كثيرة، فما الذي يريده ابراهيم جوهر في هذه الرّواية؟ وقراءة فاحصة ومتمعنة للرواية تقودنا إلى إجابات كثيرة، بل تقودنا الى مزيد من التساؤلات، فهل جاءت الرواية انعكاسا للواقع المضطرب الذي يعيشه الفلسطيني المعذب في وطنه الذّبيح؟ وكاتبنا الذي اختار منطقة الخليل لتدور عليها الأحداث الرئيسية في روايته، حتى أنه اختار أسماء حقيقية أو الاسم الأوّل في شخوص الرواية حقيقي واسم العائلة ليس حقيقيا، لكن تصاحبه دلالات تشي بالاسم الحقيقيّ كخولة العايد مثلا. وقد تكون البطولة في الرواية للمكان، فاختار الكاتب الخليل وقضاءها للتعبير عن الأصالة، والتمسّك بالأرض ودوالي العنب ومحاجر وحجارة يطّا ودورا وقراها؛ لتكون مسرحا لشخوص روايته، وأتانا بقصّة حارس التراث اسحاق الحروب ابن قرية دير سامت كنموذج للأصالة والحفاظ على التراث، والحروب معلم المدرسة قام بجهود فردية لم تقم بها مؤسسات ووزارات، عندما جمع ووثّق واقتنى موجودات تراثية شعبية لا تقدر بثمن، وجعل بيته متحفا يزخر بهذه الكنوز الثقافية، وهذه لفتة كريمة من الكاتب الى ضرورة الحفاظ على موروثنا الشعبي، وما يتعرض له من طمس وسرقة وتشويه. ورغم ذلك فان مدينة الخليل التاريخية وقراها لم تسلم من عبث المحتلين ومستوطنيهم الذين يحتلون رؤوس الجبال ويهلكون البشر والزّرع والضرع.

ويقابل مدينة الخليل في الأصالة مدينة رام الله، وما تتعرض له المدينة من تحديث على حساب أصالتها وعراقتها، من خلال الأبنية الحديثة ذات الطوابق المتعددة التي احتلت أرض المدينة، وسلختها عن ماضيها العريق، الذي ضاع وسط معمعان الحداثة، فحتى

الأسود الحجرية التي تتربع وسط دوار المنارة الشهير وسط المدينة، لم تسلم هي الأخرى، حتى أن استبدال أحد هذه الأسود بأسد جديد لم تنجح، فجاء فُخّاريا مهشّما وناشزا لا يليق بعراقة أقرانه الحجريين.

ولا تنسى الرّواية عسف الاحتلال ومظالمه فحاجز "الكونتينر" على أراضي السواحرة الشرقية، يتكرّر ذكره كعلامة فارقة تفصل شمال الضّفة الغربية عن جنوبها. ولا بدّ لعابريه من الوقوف والتفتيش، وما يتعرّضون فيه من إهانات ومسّ بكرامتهم. وتعرّج الرّواية إلى دير ياسين تلك القرية الوادعة التي تعرضت الى مذبحة بشعة في التاسع من نيسان عام ١٩٤٨، وكيف أن هذه القرية التي أقام الاسرائيليون فيها مشفى للمجانين، لم يبتعد عنها اجرام المجانين العنصريين، الذين قاموا باحراق الطفل محمد أبو خضير حيّا حتى الموت في ٢ تموز ٢٠١٤، لتختلط رائحة اللحم البشريّ المحترق برائحة الخبز المنبعث من المخبز الاسرائيلي القريب من مكان الجريمة، ولتتواصل الجريمة بالمحرقة التي تعرّض لها قطاع غزة صيف العام ٢٠١٤.

وتزداد الأمور تعقيدا من قبل الاحتلال، فقطاع غزّة الذي كان قريبا الى الخليل يستطيع المرء وصوله في عشرات الدقائق، أصبح بعيدا بعد اغلاقه ومنعه من التواصل مع شقّه الثاني-الضفة الغربية-، تماما مثلما هي رام الله أصبحت بعيدة عن الخليل بسبب الحواجز العسكريّة والمستوطنات. والاتيان بهذه المفارقة التي لم تعد عجيبة في الرواية ليس عفويّا بمقدار ما يحمل من اشارات الى ما آلت إليه الأمور بعد اتفاقات أوسلو التي وقعت في ايلول ١٩٩٣ بين منظمة التحرير الفلسطينية واسرائيل، وكيف جاءت طموحات الشعب الفلسطيني بالتحرر والاستقلال واقامة الدولة المستقلة بعاصمتها القدس معكوسة تماما. بل إنّ الأمور ازدادت تعقيدا، وازداد عذابات الشعب الفلسطيني، بل إنّ الحديث عن الفكرة، وكيف تتطوّر وتنمو جاءت بطريقة غير مباشرة، حيث أنّ الاحتلال في اتفاقيات أوسلو سعى إلى إعادة روابط القرى البائدة وإن بأسماء أخرى، فهل تنطلي الخديعة؟

والقارئ للرّواية سيجد أنّ الكاتب استعمل لغة عالية في بلاغتها ودلالاتها، لتحتمل

التساؤلات والأفكار التي تحملها.

وقد خرج الكاتب عن أسلوب الرّواية السّرديّ المعهود إلى أسلوب كتابة اليوميّات، التي ترتبط بخيط شفيف، لايصال الفكرة أو الأفكار التي تحتويها.

وقال عبدالله دعيس:

هل تموت الفكرة؟

تساؤل يطرحه الكاتب إبراهيم جوهر في روايته مرّات ومرّات، ضمن مجموعة كبيرة من التساؤلات، لنعاود السؤال مرة بعد مرة عن الفكرة التي لا تموت! فنجدها حية تتجدد في كل مرّة نظن أنها ستخبو. فروح المقاومة حية في قلب كل فلسطيني لا تموت أبدا مهما ساد الظن أنها ضعفت وتلاشت، وبالمقابل، فإن فكرة اخضاع الفلسطيني وسلخه من أرضه لا تموت، فكلما فشلت خطة نبتت خطة أخرى مكانها. لا تموت الفكرتان، هذه هي المفارقة الكبرى في الرواية التي ترتكز على مفارقات عديدة.

يقودنا الكاتب في هذه الرواية في مفارقة عجيبة بين الأصالة وبين الحداثة المزيفة، بين البطولة وبين الخيانة، بين العزة والكرامة وبين الذل والهوان. وحيث ينحصر هامش الحرية، يبرز الرّمز الذي يطغى على الرواية، يعطي للقارئ آفاقا واسعة من التحليل والخيال. فهذه الرواية تقوم على عنصرين أساسيين هما المفارقة والرّمز بلغة إنشائية جميلة موحية يكثر فيها الاستفهام والتعجب.

تزخر الرواية بالمفارقات. فابن رام الله الفارّ من زيف المدينة المتورّمة، يتجه إلى الخليل حيث أصالة الجبل وعنبه وأهله المرتبطين بتربته، أما ابن الخليل فيترك الجبل خلفه ويتجه باحثا عن فرصة عمل في رام الله! سعيد الظافر شاعر جامعة الخليل والأديب الموهوب، توصد في وجهه أبواب وزارة الثقافة وصحف مدينة رام الله، بينما صديقه الذي يفتقر إلى الموهبة يتربع على وظيفة مهمة في الوزارة ويعامل الشاعر بازدراء. المناضل الذي حُرّر من سجون الاحتلال، يبيع القهوة واليانسون ليشبع رغبات أو يهدّئ أعصاب القلة الذين تسلقوا على

بطولاته؛ ليتحكموا في مصيره ويتركوه للنسيان. يخوض المقاومون في غزة حربا بطولية ضد المحتلين، بينما يرتاد المترفون المقاهي في مدينة رام الله. الباحث الجاد يبحث عن الحقيقة حتى في أجواء الحرب، مقابل ذلك الذي يبحث عن لقب علمي زائف ويشتري الأبحاث الجاهزة. المقاتل الشجاع في غزة الذي يتسلح بأسلحة بسيطة، مقابل الجندي الصهيوني المذعور المتمترس خلف أعتى أنواع الأسلحة وأقساها.

أدهشتني قدرة الكاتب على استخدام الرّموز في روايته وتوظيف دلالتها لإيصال المعنى للمتلقي بسهولة ويسر، دون إجهاد ذهن ولا تعقيد، بلغة بسيطة سلسة. تبدأ الرواية برسالة قصيرة من أمّ علي المختفية في أحد كهوف الجبل. أمّ علي ترمز إلى الأصالة المتجذرة في هذا الشعب وإلى الإصرار الممتد به مهما ادلهمّت الخطوب. والجبل نفسه هو رمز لصمود هذا الشعب الذي لا تزحزحه الرياح العاتية. والأسد الحجري يرمز إلى القوة، والذي يتحول إلى فخار قابل للكسر عندما يتجه إلى رام الله – أي عندما يتخلى عن روح المقاومة – لكنه لا ينكسر، ويعود ليصبح من حجر صلد عندما يرجع إلى أصالته ويتجه إلى الخليل، فتتراءى له صواريخ المقاومة من غزة، والصمود الأسطوري لأبطالها الذين يخرجون من بين الرمال فيقذفون الرعب في قلوب الصهاينة. ومبنى تلفزيون الجبل ذو الجناحين والعرف الرمادي، يرمز إلى تفرّق أبناء الوطن الواحد إلى اتجاهين؛ أحدهما امتهن المقاومة وحمل السلاح، وآخر آمن بأن الاستسلام والخنوع قد يجلب له حقا. جناحا الوطن ليسا منطقتين جغرافيتين يعزلهما الاحتلال بحواجزه، وإنما موقفان ونظرتان وسياستان في هذا الوطن الذي اختفت فيه الأصالة في حضن الجبل؛ ليبدو للعيان وجها قبيحا سرعان ما يغيب. تأتي أمّ علي بتراب الجبل تضعه تحت هذين الجناحين اللذين لا ينقصهما الارتباط بالتراب، فهو في النهاية سيوحدهما.

مدينة رام الله تقف على الحواف. يذكرني هذا الرمز بقوله تعالى: "ومن الناس من يعبد الله على حرف" يوشك على السقوط إن لم يتدارك نفسه ويتشبث بالأصيل، ويدحر عنه الدخيل، في تشبيه بديع لحالة السلطة الفلسطينية بعد اتفاق أوسلو. الرجال الذين غادروا الجبل واتجهوا إلى رام الله هم أولئك الذين حادوا عن جادة الصواب، لذلك يصوّر الكاتب

وجهوهم سوداء ممتقعة. ويذكر الكاتب الدالية كثيرا، والدالية ترمز إلى العنفوان والإصرار على الصعود إلى أعلى، وكلما قلّمت أغصانها نهضت في ربيعها وتسلقت الأعواد بسرعة وجلد.

يبدأ الكاتب روايته وينهيها برمز الغزالة المحيّر، والذي يتركه غامضا معطيا المجال للقارئ كي يسرح في خياله مع هذه الغزالة، التي خرجت من دير ياسين عندما ذبح أهلها وسرقت البراءة من أرواحهم، فعاشت في قلوبهم وما زالت دليلا لهم تقودهم لطريق العودة بإذن الله.

اختيار أسماء الشخصيات في الرواية موفق، فكل اسم كان له دلالة معينة: فسعيد الظافر، مثلا، لا يكون سعيدا ولا يظفر بالراحة إلا عندما يتشبث بأصوله، ويعود إلى جذوره. وهكذا إذا استعرضنا أسماء جميع الشخصيات في الرواية، فسنجد لكل اسم دلالة خاصة قصدها الكاتب وعناها. أمّا شخصية الراوي، وهي الشخصية الأبرز في الرواية، فقد أبقاها الكاتب مبهمة ولم يعطها اسما، وجعلها تطرح السؤال تلو السؤال، ليبقى القارئ محتارا مشرئبا لسماع المزيد من الأسئلة من هذا الباحث عن حقيقة الصمود والأصالة في فلسطين، والذي يرمز لكل فلسطيني متحرر من الخنوع باحثا بجد عن الحقيقة. عدم الافصاح عن هذه الشخصية يزيد الرواية تشويقا.

والرواية تؤرخ لفترة حرجة من تاريخ الشعب الفلسطيني. لفترة شهدت بشاعة الاحتلال الذي أحرق الفتى محمد أبو خضير حيّا، وحاصر مدن الضفة الغربية، وخاصة الخليل بحجة البحث عن ثلاثة مفقودين، وأعمل فيها قتلا وتدميرا وخرابا، ثم امتدت سطوته وعنجهيته لتطال قطاع غزة في أيام رمضان عام ١٤٣٥هـ.

عندما يحاول اليأس أن يطغى على شعلة الأمل الكامنة في أعماق القلب، ويطغى الشعور بالاغتراب في وطن يعاني من احتلال للأرض وتنكر للأصالة، قد تختفي الغزالة عن الأنظار برهة من الزمن، لكنها تعود تقفز بخفة ورشاقة. فالغزالة تلازمنا، لا تفارقنا، وإن غابت عن ناظرينا. إنها الغزالة التي يتتبعها إبراهيم جوهر وهي تقفز بخفة بين رام الله والخليل،

وتتخطى الحواجز إلى قلب القدس، تنظر إلى الجبل بأصالته وإلى المدينة المتورمة بزيفها، ثم تظهر لنا لتجدّد الأمل في قلوبنا. وحيث تكون الغزالة تكون أمّ علي في كهفها تحفظ البقية الباقية من كرامة هذا الشعب، تحاول أن تقرّب بينه وأن تبني لديه الروح الذي كاد يفتقدها.

الأفكار لا تموت. فعلى الرغم من الضعف الجلي لفكرة مقاومة المحتل، وبروز عنصر آخر بعيدا عن هذه الأصالة، إلا أن هذه الفكرة لم تغب عن شعب فلسطين. وفكرة روابط القرى التي ابتدعها الاحتلال لم يتخل عنها عندما لفظها الناس، فجاء بها بهيئة أخرى ووجه آخر! ولكن في نهاية الرواية يختفي الوجه المزيف للوطن، وتسود روح المقاومة، وينتهي الحلم الصهيوني عندما يعود ذاك الطبيب إلى روسيا، معلنا أن فلسطين لا يعمر فيها غريب، وستخرج أمّ علي بأصالتها من كهفها لتسكن في ربوع الوطن.

وقال رفعت زيتون:

حينما نتحدث عن رواية أهل الجبل فإننا نتحدث عن الوطن، وعندما نتحدث عن الوطن فإننا نختصر بحديثنا إبراهيم جوهر؛ لأننا في حرفه وفلسفته وفكره وكثيرا من أسئلته نجد الوطن.

هو يقرأ الحجارة والشجر والناس، ويعود إلى شرفته الصغيرة في فناء بيته، والمطلة على الأفق الواسع، ليكتب ما قرأه في هؤلاء، يترجم للقارئ ما لم يستطع قراءته ولا فهمه، فيرى القارئ عنده الجمال والقبح ويشعر بسعادة، الحجارة وقهرها لأن الحجارة بين سطوره تصبح كائنا يتنفس.

هذا هو إبراهيم جوهر، القارئ للتفاصيل قبل أن يكون كاتبا، هو يستلم رسالة فيتمخض عنها رواية؛ لأن الرسالة عنده لا تمرّ مرور الكرام، يسير في الشوارع فتعلو إلى ذهنه الأسئلة، فيبدأ في عملية البحث عن إجابات شافية، يصل إلى بعضها، وبعضها الآخر يدخله في دوامة

جديدة من الأسئلة والألغاز، أحدها يسلمه للآخر. وهذا يخلق عنده مسارين للحوار، مسارا بينه وبين كل من وما هو حوله، ومسارا موازيا بينه وبين نفسه، وفي نقاط الالتقاء بين

المسارين يتطور الصراع في الرواية ، ولكي يتم ذلك، يبدأ برسم هياكل الشخوص والأشياء والأمكنة. لأن الحدث يحتاج لمن يفعله ويحتاج إلى مكان وزمان.

رواية أهل الجبل اختلفت عن نمط الروايات التقليدية إلى حد ما في تأثر الكاتب في أسلوب كتابة اليوميات، فخرجت بعض أحداثها على شكل يومياته المعروفة. فكان ذلك في البداية مع أم عليّ ومع ناحت الصخر الذي جاء من جبل الخليل إلى رام الله حاملا معه أسده المصنوع من الفخار، والذي لم يلمس فيه الكاتب النبض الذي توقعه. وكذلك في الأصدقاء الإعلاميين.

إبراهيم جوهر كان يشارك الآخرين همومهم وتساؤلاتهم، وليس هذا فحسب، بل كان بطريقة أو بأخرى يشغلهم بتفكيره فيغيرون حتى جدول عملهم أو لقائهم لذلك اليوم.

ربما أدرك إبراهيم جوهر أنّ ما على كتفيه النحيلين وظهره من الهموم ما ينوء به الجبل، فذهب للحديث عن أهل الجبل. هذا ما عرفته عن كاتبنا الذي أقام من حوله عالمه الخاص

فحرّك الساكن وأسمع من به صمم. بعض التكرار في الأفكار والألفاظ والجمل صاحب الصفحات وبالذات الأولى منها ولعل فكرة اليوميات التي تحدثت عنها في البداية كانت السبب.

لم تكن لغة الرواية عادية، رغم حفاظها على البساطة، فاتّكأ على بليغ القول تركيبا وصورة، والشواهد على ذلك في روايته كثيرة، لكنها لم تغرق الصفحات، ولعل هذا يناسب أكثر كتابة الرواية مما يزيدها حلاوة.

المكان أخذ حيزا واسعا من صفحات الرواية، فكان الكاتب يصفه بدقة وجمال، لم يكن الوصف كمن يحمل كاميرته بيده، بل وصف حيّ فيه روح.

وكتب محمود شقير:

يكتب الأديب المقدسي ابراهيم جوهر عن أهل الجبل؛ لكي يؤكد على انتمائه الصادق

لتطلعات الناس المشروعة في بلادنا. يكتب عنهم وعنا جميعًا، ناقدًا، محللا، ومشيرًا إلى فسحة الأمل التي يمكنها أن تخرجنا مما نحن فيه من تخبط وارتباك. وهو يعمد في نصه الروائي إلى طرح الأسئلة التي تتلوها أسئلة لكي يحفز العقول على التفكير وعلى التبصر والإدراك.

تعتمد رواية "أهل الجبل"، من ضمن تقنيات أخرى، أسلوب التوالد السردي، حيث يولد السرد من السرد، وحيث نجد سؤالا يتبعه جواب، وجوابًا يترتب عليه سؤال. وفي حالة كهذه، تلعب اللغة الشعرية دورًا بارزًا، جالبة للمتلقي متعة عقلية فائقة وهو يتابع تجلياتها الرشيقة وتقليبها الذكي لأوضاعنا، ولما آلت إليه أمورنا في ظل احتلال عنصري لا يكف عن ممارسة العسف ضدنا بمختلف الوسائل والأشكال.

واستعان الكاتب كذلك بأسلوب التقطيع السينمائي (المونتاج) وبالمشاهد القصيرة المتوازية التي استطاعت نقل أفكاره وتأملاته من دون إثقال على المتلقي، ما جعل بطء الإيقاع محتملا، بما يمكّن القارئ من التوقف المتأني عند الطروحات الفكرية التي احتشدت في ثنايا النص الروائي.

ولعل ما يلفت الانتباه في هذه الرواية قدرة الكاتب على توظيف الحدث اليومي الساخن الذي كان يطفو على شاشات الفضائيات التلفزيونية، وعلى ألسنة الناس أثناء كتابته لروايته، بحيث اندمج هذا الحدث في متن النص، وصار مادة إبداعية لها أبعادها التي تشير إلى ما هو أبعد من حدود الحدث، بحيث تطال هذه الأبعاد مستقبل الصراع، وحتمية انتصار حقنا على باطل الأعداء، عبر مجموعة من الإضافات التي اعتمدها الكاتب لتعميق دلالات الحدث اليومي، ولتعزيز موقفه الفكري الذي كان يتردد على امتداد السطور والصفحات.

ولي في هذا السياق ملاحظتان. الأولى لها علاقة بالمادة التوثيقية الخاصة بمتحف المقتنيات التراثية، التي جاءت مسهبة بحيث لا يحتملها الإيقاع المطلوب للنص الروائي. وأما الثانية فلها علاقة بمدينة رام الله. ذلك أنني متفق مع الكاتب في ما ذهب إليه وهو يعرض أحد أوجه المدينة. وكنت أتمنى لو أنه أشار كذلك إلى وجهها الأكثر تميزًا الذي جعلها حاضنة

لأفكار التنوير والتآخي والمثاقفة والانفتاح على المستقبل. بذلك كان يمكن للصورة أن تكتمل فلا نغمط واحدة من أهم مدننا حقها في أن يكون لها حضورها الذي يعبر عنها بموضوعية وإنصاف.

وقال عزّ الدّين السّعد:

رواية أهل الجبل راوغتني وأعملت فيّ ولعا من نوع آخر، فلا تكتمل لديّ قراءة لرواية إن لم أستحوذ أنا على سبر غورها منذ البداية، بعناق صفحاتها ومراقصة لعدد من فصولها متناثرة بين بداية ونهاية، واستكشاف لكبد أعمال أبطالها، إلا أهل الجبل فقد كانت تلاحقني متخفية تارة بشخوصها وأسمائهم المنتقاة بعناية تامة، وطورا آخر بأمثال شعبية، فكنت كالسّائر في بلاد الله " وبلاد تجيبني وبلاد تحطني " وأنا عالق على درب بين الجبل الأشمّ المتألق بكل من فيه، وما فيه من الدّوالي والحكايات والإصرار والكهوف والحياة المتجددة في أمّ علي، وخولة العايد وراشد البلد وسعيد الظافر المسافر الى احلام رام الله الجديدة؛ لتقع عيني على ظفر غير متوقع بفضل الختام كما اعتقدت، فسعيد هذا لم يظفر بدوام "نعمة" هناك فيلملم أسده الفخاريّ ويعود للجبل .

يعود ... هل هنا "مربط الفرس " كما تناغم ذلك في صوت سعيد الغريب في رام الله، ابن الجبل الصّلب الذي "تسوقه " وتناديه بهية عبد السلام! تناهى الى قلبي برجفة صوت سعيد الآخر ذاك ابن ابي النحس الذي عاد وما عاد، وبقينا معه على ميعاد.

سعيد الظافر كان أحد جناحي عودة تمّت بدراية واقتناه بأن ما آلت اليه تنهيدة رغد الوظيفة سراب كاد يعصف بحلم أبلغ وأهم ... من نمنحها في العام يوم وتظل تمنحنا وتضمنا كل يوم تلك هي الأمّ ... يا شاعر الجامعة الذي يعرفه أناس لا يعرفهم .. كتلك البهية بهية عبد السلام التي أيقظته ليرى زيف ما يرى ... فهل يأتي لبلد الحلم ليكون مجرد كاتب اعلانات خياطة بلا أصالة الجبل، "وكأننا" ما زلنا تحكمنا ماكنة سنجر للخياطة ... فحمل أسده الجبليّ وعاد لدماء الجبل التي تحركت في جنبات عروقه " فمن لا أحلام له في جبله لن تحققها مدينة الصّابون والرمل " ص١٦١ ..... ما كانت هذه نهاية الرواية بل عودة من

عودات مخبأة تحيكها الرواية والراوي طوال الزمن المتفاعل بين الآن ههنا والآن هناك .

ابراهيم جوهر الروائي المبدع الانسان المعلم أجاد بحملنا مع الراوي بين أحداث قد نراها للوهلة الأولى سردية واضحة، وسرعان ما تتفتح بعمق غاياتها بها وبما يحيطها ... تعايش الحكاية في حكايات هنا والآن، فتنتقل للرسالة النصية القصيرة الملحةّ الى صفحة الفيسبوك فالتلفزيون، فالحديث الشيق بين الأصدقاء وجها لوجه، ومراسلات وتتشابك الأحداث ولا تنفصم يحملك للجبل والعين على غزة، والقلب في عتاب يعبد وخذلان سعيد الظافر من مدينة الصابون وجنون الجنون وعودة التسعيني الجد الى دير ياسين، وضمير الحاضر الطبيب النفسي، واسماء المكان القشرية المستحدثة والحدث يتلوه حديث .. تتداخل في يوميات لحرب لا لشخص؛ لتمنحك مسرح الحياة الدّامي هناك وهنا، وهنا هو القدس التي تظل مجمع الطرق ومفترق الزمن، من جغرافية الصابون لحديث الحاجز، وتلاقي الأجيال ورائحة القتيل الشهيد محمد ابوخضير، الذي أحرق جسده "الديمقراطيون" ليصحو ضمير الغريب ليقوم بما يمليه عليه ضميره، يعود لطفولته البريئة في موسكو .

الشخوص بأسمائها تجدها فيما يحدث، وكل رأيه مغزول بحنكة رائعة على مهل، وروية وفكر وقاد يمنح القارئ المعلومة تلو الأخرى، فهي مولودة من رحم الجبل؛ لتعطي النمط المكاني والزماني لمجرى الأحداث، فلست في رواية كغالبة الروايات المصرية من القرن العشرين، عمدة وشيخ البلد وشيخ الخفر وصاحب الاملاك .... وهم من لديهم الخبر اليقين عن كل شيء ...لا ، هنا انت في منجم حديث يمنح للمكان حرمة هالة أهله، ولكل بإسمه ليس مجرد دور مصنّع.

خولة العايد وراشد البلد وعبد الرحمن ابو زهرة واسلام الهيموني وتقى القواسمي ونضال طنطوري أصدقاء الراوي الكاتب في (تلفزيون الجبل) ولماذا تلفزيون؟ هل للرمز الى الترفع القسري عن الحياة الواقعية، أم لأن العصر عصر النقل عما يحدث لحظة بلحظة، أو تورية من يقود الدفة الآن؟ هل هو الحدث أو من يصيغه أو من يبثه؟ اسئلة كثيرة .

ليس محض صدفة تلفزيون الجبل" في عين سارة، ومشيد بحجارة يطا، مبنى بجناحين

يعلوهما عرف رمادي اللون " ربما جناحا الوطن المحاصر ... ص٢١

وعمّ يبحث الرّاوي " عن علاقة الانسان بالارض في جبل الخليل، حيث يتميز ابن الجبل بالصلابة والعناد والطيبة والأصالة " ص٢٢ ، وأيّ علاقة تلك بين الجبل والانسان؟

"نضال الطنطوري – "نسبة للطنطورة قرية مهجرة على الساحل جنوبي حيفا"

يسأله هل حصل (وتمرمغت) بتراب الأرض يا استاذ؟ هنا السرّ!

جرب الحوار مع الجبل صخوره وترابه وسيفهمك ص٢٢"

الأسماء التي ترد في الرواية تتلو عليك قصة عن صاحبها، فخولة ابنة العايد وراشد يرشدك عن البلد وللبلد، وهو العاقل راشد البلد والطنطوري لاجئ ... ثم يأتيك للبرنامج التلفزيوني ابناء القاضي والحلواني وابنة القواسمي، ومن تيسر الا=أمور فتجبرها أسماء من أصالة جبل الخليل بعائلاته .

أمّا الهوية فيظل البحث عنها متدرجا في حواريات ملهمة، يذكرها الراوي من فم نضال الطنطوري ... اسمه نضال وهوكذلك بذاته ومعناه، يقول ص٢٧ " في الجبل نهتم بالتراب لدرجة أننا نخلطه مع بعض الأطعمة . التراب عندنا مقدس وليس مجرد تراب .

التراب في جبلنا له روح وهو يتنفس ويحكي ويحسّ .... لم يتخلّ انساننا في الجبل عن أصله فلم يتُه ولم تضع هويته "

في الذروة التعريفية التي يبنى عليها تفاعل ما يأتي من زمن الحطاية للشخوص لاحقا

لاينسى الراوي سعيد الظافر على الجناح الآخر، ولا العتاب الآتي من يعبد جنين،

فأمّا صبحي الكيلاني ابن يعبد فمكالمته ذروة أخرى، وهو الصديق الذي يعاتبه ويطالبه الا ينسى أصالة يعبد وجنين الصمود، فيجيبه ببساطة وثبات بعد أن يتساءل ص١٥١ + ص١٥٢

- " هل تاهت الفكرة فلم تصل الفكرة لصبحي الكيلاني الصديق من يعبد؟ "

- "وقفت عند مفاصل الوطن الذي أبحث عن روحه في الجبل ،لا تلمني يا صديقي بل لُم الكلمات، لُم المدينة التي اعجبت بالصابون والرمل والمرايا المشروخة كالذين غادروا الدوالي والجبل ، باختصار (جبل الخليل) نحمله في صدورنا. كل واحد منا وله خليله" الخليل"هي الفكرة. أرجو الا يراسلني أصدقاء آخرون سائلين عن قراهم ومخيماتهم ومدنهم ... فأنا أرى في كلّ (خليله)، ولكل (خليله)، و(خليلنا) واحد يتوزع على خارطة الجغرافيا والتاريخ ... لكنه محتاج لمن يقف على المعنى والدلالة ." ص١٥٢

وفق الكاتب تماما باستخدام اسماء وادوات التكنولوجيا الحديثة، من الرسالة النصية الى الفيسبوك والتلفاز، وطوعها للحدث الروائي راصدا الزمن وسرعة التواصل ....

فقد أورد ثلاثة فصول عن مشفى المجانين ودير ياسين والحرب على غزة بمهارة راقية، كجزء لا يتجزأ من الأحداث، فتبدأ بالبحث عن الرابط بينها وسرعان ما يدخلك لقاعة الاجتماعات في تلفزيون الجبل؛ ليثني الأصدقاء على التقارير المذكورة، فيعيدك الراوي بمهارة لتسلسل أحداثه، ليضعك في بوتقة الذروة العليا لما يصبو اليه الكاتب بوضع رسالة العودة ... نعم العودة.

حيث تتعاظم خلاصة الفكرة عن الوطن والعودة، كلّ يعود لأصله لطفولته، وكل شخصية تهتف هتافها كأنه منبثق من اسمها ،خولة العايد تعلق بفرحة على التقارير الواردة عن دير ياسين، ومشفى المجانين وشهادة الدكتور حايم مولدوفيتش، ومفاجأته المشاهدين أنّه قرر ضميريا العودة الى مرتع طفولته في موسكو؛ لتقول خولة العايد : " لا يصح في النهاية الا الصحيح مهما طال الوقت ستظهر الحقيقة.

ويقول راشد البلد : " هذه البلاد منذورة للمصاعب، ولا أحد يستطيع العيش فيها من غير ابنائها الذين شربوا روحها فتشرّبوا أصالتها" ص١٥٣

وتقى القواسمي : "على رأي جدتي "هذه البلاد لا يعمرّ فيها غريب " .

ويعود سعيد الظافر أيضا للجبل يتحسس أسده فيجده صلبا ص١٦٢

" والأسد صلب . من حجر الجبل اقتطع ليكون هناك الى جانب أسود المنارة ... لم يعد فخارا"

وأنا أحن إلى خبز أمّي وقهوة أمّي وعودة الى سطح دار أمّي وسنعود ...بإذن الله سنعود.

وقالت سوسن عابدين الحشيم:

تهدف هذه الرواية باسلوب الحوار الذي لجأ اليه الكاتب الى توضيح فكرة "الوطن" والاغتراب مستخدما بعض الرموز والسرد الروائي، فقد تسلسل الكاتب بعرض أفكاره عن طريق رواية تجمع بين الشمال والجنوب، بين الارض وبين المدينة، بين الجبل المتمثل بالصحراء وجبل الخليل وبين رام الله المدينة الحديثة... يتساءل الكاتب في روايته هل تموت الفكرة؟ فكرة تحرير الوطن واسترجاع الارض. ها هي قد تحررت رام الله، لكن هل الانسان حصل فعلا على حريته أم أصبح عبدا للتحضر والمدنية وجمع المال... مثلت هذا الدور بهية عبد السلام التي حاولت اقناع سعيد بالشغل معها في الدعاية لمشغلها الخياطة... لكن رفض بطل الرواية سعيد الظافر عرضها...هو الذي ترك الجبل والصحراء، ترك الأرض، ترك الحرية، ترك القوة والتحدي، ترك الفكرة من اجل البحث عن عمل حاملا أسده الحجري الصلب، والذي يرمز الى القوة والصلابة؛ لكي يضعه جانب أسود رام الله في دوار المنارة... لكنه عاد خائبا مما رآه في هذه المدينة شعر بالاغتراب...ضاع الانسان فيها، فها هو صديقه حصل على وظيفة راقية بوزارة الثقافة وهو لا يستحقها، أمّا سعيد والذي كان ملقبا بشاعر الجامعة لم يجد عملا يليق به ...ضاع الانسان في هذه المدينة الكبيرة، لم يعد للصداقة والشهامة مكانا فيها...تضيع كل المثل والمبادئ فيها، تضيع الفكرة...فكرة تحرير الانسان والارض...وها هو أسير محرر يبيع اليانسون والقهوة...مشروبان متناقضان أحدهما يهدئ الاعصاب، والآخر ينبهها وينشطها ...تعرض الكاتب لتراثنا الفلسطيني القديم حيث ذكر لنا ان هناك من حاول حفظ هذا التراث وهو من عائلة الحروب احدى العائلات الكبيرة الموجودة في دورا، وجمع كثيرا من المقتنيات القديمة والأثرية...تناقضات كثيرة في هذه

الرواية أراد بها الكاتب توعية القارئ لها وادراكها، أحد شخوص الرواية يبحث ويبحث عله يجد جوابا أو حلا لما يحصل...يبحث في الجبل ويتساءل ما علاقة الانسان بالارض؟ يسأل ويجيب انها علاقة قوية جدا فالارض مصدر القوة والخير والتحرر للانسان...يسير عليها ويتجول فيها بكل حرية وسعادة وطمأنينة، فتبعث في نفسه الهدوء والسرور...تبعده عن صخب المدينة وعماراتها الشاهقة وضجتها...الأرض والتي رمز بها الكاتب الى جبل الخليل هي الروح، هي الوطن هي الحرية...تراب الارض غال جدا، يتمرغ به الانسان ويتحاور معه كما اشار اليه الكاتب ص ٢٣، يتسم انسان الجبل بالأصالة والطيبة والصلابة والعناد، فهو قريب من الأرض يجلس على صخورها ويتحاور معها فتحل له مشكاله وتريحه...تعلمه القوة والصلابة والتصدي لأيّ عائق في طريقه... دوالي الخليل بعنفوانها ورفعتها تبعث في نفسه القوة والتحدي والفخر...هنا يقارن الكاتب الخليل بجبلها، والارض الصحراوية المتاخمة لها برام الله المدينة التي تحولت بالحضارة الحديثة الى شيء جديد وزمن جديد ولغة جديدة، كان على سعيد هو ايضا ان يتحول الى انسان جديد ويترك انسان الجبل، ويترك الفكرة التي يعود اليها الكاتب ليذكرنا بها... فكرة استرجاع الوطن الفكرة لا تموت هناك علاقة روحية بين الانسان والجبل...الروح في الوطن لا تغادره حتى لو غادره الجسد...فليعلم المحتل ان أرواحنا في الارض خالدة لا تموت حتى لو ابتعد الجسد عنها ....ها هي دولة المحتل الدولة المجنونة كما لقبها الكاتب تعيبث فسادا في الارض، تتجول على الجبل مدعية البحث عن ثلاثة جنود مفقودين؛ لتبرر اعتقالها لشبابنا وتخريبها وهدمها للبيوت، تدمر وتقتل وتعتقل وتحرق الاطفال في غزة، انها حكومة بلا عقل ولا انسانية... ترهب الاطفال وتقتلهم، فقد حرقت الطفل محمد أبو خضير بكل وحشية وقسوة، ذبحت ودمرت قرى إحداها كانت قرية دير ياسين، حيث وثق الكاتب بعض الاحداث التاريخية واعمال الاحتلال الارهابية، لا تدري كيف ستدمر وتبيد شعبا بكامله، فهي تجهل السر الكامن في نفوس ابناء الارض، والذي وثقه الكاتب بقصة الطبيب النفسي اليهودي الذي عاد الى بلده موسكو، ليترك هذه الارض؛ لانها ليست له ولن تكون له مهما حاولت حكومته فرضها عليه، حكومة تجهل سرّ العلاقة بين الارض والانسان، سرّ الفكرة التي أوحاها الكاتب في الرواية والتي من أجلها يعود سعيد الى الجبل.

وكتب اياد شماسنة

إبراهيم جوهر يؤسس للواقعية المعرفية، ويكتب رواية تقوم على بطولة الفكرة

لا يحدث كثيرا أن تحظى بقراءة عمل أدبي تتمته فيه بالدهشة، ورغم أن كاتبه لا يزال يطرح الأسئلة منذ البداية حتى السطر الأخير دون أن تصاب برغبه في الاتصال بالكاتب لمعرفة ماذا يريد إلا إن كانت الرواية تجمع بين البساطة والثراء، وبين القيمة المعرفية العليا والوضوح، مثل رواية أهل الجبل .

رواية إبراهيم جوهر، الصادرة عام ٢٠١٤، عن دار فضاءات للنشر والتوزيع في ١٦٢ صفحة من القطع المتوسط بغلاف جميل للفنان محمد رباط من السعودية، هي رواية الأسئلة بامتياز، أسئلة الهوية والأصالة والاتجاهات ، حيث لا يوجد فيها أبطال رئيسيون كبار، يلعبون الحدث الدرامي، ولا شخصيات مساعدة ،لكن فيها رموز بشرية بدلالات تشير إلى "أهل الجبل" كرمز للأصالة والهوية التي حافظ أهلها عليها تقريبا، بل إن من المدهش هو أن الرواية بكاملها ليست رواية أشخاص ، والصراع فيها ليس صراعا ذا طابع بشري، بل هي رواية فكرة بامتياز ،نرى هذه الفكرة تبحث فيها الأسئلة وتجيب عليها الشخصيات عبر حركتها وتفاعلها مع الأشياء والجغرافيا والتحولات التي أصابت كل شيء، وهنا يتميز إبراهيم جوهر في طرحه المتكامل داخل العمل الأدبي.

المكان هو جنوب فلسطين ابتداء كما يشير اسم الرواية، والجبل هو جبل الخليل بما يحتمل المسمى من جغرافيا ومن شموخ وصمود وثبات وتحمل ، ومن قسوة العيش والظروف وتقلبات المناخ، وعصف الظروف، وتلون أهله بألوانه، وقد أكلوا من ترابه وشربوا من سمائه، ثم ينتقل المكان أو يتمدد إلى رام الله، التي وقعت في المقارنة بين المدينة الأصيلة وبين المدينة البديلة التي فقدت الكثير من تراثها وشكلها لصالح حداثة مفترضة لكي تستطيع أن تواكب التحولات المتوقعة منها والتي جاءت مع التحول السياسي في مكانتها ، وهنا تنعقد مقارنة غير مباشرة بين الأصالة والبراءة، وفطرة الجبل من جهة، وبين المدينة الهلامية بهويتها وشكلها وقيمها من جهة أخرى

ربما يقسو جوهر على رام الله ويتحيز إلى الجبل، فيرفع "أم علي"، الشخصية التي نستطيع أن نعاتبه على بقائها كائنا رمزيا"شبحيا"، ويذهب بفتاة رام الله إلى درك أدنى؛ بالتأكيد لا يمكن تعميمه، كما لا يمكن تعميم نموذج أم علي،. لكن جوهر في النهاية، كروائي، يشير إلى مشكلة أساسها الفكرة التي تقول إن تحولات كبرى تصيبنا، وهناك أسرار يجب إدراكها، وان تركناها تتحكم بنا فلن تتركنا على المسار الذي يتناسب مع تاريخنا وهويتنا أو طموحنا ومستقبلنا

الزمان واضح في رواية أهل الجبل ويتحدد بشكل دقيق في رمضان ٢٠١٤ وما حوله، وهو قصير جدا ليستوعب التحولات الكبرى التي ترصدها لغة إبراهيم جوهر الخاصة التي يتميز بها، والتي تتجلى واضحة في الجمل القصيرة، وفي التساؤلات الدقيقة .

يلجأ جوهر في روايته إلى العديد من الرموز المتحولة في معناها ودلالتها بدْءا من أجنحة مبنى التلفزيون في الجبل ، فهي وان كانت معمارا إلا أنها ذات دلالات، وكذلك "أم علي" التي لا زالت رمزا أكثر منها شخصية محورية وان ظلت كرتونية الصفات، أي أنها لم تتطور كشخصية في الرواية بل بقيت ثابتة طيلة العمل الأدبي.

ومن الرموز أيضا الأسد الجنوبي الذي كان فخارا هشا أثناء ذهابه مع صاحبه إلى رام الله وفي خاطره أن يقف بين اسود رام الله الصخرية ، وعندما صدمته التحولات وصقلته التجربة عاد من صخر ، مع أن اسود رام الله كانت منذ البداية من صخر وبقيت رغم التحولات .

حوار جوهر بين شخصياته عفوي، متناغم مع سياق العمل؛ إلا انه سريع ومختصر، تتجلى فيه خبرة الكاتب في الإيجاز الذي لا يترك غموضا رغم قدرته الواضحة على الإسهاب عندما يريد أن يسهب، لكن الملاحظ انه جعل الحوار متناسبا مع طبيعة الفكرة موضوع الرواية والأسئلة التي أثارها

إبراهيم جوهر كاتب يحسن السرد ويعرف حق الرواية عليه، وهو لا يكتب للتسلية أو المتعة، لأنه مهموم بقضايا جوهرية، ومهتم بطرح أسئلة، وإثارة تساؤلات عن الماضي

والحاضر بشكل يستطيع معه التأسيس لاتجاه المستقبل، لا يجامل شخصياته ولا يحشرها في رغباته بل يكونها ثم يتركها تعيش أدوارها، كثير من شخصياته واقعية تماما وربما يستطيع القارئ العثور على أسماء لها رصيدها من الحقيقة من أهل الجبل ، مما يدل على اطلاع جوهر وعلاقاته، ومدى اقترابه من الفكرة \البطل في الرواية

أهل الجبل رواية واقعية "معرفية" بامتياز، وربما سيحسب لإبراهيم جوهر في يوم من الأيام انه احد رواد الواقعية المعرفية، التي تقدم إسهاما معرفيا عبر طرح الأسئلة الذكية ، وإثارة الدهشة، وخلخلة الراكد من القضايا إضافة إلى نفض الغبار والأوهام

فراس حج محمد/ فلسطين

هل كان إبراهيم جوهر** يكتب رواية أم أنه كان يقارن بين مدينتين؟ هل كان الكاتب المقدسي يتأمل التاريخ والجغرافيا أم كان يبني حدثا روائيا محدودا؟ هل كان السارد العليم الخبير بكل شيء يسائل هذا الواقع أم أنه كان شاهدا عليه فقط؟ كل تلك الأسئلة ولها كثير من المعتكفات والمنعطفات والمنحنيات أخذت تتشكل وتتصالب وتتراص أمامي وأنا أتأمل رواية أهل الجبل، تلك الرواية/ البحث في أهل الخليل وطباع أهل الخليل، الذين ربتهم الصحراء وسقتهم تاريخها ووسمتهم بميسمها!

ربما كان البناء الروائي بسيطا وقريبا غير مبني على فلسفة معقدة من البناء الفني للرواية الحديثة على الرغم من أن الكاتب قد لجأ أحيانا إلى تقطيع الحدث الروائي لتتداخل المشاهد بين مكانين وزمانين أو بين مكانين في زمان واحد، على الرغم من تلك البساطة إلا أن الرواية قد استندت إلى مجموعة من الفنيات الرصينة التي أعطتها قيمة فنية وأدبية، وفيما يأتي سأقف عند جملة من القضايا التي أثارتها الرواية في بعديها المعرفي والفني.

الموازنة بين المدينتين (الخليل ورام الله)

يتضح في الرواية أن الكاتب يحمل وجهتي نظر متناقضتين حول تينك المدينتين، وقد عبر السارد المشارك بالأحداث كأحد شخصيات العمل الروائي عن هاتين النظرتين، فقد بدت

رام الله مدينة الغربة والغرباء، وتبحث عن ذاتها في ذاتها، مدينة الصابون والرمل والزجاج، مدينة السرعة والفنادق والوجبات السريعة، مدينة تأكل أبناءها، مدينة بلا تاريخ، تأكل الماضي كله، مدينة عصرية مغرية ومغوية، تمني زائرها الأماني الخادعة، يركض فيها من أتاها ليحقق ذاته وإذا به يركض وهو محله، ظانا أنه قد أحرز شيئا وإذا به كما هو، لذلك فهي مدينة الأحلام والانكسار والخيبة، مدينة بلا ظل وبلا ملامح مفتتة ومشرذمة، ولكنها هي المركز

تلك الصورة القاتمة لمدينة رام الله تقابلها الخليل مدينة الأصالة والعراقة والتاريخ والمقاومة، مدينة فيها كل شيء مختلف له طعمه ودلالته حتى المباني والأسماء، وعلاقة الناس فيما بينهم وعلاقتهم بالطبيعة والصحراء والتراب والجبل والهواء علاقة تماهٍ واندماج، فهم منغمسون في الأرض والتراب، لم يضيعوا في موجات التغريب والقشور الزائفة القادمة مع مشروع السلام الميّت، فظلوا متمسكين بالأصالة والوطن، ولم يتنكروا للتاريخ، سواء في ذلك تاريخ المدينة الخاص أم تاريخ الجغرافيا الأكبر لفلسطين كلها، لذلك كان واجبا وطنيا وأخلاقيا وإنسانيا من (إسحق الحروب) ليجمع التاريخ ويعيد تشكيله من تلك القطع الأثرية، إذ تحول منزله إلى متحف تاريخي وإنساني واجتماعي، وكأنه يقاوم على طريقته..

مدينة تخلق مزاجها من كينونتها الخاصة عبر أربعة من العناصر (التراب، والهواء، والارتفاع، والدوالي)، لتقف هذه العناصر في تحد ومواجهة مع تلك العناصر الفلكية التي تصنع الحظ والتاريخ الفردي للبشرية والمعروفة عند أصحاب الفلك (التراب، والماء، والهواء، والنار) لنجد الناس عند هؤلاء مجموعة أمزجة نابعة من واحد من هذه العناصر، هنا تجد التراب والهواء مشتركا عاما، ولكنه ليس ذلك التراب العام، إنه تراب الجبل، وليس الهواء الملوث إنه الهواء ذو التيارات الخاصة بالتشكل في فضاء الجبل، وليكون الارتفاع عنصرا ماديا وحضاريا وإنسانيا مكانا وتاريخا يليقان برمز المنطقة الدّال عليها كالعلامة الخاصة المميزة، وهو الدوالي، فهنا إذن أنت في الخليل، بكل تلك السمات الخاصة التي شكلت إنسانها وإن كان فيه صلابة الصحراء وقوتها وشموخ الجبل إلا أنه أصيل وطيب وخلوق وإنساني وبسيط ويحب الخير ويفهم الأرض وسر الأرض، ومع كل ذلك فإن المدينة هي هامش

تدخل في صراع خجول غير معلن مع رام الله/ المدينة المركز، وهي بذلك تصنع وجها آخر من وجوه المقاومة!

إن هذا كله جعل أهل الخليل وحدة إنسانية خاصة، يشتركون فيما بينهم في مجموعة سمات عامة، ومع وضوح تلك السمات العامة إلا أنها لم تلغ الخصوصيات الفردية لآحاد الناس، ولذلك حرصت الرواية عبر الحدث الروائي أن توضح هذين الجانبين الخصوصية الفردية لابن الخليل، والسمات العامة للناس بشكل عام، وجعلت الإنسان الخليلي ابن الجبل المتشبع بالسمات العامة في مواجهة مدينة الضياع، إذ لا وجه لها غير وجه استهلاكي سريع متضخم يركض فيها الشخصُ دون أمل، تأكله الأحلام، وتسحقه التمنيات، ولا يظفر بغير الحسرة والندم، الناس فيها غرباء فلا يشفع فيها الحب ولا تنفع فيها الصداقة، ولا يؤثر فيها التاريخ، مدينة تشبه بهية عبد السلام أم أن تلك المرأة حالة بشرية مجنونة من صناعة مدينة لا تتمتع بالبهاء ولا بالسلام!!

إن هذه المقابلة بين المدينتين يطرح تساؤلا صفته الأولى سياسية عن علاقة المركز بالهامش، وهي علاقة خلقتها كثير من الظروف السياسية المستجدة على المدينة المركز، إذ لم تكن كما هي الآن، لقد تحولت سريعا لتكون العاصمة السياسة والثقافية والاقتصادية للسلطة الفلسطينية، والكل يسعى إليها ليستظل بظلها، وهنا تطرح الرواية إشكالية كبرى ما زالت تتعمق يوميا، ليزداد المركز تبؤرا، والهامش انفلاشا وابتعادا ليكون أبناء الهامش على ما هم عليه من أصالة وتاريخ خدما لأبناء المركز على ما هم عليه من تغريب وعصرنة لها سمتها غير محمودة النتائج!!

اللحمة الثقافية والجسد الروائي

يوظف الكاتب في روايته الكثير من الإشارات الثقافية، مؤكدا بتلك الإشارات الثقافية ما يرمي إليه الكاتب من رؤيا عامة وفلسفة ينطلق منها الحدث الروائي، فتجد حضور المنطقة، منطقة جبل الخليل، والتي تشمل عدا الخليل، القدس وبيت لحم، في كثير من المؤلفات الإبداعية التي يذكرها السارد، وقد تحدثت عن تلك المنطقة، وكأنه يشير من

طرف خفي قدر تلك المنطقة وأهميتها إبداعيا وثقافيا، فقد تجلت في فرس العائلة لمحمود شقير، وكلب البراري لجميل السلحوت، ونار البراءة لمحمود شاهين، وقبلة بيت لحم الأخيرة لأسامة العيسة كما ظهرت أهمية تلك المدينة ثقافيا في جهود أحد أبنائها (إسحق الحروب) في الحفاظ على التراث والتاريخ من الضياع، ليدخل في منافسة مع الإسرائيلي الذي يدفع المال من أجل أن يستولي على تلك الآثار ليزَوِّر التاريخ، فكما قاوم أهل الجبل مشروع روابط القرى في ثمانينيات القرن العشرين، فهم أيضا يقاومون بالثقافة والامتداد عبر التاريخ والجغرافيا معا، فحركة المقاومة للمدينة حركة مستمرة، والسياق الذي جاءت فيه الرواية يبين ذلك في حديث الرواية عن تداعيات ما قبل الحرب والتي بدأت في جبل الخليل وكهوفها، حيث اختفى ثلاثة من المستوطنين، اتهمت "إسرائيل" بعض المقاومين من الخليل بخطفهم ثم قتلهم بعد ذلك!

إن ذلك الرجل التسعيني الذي يحفظ الأحداث المهمة ويسردها بحرقة، لم يكن إلا وجها آخر من وجه المدينة الزاخر بالمعرفة السياسية والتاريخية المعاصرة، فإن كان ذلك الحاج قد تحدث بإسهاب عن نكبات الفلسطيني، فقد أعطى دلالة ثقافية مهمة، تقف جنبا إلى جنب مع سعيد الظاهر وهو يتأمل لوحة "الفتاة الضاحكة" المعلقة في أحد مقاهي رام الله ويدعى "ملتقى عشاق القهوة"، إنه الإحساس بالجمال الذي رافق ابن الجبل في البيئة الطارئة!

وما بين هذين البعدين في الإحساس بالجمال والتاريخ، تتسلل إلى لغة الكاتب وعلى لسان السارد والشخصيات مجموعة من النصوص الأدبية شعرية ونثرية من مخزون الثقافة العربية الحية، فتحضر الأمثال العربية القديمة، والأحاديث النبوية والآيات القرآنية، والحكم، وكما وقفت الآثار القديمة بجمالها ودلالتها في تآلف تام فيما أشرت إليه من أمر اللوحة والقطع التراثية، تجد المواويل والأغاني والأمثال الشعبية حاضرة بتآخي الصياغة مع تلك المنتخبات من الثقافة العربية القديمة، لتبدو كل العناصر في تراصف يفضي إلى لحمة ثقافية مكتنزة تساهم في تشكيل الجسد الروائي الذي غدا جسدا صلبا متينا!

البناء الروائي

للغة في وعي الكاتب أهمية خاصة، فجوهر يرى أن "اللغة هويتنا ووسيلة إبداعنا وحاملة فكرنا، ويجب أن تكون حية نابضة"، ويتجسد هذا الرأي في أهل الجبل؛ إذ جاءت اللغة متينة السبك، واضحة، متسلسلة، لا تكاد تجد خطأ لغويا نحويا أو إملائيا، لغة تدل على شخصية كاتبها بالدرجة الأولى، وعدا ذلك فهي كانت حاملة لأفكار الكاتب ورؤياه، لغة واقعية لا تجنح إلى التصوير أو التهويل أو الزخرفة البيانية من أي نوع، وكانت تعتمد على سلاستها وجريانها بتدفق دون عناء، لأن الكاتب مشبع بالفكرة، وهما تتدفقان (الفكرة واللغة) معا ويتوغلان في وعي القارئ وفكره لتشكيل النص، ليبوح بما باح به فيه!

واستندت الرواية في بنائها الفني على تقنية السرد المباشر، يؤديها أحد شخوص الرواية، وهو سارد عليم بمفهوم النقد الروائي، يعلم الظواهر والبواطن، ويعرف الحدث قبل وقوعه، سارد لم يكن بطلا بالمفهوم التقليدي للبطولة، كان شاهدا على بطولة الجبل وأهل الجبل، إذ لا بطل تقليديا هنا ولم تعتمد الرواية على حكاية لشخصية ما، وإنما أراد الكاتب أن يمنح تلك البطولة للمكان والتاريخ والناس كشخصية عامة تمثلت في الخليل أرضا وتاريخا وإنسانا! ومع ذلك الملمح الفني في الرواية استحضر الكاتب أدواته ليكون هناك شيء من مساءلة الواقع بأحداثه الراهنة الحقيقية، وليست الواقعية فقط، إذ لا داعي لنكتب خارج الحدث الحقيقي، وإن لم يرد الكاتب أن يؤرّخ للأحداث، لكنه أراد التعريف والبيان، ولم يصل الأمر في هذه النقطة بالذات إلى حد المسائلة المفصلية، وغلبت مناقشة الأفكار في حوار الشخصيات، ولم تحفل الرواية برسم أي ملامح خاصة لأولئك البشر المتحركين في الرواية، فلا تكاد تشعر بهم على المستوى الإنساني، فقد غلبت الفكرةُ، الفنيّةَ الروائيةَ، فبدت الشخصيات فكرية فقط!

لقد اعتمد الكاتب على البعد اللغوي كثيرا في رسم الشخصيات، فاختار لها الأسماء التي تتوافق والبعد الفكري في الرواية، وهنا أصبحت الشخصيات بأسمائها حاملة للمفاهيم الفكرية التي تحملها الرواية، فمن خولة، وراشد إلى سعيد الظافر وبهية عبد السلام، تقف الدلالات شواهد على الفكرة، فقد أنهى الكاتب إهدائه للرواية "وإلى الغزالة الباقية هنا"، والخولة هي الظبية كما جاء في المعجم، فارتبطت الشخصيتان معا في العتبة النصية الأولى

(الإهداء) وفي المتن الروائي، فهناك ظهرت على المسرح الموصوف بالإهداء بأنه (هنا)، التي كانت تلك المرأة التي ساعدت السارد خلال رحلته إلى مدينة الخليل، وبرزت شخصيتها الفكرية وطبيعة أفكارها، عندما أخذ الكاتب ينقل لنا من كتاباتها التي تدونها على صفحتها في الفيس بوك، فبدت امرأة واعية متناغمة فكريا مع أفكار السارد.

أما الشخصية الثانية والتي رافقت السارد خلال رحلته إلى الخليل، فهو راشد البلد، وراشد كما يبدو من المتن الروائي شخص يعرف تفاصيل الجبل وأهل الجبل، وحتى فلسفة الأسماء ودلالتها للقرى والمواقع، فهو بطبيعة دوره في الرواية استحق اسم راشد، وهو الراشد فعلا، في وعيه ونضوجه ومعرفته التي رأيناها في الرواية.

أما الشخصية الثالثة فهي شخصية سعيد الظافر، وهنا الدلالة ضدية، وهي دلالة مقصودة، وقد عرّض الكاتب بهذا الاسم، لافتا النظر أنه لم يظفر بشيء، وبالتالي فإنه لم يكن سعيدا في البيئة الجديدة رام الله، في حين أنه لو بقي في الجبل/ الخليل لظل سعيدا ظافرا، فقرر العودة ليكون من اسمه نصيب، وتشترك بهية عبد السلام بجزء من هذه الدلالة الضدية، فقدت بدت امرأة مختلفة تماما عن نساء الجبل، وبرزت في تضاد كامل مع خولة العايد، بدت انرأة جريئة، رسمت ملامح جرأتها من خلال لغتها العفوية المنسابة، وارتيادها للمقاهي وطبيعة حديثها مع سعيد الظافر، فيخيل إليك أنها تتمتع بالبهاء، ولكنك تكتشف أنها امرأة مصنوعة على عين المرحلة والمدينة الجاذبة المركز وكأن المدينة والمرحلة هما بهية، أو كأن بهية هي صناعة تلك المدينة وهاتيك المرحلة، تلك المدينة التي شكلتها ثقافة السلام في مرحلة السلام، فبدت بهية عبد السلام نتاج المرحلة والمدينة الزائفتين، لتبدو المرأة هنا فكريا نموذجا إنسانيا هشا لأنها تعبر عن مرحلة ومدينة تعانيان من الهشاشة أصلا، فصار الاسم يدل دلالة عكسية على حقيقته، وكأن إبراهيم جوهر ذا اللغة المكتنزة بالموروث الشعبي يريد أن يقول "من برة الله الله ومن جوّة يعلم الله"، فكان ذلك ينطبق على الثلاثة معا؛ المرحلة، صناعة المدينة، صناعة الشخصيات، بهذه التفاهة المحضة!

وبالانتقال إلى جانب آخر فيما يخص الشخصيات، فإن الدارس سيلاحظ أن الكاتب قد

سيطر سيطرة كاملة على الشخصيات، فلم تفلت منه الشخصيات لتعبر حسبما يراد لها القدر الروائي، وذلك لأنها مسيرة بالكامل بإرادة مسبقة من سارد عليم يريد منها أن تقول وتفعل ما يريد، وربما يندرج في هذا السياق تلك النهاية المحكومة بالقدر الروائي المشار إليه سابقا، فقد انتهت الرواية باحتجاج من سعيد الظافر على ما شاهده في مشغل الخياطة، بدا المشهد باهتا إذ لم يكن هناك سبب مباشر أو قشة لتقصم ظهر البعير لتجعله ينتفض تلك الانتفاضة التي رأيناها ليعود أدراجه إلى حيث أتى، مختارا عن قناعة بلده وأصالته، إنها الفكرة التي فعلت كل تلك الأفاعيل.

وبعد:

ربما لم ينته الحديث حول هذا العمل الموسوم ب "أهل الجبل" والمصنف على أنه رواية، ففيه الكثير من الجوانب التي توقفت عن الحديث فيها خشية الإطالة والإثقال على القارئ، ولكنها بالتأكيد عمل فنيّ ممتع وذو دلالة في وصف المكان بعموميته وفي مزاج أهله وثقافتهم، ينمي الذائقة ولا تخاف على نفسك من التورط إلا في حب الخليل وأهل الخليل، الذين يستحقون المجد والرفعة والجمال والحب، فيا نعم ذلك التورط الجميل، فهم عرق الوطن الأصيل والنابض حياة وشموخا!!

وكتبت فوزية النتشة:

رواية "أهل الجبل " هذه الرواية التي تبحث في تفاصيل المكان وذاكرته الحية

فالكاتب هنا يبحث عن سر المكان وتاريخه مفتشاً عن إجابةٍ وباحثاً عن دليل ليصل إلى هذا السر "سر الجبل وأهله"، هذا الجبل الصامد بكبرياء زيتونه وبجمال الدوالي الثابتة فيه ، أسئلةٌ كثيرة تطوف في نفسه ما هو سر، وما هي الإجابة لهذا اللغز؟

وما هي الحقيقة التي نُحتت من صخوره وكهوف الصمود فيه.

جبل الكبرياء والعناد والبقاء في وجه من أراد له الكيد صامداً بترابه وطيبة أهله.

مشوار الكاتب يبدأ برسالة من "أم علي" هذه المرأة الفلسطينية أرمز لكل ما هو حي وصامد بعثت له الرسالة من قلب الكهف المظلم لترسل نوراً مبشراً بالنصر والبقاء وما زال التساؤل في نفسه ولسان حاله يقول:

"ما سر صلابة ابن الخليل وطيبته؟ وهل للبيئة أثر على إنسانها؟ ولعل الشاعر عناهم حين قال: الناس في بلادي جارحون كالصقور وطيبون كرعشة المطر"

ثم حمل أسئلته وذهب وراء الحقيقة لاكتشاف السر أومنذ اللحظة الأولى أدرك بأن مجرد التأمل لا يمنحه سره فقرر أن يستعين بزملائه من أصحاب الفكر والقلم، ممن عُرفوا بالقوة المستمدة من المكان وجماله وعمقه.

"المسألة أكثر عمقاً وجدية مما كنت أظن"

فهنا خولة العايد، راشد البلد ، إسلام الهيموني ، وتقى القواسمة وغيرهم ، من أبناء هذا الجبل أجميعها أسماء قريبة لواقعنا و كأنها شخصيات تعيش معنا عن قرب.

واصفاً طبيعة الجبل و أهله أو كيف لمدينة تحمل كل التناقضات من شأنها أن تمثل الوطن بأكمله.

"هنا الخليل هنا الناس وعنفوان الجبال هنا التناقض كله ، الطيبة مقابل التوجس والشك، الكرم والإنسانية مقابل الحرص ، والصد والتخطيط والمسؤولية مقابل البساطة والتواكل هنا ناس يمثلون الوطن بكل تناقضاته"

واعتمد الكاتب في طرحه للرواية على عدة رموز: "مبنى التلفزيون بأجنحته الرمادية أالتراب الهواء، والدوالي، الأسد" مما زاد في عمق الرواية و ساند فكرتها.

وهنا سعيد الظافر وأسده ورحلة إلى مدينة الأحلام ليواجه عدة مفارقات بينها و بين مدينته الأم، مكانين قريبين جغرافيا، ولكنهما ابتعدا كل البعد في اكتساب الحياة من مصدر واحد، بسبب الحواجز التي وضعها الاحتلال، و يسبب اختلافات كثيرة خلقها سكان المدينة

أنفسهم، فرام الله التي غرقت في الحداثة واستبدلت قديمها بكل جديد في شتى مجالات الحياة، و مُلئت بالعمارات الزجاجية، تقابلها الخليل التي ما زالت تحافظ على تراثها المعماري والحضاري بزرع قيمها و عاداتها في نفوس أبنائها وتشربهم عراقة الماضي بجمالياته المختلفة البسيطة.

و تَوقفِ الكاتب عند بائع اليانسون و القهوة .. و إصرار هذا البائع على كلمة اليانسون و لكل مشروب دلالاته لدى المتلقي.

و المفارقة بين نساء الجبل باحترام الخصوصية مقابل مدينة أحلام سعيد قد بلغت النساء فيها قدراً من الجرأة، و سلط الضوء أيضاً على مفهوم الثقافة الجاهزة .. وجميعها أحداث قائمة في الواقع.

"ماذا اعترى الفكرة في بلادنا "

وكيف سارت الأحداث بعد ذلك بسعيد حين اقتحم تفاصيل هذا المكان الذي أدرك بأنه لا يتسع له ولا لأسده و أن هذا المكان ليس حلمه كما اعتقد فكيف لأسد من فخار يعيش بين الأسود الحقيقة للمكان، وبمجرد رجوعه إلى مكانه و خليله رجعت له القوة و تحول إلى صخر.

و في الرواية أيضا استعادة لذاكرة المكان و سبب تسميته، والتوقف على تفاصيل دقيقة فيعود لسبب تسميه دورا بهذا الاسم ولماذا ارتبطت الخليل بنبي الله إبراهيم، وأصبحت خليل الرحمن.

وتقوم الرواية على أسئلة باعثة لأسئلة أخرى تدفع القارىء للتوقف عند تفاصيل لا تنتهي،

تدور أحداث الرواية في حرب تموز عام ٢٠١٤ و التي بدأت بجريمة بشعة بحرق محمد أبو خضير و هو على قيد الحياة في قرية دير ياسين، وكأن الاحتلال يُصّر على إعادة ارتكاب جرائمه بحق هذه القرية وسكانها، ويستكمل المجازر في غزة وإشعال نار الانتقام فيها.

من مفارقات هذه الحرب أن المكان الذي شهد حرق الشهيد أبو خضير هو ذاته الذي أقيمت فيه مستشفى للأمراض العقلية المخصصة لجنود الاحتلال المتأثرين من هول الحرب، وقد سرد الكاتب قصة "شاؤول كوهين" كواحد من المصابين الذين أصيبوا بالذهول والفزع مما عاشوه في غزة، فقد أصيب بهاجس الخوف والهلع مما سبب له اضطراب نفسي عندما استبدل الموسيقى التي كان يعشقها، بموسيقى ضجيج الطائرات والقنابل التي لا تهدأ.

وتدهور حالته كما وصفها الطبيب الروسي الذي آثر الابتعاد عن كل ما يحيط به من جنون منتشر في كيانٍ لا دين له ولا عقل.

موضحاً بأن هذا مصير كل إنسان يريد أن يصنع له حياة على أنقاض حياة الآخرين وأرضهم وأهل الجبل هي رواية واقعية لغتها بسيطة مكثفة ومختصرة، وهي قائمة على البحث من خلال التساؤلات التي من شأنها أن تقودنا للحقيقة، وإيمان الكاتب بالفكرة الحية النابضة، فهي الركن الأول والأهم في منظومة البحث عن أصالة المكان وعلاقته بالإنسان وأثره عليه، و حفاظه على عراقته فالإنسان ابن بيئته كما وصفه الكاتب "كل يحمل خليله في صدره "

ولكل إنسان خليله ووطنه الذي ينتمي ويخلص له.

دعاء عليان:

قراءة في "أهل الجبل" بقلم :دعاء عليان

لتلك الدوالي المتدليات سحر

يزمل المكان بساكنيه.

فيها دروس للجَذر كيف يتأصل

وللمرء كيف بالحق يصدح بملء فيه

وفي جبال الخليل معان

للصبر والعناد واللين حين الأمر يقتضيه.

في العام الرابع عشر بعد الألفين للميلاد،وهو العام الذي شهد الكثير من الويلات والاهات والنكبات التي حلت بفلسطين بجبالها وسهولها وصحرائها ، خرجت إلى حيز الوجود والتميز رائعة الأديب الفلسطيني المقدسي ابراهيم جوهر "أهل الجبل."

افتتح الكاتب روايته بإهدائها لمن يستحقها ، فأهداها إلى أرواح شهداء غزة العزة الذين ارتقوا في رمضان العام المذكور، وإلى روحي الشهيدين البطلين المحمدين: محمد أبو خضير الذي شوي جسده الطاهر بنيران صهيونية يشعلها تخاذل عربي ، ومحمد دودين ابن دورا الجبلية الخليلية والذي ارتقى مودعا عالما لم يتسع له. كما وأهدى الكاتب روايته إلى الغزالة الباقية.

"أهل الجبل" رواية عن الإنسان والمكان. فهي تسلط الضوء على دور المكان والبيئة التي ينشأ فيها الإنسان في تشكيل شخصيته وتحديد بعض ملامحها. وهي مساحة للقارئ المتمعن ليكتشف خفايا نفسه وأسرارها. ففيها يتطرق الكاتب إلى ذلك الصراع الداخلي الذي ينشأ في نفوس الكثيرين لدى محاولتهم خوض تجارب جديدة تتمثل في الغوص في عوالم يظنونها أخرى رغم أنها لا تبعد عنهم زمانيا ولا جغرافيا ذلك البعد الذي يجعلها تبدو بتلك الغرابة.

والواقعية التي تسيطر على الرواية تجعلها محببة إلى النفس وقريبة منها، وتجعل القارئ لا يمل قراءتها مهما كرر ذلك. وما يزيد الواقعية سلطة في هذه الرواية هو بساطة السرد، وجمال اللغة التي تأسر الألباب، والأهم من ذلك بالنسبة لي هو انتمائي للمكان، حتى أنني كنت أرسم في مخيلتي صورة لكل ما أقرأ ، مبحرة في بحر تأملاتي وتوقعاتي .

لقد رافقتني هذه الرواية لأول مرة بنسختها الالكترونية في طريق ذهابي إلى رام الله الشقراء. حين مالت بنا السيارة يمينا على دوار الرام ، وجدت نفسي ألتفت لتلك البنايات

التي تتسابق فيما بينها وكأنها تقول للقادم من بعيد: هنا رام الله! في تلك اللحظة، شعرت بأنني على وشك الدخول إلى عالم اخر غير ذلك العالم الجبلي الذي أتيت منه. ومنذ تلك اللحظة وبعد إتمامي لقراءة الرواية في طريق عودتي من ذات الرحلة ، بت أرى رام الله بطريقة مختلفة عن تلك التي اعتدت عليها. أصبحت رام الله بالنسبة لي – عدا عن أنها مدينة التعددية– مدينةَ المظاهر المزيفة. وما تجولي في بعض شوارعها الرئيسية منذ القراءة الأولى للرواية حتى اليوم إلا لأثبت لنفسي أن شقرة رام الله وصلت حد انعدام الملامح.

ومن تميز الكاتب في روايته والأدوات التي استخدمها لإيصال فكرته استخدام الرمز.فعلى سبيل المثال،ليصل صوت الجبل إلى القاصي والداني، لا بد أن يكون هناك من يحمل رسالته ويبثها في الأصقاع ، ومن هنا كان تلفزيون الجبل الذي يضم نخبة من أبنائه. فتلفزيون الجبل هذا –كما أراه– مراةٌ للواقع الجبلي يجسدها حملة رسالة سامية.

و"أم علي" ذات الهوية المجهولة كانت تطل بين الحين والاخر حين تتعقد الأمور أو يستصرخ العقل طالبا النجدة لتعيد التوازن المفقود. ورغم أن شخصيتها مجهولة ، إلا أنها وقت ظهورها في الرواية يحدثنا بأنها قد ترمز إلى صوت العقل الفلسطيني متجسدا بهيئة امرأة رزينة. لا أستبعد أن تكون أم علي هذه هي فلسطين الباحثة عن توازن وعدل بين شقيها المتباعدين وعاصمتهما الحزينة.

ولأنها رواية واقعية، كان للسياسة حضورها. ومن ذلك أن الكاتب أشار من بين ما أشار إليه إلى معاناة الفلسطينيين على الحواجز العسكرية التي باتت جزء ا لا يتجزأ من حياتهم اليومية. كما وأشار إلى الانتهاكات الوحشية ضد أبناء الوطن عامة والخليل خاصة على خلفية ما وصف باختطاف جنود صهاينة.

ومن دلائل الواقعية في الرواية أيضا عودة ابن الجبل إلى جبله. فالإنسان بطبيعته ميال إلى تجربة كل جديد . وهو وإن أبحر بعيدا عن موطنه ، واستمتع بخيرات غيره، سيعود محملا بالحب والحنين ، ودروس في الوفاء والانتماء.

"أهل الجبل" أيضا رواية حافلة بالعبارات التي تلامس الروح والوجدان، والتشبيهات التي تجسد المعاناة والألم والأمل أحيانا، و تضفي على الرواية رونقا خاصا دائما. والقارئ لهذه العبارات يذوب بين سطورها مستشعرا لذة الاندماج معها. فانظروا معي إلى قول الكاتب : (الكلمات لها ذاكرة، مثل البشر، والجبال، والأرض، والوطن.) وإلى قوله : (أن تتأمل المكان لا يعني أنه يمنحك سرّه بسهولة. المكان يتمنّع بدلال وقوة إرادة.). ففي الأولى جسد الكلمات وفي الثانية فعلها مع المكان، وبين الاثنتين يبحر القارئ مستمتعا.

وفي قوله: (باتت الحواجز تفرض لغتها وأسئلتها وإجاباتها) يذكرنا الكاتب بجرح لم يندمل يوما وبمعاناة أصبحت رفيقة لتحركاتنا.

ويحسن الكاتب وصف رام الله بقوله : (مدينة عصرية تأكل أبناءها ولا حنان في مبانيها وزجاجها البارد) . يا له من وصف مؤلم قاس دقيق تقشعر له الأبدان! ويضيف عنها قائلا : (المدينة الاسمنتية التي أضاعت خضرتها وهدوءها وهي الآن تبحث عن هوية أضاعتها اجتهادات لم تنبع من أسودها.) فوا أسفاه على من أضاع هويته! ويقول أيضا : (أخذته المدينة في حقيبتها المسافرة العامرة بفقاعات الصابون والوحوش الكاسرة. لا مكان للأرانب هنا ولا للحمام. الذئاب تكشّر عن أنيابها وعدوانيتها والأفاعي تفحّ بلؤم غير معهود.) فكيف تكون هكذا مدينة ملؤها فقاعات الصابون الهشة والوحوش الكاسرة؟ أللأمان في هكذا مدينة مكان؟!

ولبائع اليانسون والقهوة نصيب. حيث يقول الكاتب مخاطبا إياه : (يا لك من حاو يجمع التناقضات في راحة يده!)

كما أن للنصيحة واستثارة الطاقات نصيب . حيث يقول الكاتب على لسان خولة العايد:

(الفكرة لا تموت يا أستاذ. الفكرة تأخذ أشكالا متعددة. المسؤولية تتعلق بحامل الفكرة ومدى إيمانه بما يحمل)

أخيرا، لأن الوطن واحد، والهم واحد، ولأن السهل يبكي لبكاء الجبل والوادي ، والبحر

يدمع لعَبَـرات الموج الاتي ، أختم سطوري المتواضعة بما قاله كاتبنا في رده على صديقه حين لامه واتهمه بالتحيز لجبل الخليل حيث قال: ((جبل الخليل) نحمله في صدورنا. كلّ واحد منا وله خليله؛"الخليل)؛ هي (الفكرة) لا أكثر ولا أقلّ.

وشارك في النقاش عدد من الحضور منهم: محمد عمر القراعين، نزهة أبو غوش، ديمة السمان، ديانا أبو عياش وطارق السيد.

اصدارات ندوة اليوم السابع

- ايلياء. منشورات المسرح الوطني الفلسطيني – القدس تموز ١٩٩٨.
- قراءات لنماذج من أدب الأطفال. منشورات المسرح الوطني الفلسطيني – القدس كانون اول ٢٠٠٤.
- في أدب الأطفال .منشورات المسرح الوطني الفلسطيني – القدس تموز ٢٠٠٦.
- الحصاد الماتع لندوة اليوم السابع. دار الجندي للنشر والتوزيع–القدس كانون ثاني–يناير– ٢٠١٢.
- أدب السجون. دار الجندي للنشر والتوزيع–القدس–شباط–فبراير–٢٠١٢.
- نصف الحاضر وكلّ المستقبل.دار الجندي للنشر والتوزيع–القدس–آذار–مارس–٢٠١٢.
- أبو الفنون. دار الجندي للنشر والتوزيع–القدس نيسان ٢٠١٢.
- حارسة نارنا المقدسة– دار الجندي للنشر والتوزيع–القدس– أيار ٢٠١٢.
- بيارق الكلام لمدينة السلام– دار الجندي للنشر والتوزيع– القدس – حزيران ٢٠١٢.
- من نوافذ الابداع– دار الجندي للنشر والتوزيع–القدس– نيسان ٢٠١٣.

- نور الغسق- دار الجندي للنشر والتوزيع- نيسان .٢٠١٣
- -٢٠١٤- مدينة الوديان- دار الجندي للنشر والتوزيع- القدس
- مرايا الأقلام في مدينة السّلام- دار الجندي للنشر والتوزيع-القدس- 2015

الفهرس